الشيخ الأكبر
محيي الدين بن عربي

العبادلة

تحقيق وتعليق وتقديم
عبد القادر أحمد عطا

١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٤ م



مكتبة القاهرة
لصاحبها / على يوسف سليمان وأولاده
١٢ ش الصنادقية - الأزهر
١١ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر
☎ ٥١٤٧٥٨٠ - ٥٩٠٥٩٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

من غيب أحديتك حمدت نفسك ياغيب الغيوب . . . ومن أقرب مراتبك سمعنا حمدك على لسان الأمين . . . فصمتنا ، وخشعت القلوب ، وعنت الجوارح ، وحارت الأفهام .

فلك الحمد بما أنت به أعلم .

ومن غيب أحديتك،صليت على إنسان عين الوجود ،ودارت الأملاك فى أفلا كها تردد صلاتك على رائدها ومعلمها .

فعليه الصلاة والسلام عدد كمالك . كما يليق بكمالك ، فما قدرناك حق قدره ، وما قدرناه حق قدره .

رباه . . يامغيث من دعاه ومجير من عصاه .

أسألك علما نافعا ، ويقينا صادقا ، ودينا قيما ، وأسألك العافية من كل بلية وأستلهمك العون من تجليات رحمانيتك التى علمت بها الإنسان روائع البيان .

اللهم قوة فى الروح تقربنى من مشارف إدراكات الشيخ الأكبر ، لأكون بما تحب ناطقا ، ولما يرضيك مدركا ، ولتحقيق وحدتك وأحديتك مترجما .

أعوذ برضاك من سخطك ،وبرحمتك من غضبك، وبك منك ، فأشهدنى فى بلائك ماتشهدنى فى نعمائك ، وأفن نفسى عن حركاتها ، حتى تتخلص من مراتبها المتفرقة ، إلى وحدة النظر ، ومجتمع الفيض .

اللهم وصل وسلم وبارك على عين الأعيان ، وعلم العرفان سيدنا محمد ، نبى الرحمة ، وكاشف الغمة ، الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، والناصر الحق بالحق ، والهادى إلى سواء السبيل .

عبد القادر أحمد عطا

الشيخ الأكبر ابن عربى

قة من قمم الفكر العالمى عامة ، والفكر الإسلامى خاصة ، وقفت ملايين العيون عند كتبه ، وانبهرت ملايين العقول أمام مبتكراته ، شغل به الجهابذة من العلماء قديماً بين اتهام ودفاع ، وبين رد وتعقيب ، فكان بركة على العلم ، حيث أسفرت تلك المعارك عن عشرات الكتب ، التى تناولت أمهات المسائل الصوفية بالبحث والتدقيق .

وشغل به الجهابذة من العلماء ، حديثاً فى مدرجات الجامعات ، وأبهاء المناقشة فى كل أنحاء العالم ، حتى صار فهم سطور قليلة من أقواله مؤهلا يؤهل الفائز به للتصدر بين أساتذة الجامعات ، فكان بركة على العلم حيث حرك العقول نحو تطور هائل فى ميادين المعرفة ، وطفرات واسعة فى مجالات اللانهائى المجهول وأسفرت تلك الحركة عن مئات الرسائل والكتب ، تناولت علمه وفنه فى مختلف المجالات .

جلجل صوته فى المشرق والمغرب ، وهو يجوب أقطار الأقطار استكشافاً للمعرفة ، ويجتاز أوعر المسالك وأشقها على أعتى العقول البشرية ، وأشدها بأسا ، تحقيقا للسلوك ، وتأصيلا للوعى الروحى العميق . . حتى صار الشيخ الأكبر بحق .

الشيخ الأكبر . . هكذا عرفه فلاسفة التصوف ، وشيوخ السلوك ، وأرباب السياحات والساحات ، والخلوات والجلوات ، وعمار المدائن والفلوات ، وفلاسفة العقل ، والأدباء والشعراء ، ومدارس العلم فى أحقاب التاريخ القديم والجديد .

هكذا عرفوه ، دون اسم ولا إشارة ولا وسم ولا علامة من علامات التمييز التى تعارف الناس عليها ، وتلك أم الدلالات على عظمة الرجل وطول باعه ، وعلى أنه مس الأفكار الراقية ، فأطلق فيها طاقة هائلة من

طاقات العمل والقوة ، هزتها فى عنف وعزم ورفق ، ووجهتها نحوه فى اقتدار .

وكانت تلك السمة الأولى من سمات عظمته ، هى شهرة العظمة ، لاعظمة الشهرة ، إذا حاولنا أن نميز عظمة أصيلة من عظمة زائفة ، وإذا علمنا أن عظمة الشهرة وحدها إنما تدفع صاحبها إلى أغوار النسيان إن لم تقذف به مع ذلك إلى الحضيض .

فإذا استتمت للرجل العظيم شهرة العظمة ، جمع بينها وبين عظمة الشهرة ، واستحالت تلك التى كانت وحدها بالأمس مصدر توجس وقلق ، إلى لون من البريق الذى يؤازر شهرة العظمة ، فيخلد صاحبه على مر القرون .

هكذا كان شيخنا الأكبر رضوان الله تعالى عليه ، عظيما فى شهرته ، شهيرا فى عظمته . نبعت عظمته من عظمة الآفاق التى ارتادها . ومن عظمة العقول التى شغلت به مؤيده أو معترضه ، لأنها أجمع باحثة عن الحق ، مرتادة للقويم من العلم ، وإن استتار الطريق أمام بعضها ، واستعصى على بعضها الآخر .

ذلك هو الشيخ الأكبر ، أبو بكر محى الدين ، محمد بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائى الحاتمى المرسى ، المعروف بابن عربى ، وبالشيخ الأكبر . ولد فى « مرسية » من أعمال « أند الوزى » إحدى ولايات « الأندلس » المعروفة الآن « بأسبانيا » سنة خمسمائة وستين من الهجرة ، ألف ومائة وخمس وستين من الميلاد ، فى شهر رمضان المبارك .

كان أبوه رجلا صالحا عابداً تقياً ، يدمن قراءة سورة يس ، وكانت له معها صحبة جربها فى دفعه نحو الخير والصلاح . وكان يحث ولده على مسلكه الذى اختاره لنفسه بنفسه .

وأمه « نور » . كانت آية من آيات الله فى التقوى والصلاح والورع .

فلم تكن كالنساء تغار على ولدها ممن يصحب من الشيوخ ؛ حتى لقد دفعته دفعاً إلى خدمة الشيخة الصالحة «فاطمة بنت المثنى القرطبى» ، وكانت الشيخة الصالحة تقول للفتى محي الدين : «أنا أمك الروحية . ونورا أمك الترابية» .

وخاله «يحي بن يغان» كان من ملوك تلسان ، ولكنه هجر الملك . ولجأ إلى طريق الله عابداً زاهداً متقشفاً . على أثر مناقشة بينه وبين أحد الزهاد ندد فيها الزاهد بمسالك الملوك وترفهم .

فالبيت كله بيت تقوى وصلاح . والبيئة الأندلسية بما فيها من طيب الهواء والصفاء وذكاء الأفهام . ومرسيليا واشبيلية اللتان تعتبران من أمهات حواضر الأندلس فى عهد الموحدين ونشاط التصوف وفنون العلم الأخرى كل ذلك كان من العوامل التى تضافرت على خلق عبقرية الشيخ الأكبر .

ولما ترعرع رحل إلى «أشبيلية» . وأخذ عن «ابن بشكوال» وغيره من المشاهير . ثم رحل إلى المشرق . فمكث فى «مكة المكرمة» مدة ، ثم رحل إلى مصر والشام والعراق . و «سيواس» حتى وصل إلى «قونيه» بلاد الروم ، وتزوج هناك بوالدة الشيخ «صدر الدين القونوى» وصار له أباً روحيا . وكان يلقب آنذاك بالشيخ الكبير .

ثم رحل ثانياً إلى الشام . وتوفى هناك سنة ستمائة وثمان وثلاثين من الهجرة . ألف ومائتين وأربعين من الميلاد . ودفن فى سفح «قاسيون بالصالحية» وترك ولدين . هما : محمد سعد الدين (١) . وثانيهما محمد عماد الدين (٢) .

---

(١) ولد فى رمضان عام ٦١٨ هجرية فى «ملاطية» وكان مدرسا للحديث راويا له وكان شاعرا وله ديوان وتوفى عام ستمائة وستة وخمسين .

(٢) توفى عام ٦٠٧ هجرية ودفن بجوار والده .

وكان قد هز الفكر هزة لم يطقها كثير من العلماء فأخفوا قبره إلى أن رفعت عنه أيدى الإخفاء فى أيام السلطان سليم الأول . وتروى عنه المراجع أنه تنبأ بذلك حيث قال : « إذا دخل السين فى الشين ، ظهر قبر محي الدين .

ولقد بنى على قبره قبة عظيمة . وعمر مسجد كبير وتكية للفقراء ، ولا زال المسجد معمورا إلى اليوم .

حركات العلماء من حوله :

أثار جمع من متأخرى الحنابلة التأثرات حول كلمات مجازية للشيخ الأكبر . فطعنوا عليه . واتهموه بالزندقة ، ولكن كثيرا من غير العلماء اشتهرت لديه تهمة الزندقة ودوافعها . وانبرى كثير من العلماء للدفاع عن الشيخ دفاعا مجيداً قائما على أصول الشريعة السمحة . فأقاموا الحق فى نصابه ومنهم :

١ — الشيخ جلال الدين السيوطى : فى كتابه « براءة ابن العربى من طعن الغبى » .

٢ — الشيخ صلاح الدين العشاق . فى كتابه « مفتاح الوجود الأشهر فى توجيه كلام الشيخ الأكبر » .

٣ — الشيخ عمر افندى . حفيد العلامة الشيخ أحمد العطار فى كتابه : « الفتح المبين فى رد اعتراض المعترضين على محي الدين .

٤ — ملا كاتب جلبى ، فى كتابه : « ميزان الحق فى اختيار الأحق » .

٥ — الشيخ عبدالوهاب الشعرانى فى كتابه :«اليواقيت والجواهر فى عقائد الأكابر » وكتابه : « تنبيه الأغنياء على قطرة من علوم الأولياء » .

٦ — الشيخ صاوى عبد الله افندى شارح المثنوى . فى كتابه « مرآة الأصفياء » .

٧ – الشيخ مجد الدين الفيروزابادى صاحب القاموس . فى كتابه : « الاغتباط » .

٨ – الشيخ شهاب الدين بن حجر العسقلانى فى كتابه الفتاوى الحديثية . ذكر فصلا رد فيه على من أنكر على الشيخ الأكبر . وفى كتابه : « الانتصار لأئمة الأمصار » كذلك .

٩ – الشيخ عبد النبى النابلسى . فى كتابه : « الرد المتين على منتقص العارف محيى الدين .

١٠ – الولى محمد بن محمد القاضى . فى رسالته : « إثبات خاتم الأولياء » .

١١ – جركس زادة توفيق افندى . فى كتابه : « اللوائح القدسية » .

١٢ – الشيخ ملا عبد الرحمن الجامى . شارح الفصوص : « نفحات الأنس » ذكر فصلا مستقلا فى علو مكانة الشيخ الأكبر وتبرئة ساحته .

١٣ – الشيخ اسماعيل حقى ، صاحب « روح البيان » ذكر فى كتابه : « الخطاب » كثيرا من مناقب الشيخ الأكبر وترجمه بالولاية الكبرى ، والسداد فى كل آرائه .

١٤ – ما ذكره المقرى فى « نفح الطيب » واليافعى فى « مرآة الجنان » مما يشهد له بمرتبته الكبرى .

١٥ – جميع شراح الفصوص للشيخ الأكبر شهدوا له بالإستقامة ، وعلو المنزلة ، وسلامة العقيدة ، وهم كثيرون ومنهم صدر الدين القونوى ، ومؤيد الدين الجندى ، والجامى ، وسعد الدين الفرغانى وداود القيصرى ، والقاشانى ، وعبد الله بوسنوى ، وبالى افندى صوفية وى ، وقره باش ولى ، والإمام النابلسى ، وصدر الدين بركة ، وركن الدين الشيرازى ، وعفيف الدين التلمسانى ، وكمال الدين الزملكانى ، وبير على الهندى ، وبايزيد الرومى ، ومظفر الدين الشيرازى ، ومحمود ودادى ، وخواجة پارسا ، والسيد على الهمدانى ، ومحمد بن على القاضى ، ومصطفى معنوى أفندى ، وأمير على ، ومحمد أفندى يازجى

ومحمد وزير غياث الدين ، وبابا نعمة الله ، والشريف ناصر الدين الحسيني الجيلاني ، وفياض اللاهيجي ، وضياء الدين الأصفهاني ، ومحمد بن مصلح التبريزي ، ومحمد قطب الدين الزنبيق ، ويعقوب خان كشغرى ، وغيرهم (١) رضى الله عنهم أجمعين .

ومع هذه الكتب العديدة التي حفلت بالدفاع عن الشيخ الأكبر ، فإن هناك أسئلة رفعت إلى كبار العلماء في كل عصر من بعض المنكرين عليه أو الشاكين فيه ، وأجيب عليها بفتاوى هي مقطع الحق في تلك المشكلة ومنها :

١ — جاء في فتوى علامة الروم «ابن كمال» .. وبعد «الشيخ الأكبر ، والمقتدى الأكرم ، قطب العارفين ، وإمام الموحدين ، محمد بن على العربى الطائى الحاتمى الأندلسى ، مجتهد كامل ، ومرشد فاضل ، له مناقب عجيبة ، وخوارق عادة ، وتلامذة مقبولة عند العلماء والفضلاء ، ومن أنكر فقد أخطأ ، ومن أصر على إنكاره فقد ضل وله مصنفات كثيرة منها : «فصوص حكمية ، وفتوحات مكية ، بعض مسائلها مفهوم اللفظ والمعنى ، وموافق للأمر الإلهى ، والشرع النبوى ، وبعضها خفى عن إدراك أهل الظاهر ، دون أهل الكشف والباطن ، فمن لم يطلع على المرام ، يجب عليه السكوت فى هذا المقام ، لقوله تعالى : «ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا» .

٢ — وفى جواب قاضى القضاة ، أبى قاسم البيضاوى ، عن سؤال رفع إليه بشأن كتب الشيخ الأكبر ، هل يحل إقراؤها وقراءتها أم لا ؟ قال : «الذى أعتقده فى حال المسئول عنه ، وأدين الله عليه ، أنه كان شيخ

---

(١) البرهان الأزهر فى مناقب الشيخ الأكبر .

الطريقة علما وحالا ، وإمام التحقيق حقيقة ورسما ، ومحيى رسوم المعارف فضلا واسما ، إذا نقل فكر المرء فى طرف من مجده غرق :

وما على إذا ما قلت معتقدى . دع الجهول يظن الجهل عدوانا
إن الذى قلت بعض من مناقبه . ما زدت إلا لعلى زدت نقصانا

ومن خواص كتبه ، أن من واظب على قراءتها والنظر فيها . انشرح صدره على حل المشكلات . وفك المعضلات .

٣ - فى جواب الشيخ أحمد بن حجر العسقلانى عن سؤال رفع إليه من تلميذه شمس الدين السخاوى ، عن الشيخ الأكبر . . . وأما حضرة الشيخ . فهو البحر المواج الذى لا ساحل له . ولا يسمع لموجه غطيط . بل كلامه صهباء فى لجة عمياء ، الحاتمى لا نعت يضبطه ، ولا مقام ولا حال يعينه ، فمن قال إن له نعتا ، فليس له علم به » .

٤ - جاء فى باب الردة ، فى شرح كتاب الروض ، لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى : « والحق أن طائفة ابن عربى كلهم أخيار ، وكلامهم جار على اصطلاحهم كسائر الصوفية ، وهو حقيقة عندهم فى مرادهم ، وإن افتقر عند غيرهم - ممن لو اعتقد ظاهره كفر - إلى التأويل ، واللفظ المصطلح عليه حقيقة فى معناه الاصطلاحى ، مجاز فى غيره ، فاعتقادهم بمعناه إعتقاد بمعنى صحيح ، وقد نص على ولاية ابن عربى جماعة عارفون علماء بالله ، ومنهم الشيخ تاج الدين بن عطاء الله ، والشيخ عبد الله اليافعى ، ولا يقدح فيه ولا فى طائفته ظاهر كلامهم المذكور عند غير الصوفية ، لما قلنا ولأنه قد يصدر من العارف بالله إذا استغرق فى بحر التوحيد والعرفان ، بحيث تضمحل ذاته فى ذاته ، وصفاته فى صفاته ، ويغيب عن كل ما سواه ، عبارات تشعر بالحلول والاتحاد ، لقصور العبارة عن بيان الحالة التى ترق إليها ، وليس منها بشيء كما قال العلامة سعد الدين التفتازانى وغيره :

فإذا كنت فى المعارف غرا ثم أبصرت صادقا لامار
لا تكن منكراً فثم أمور لطوال الرجال لا للقصار
وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار

ثم قال : والله ، والله ، والله ما كتب رضى الله عنه إلا ما علم ، وما علم إلا ما شهد من صور المعلومات على ما هى عليه ، واضطربت العقول فيه لإنكارها ، وبالجملة ، فالسلامة أولى خصوصا فى الشيخ رضى الله عنه .

٥ — يقول الإمام اليافعى فى مرآة الجنان عن الشيخ الأكبر : « قدوة الأولياء علما وفقها ، ظاهرا وباطنا ، قد فخموه تفخيما عظيما ، ومدحوا كلامه مدحا كريما ، ووصفوه بعلو المقامات ، وأخبروا عنه بما يطول ذكره من الكرامات » .

ويقول فى كتابه « الارشاد » : « إن الشيخ الأكبر كان يجتمع بالسهروردى فينشغل كل منهما بالمراقبة ، ثم يفترقان دون أن يتحدثا ، فإذا سئل الشيخ الأكبر عن الإمام السهروردى قال : إنه متصف من فرقه إلى أنامله بالسنة النبوية . وإذا سئل الإمام السهروردى عن الشيخ الأكبر يقول : إنه بحر الحقائق . ويقول ابن الزملكانى : من لم يدرك معانى الشيخ فليأتى لأحلها له واحدة واحدة .

تلك شهادات أئمة العلم والسنة والشريعة ، للشيخ الأكبر ، فما علينا إذا لم يفقه الجامدون المتحجرون على ظواهر اللغة وبعض مجازاتها البلاغية والوصفية ، وكأن الله تعالى لم يخلق إدراكا بعد ذلك لمدرك أو علما لعالم ومن أمثلة ذلك الجحود أن المنكرين عليه أكفروه فى مسألة الحائط التى مثلت به النبوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه .

روى البخارى فى باب ختم النبيين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كرجل بنى دارا فأكملها وأحسنها ، إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يدخلونها ، ويتعجبون ويقولون : لولا موضع

اللبنة !! فأنا اللبنة .. » ويقول الشيخ الأكبر في هذا الحديث : « إنه صلى الله عليه وسلم أشار بهذا إلى أنه ختمت به النبوة ، وأن كمالها كان به ، حيث تم الحائط المذكور بجنابه الشريف ، حيث كان عبارة عن تلك اللبنة التى كان كمال الحائط بها . . . ثم قال : إن كل من له الختمية لابد وأن يرى هذه الرؤيا في عالم المثال ، وذكر أن من له الختمية ثلاثة : محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه خاتم الأنبياء ، وعيسى لأنه خاتم الولاية مطلقا ، فلا ولى بعده (١) . فبقى الثالث وهو خاتم الولاية المحمدية وهو العارف محيى الدين . وقد قال في ذلك شعرا :

فلكل عصر واحد يسمو به وأنا لباقى العصر ذاك الواحد

وحيث أن الختمين (٢) لابد وأن يريا هذه الرؤيا ، فإن رأياها رأيا الحائط ناقصا عن موضع غضهما من حيث أنهما يأخذان عن الله تعالى ، وهى لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، حيث أنهما يأخذان عن الله تعالى بواسطة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فالفضة له صلى الله عليه وسلم ، والذهب لهما . قال السعد رحمه الله : انظر إلى هذا الرجل كيف فضل نفسه على سيد الخلق ، ولم يرض بالمساواة حيث جعل لبنة نفسه الذهبية ، ولبنة

---

(١) هذا لايعنى أن رسول الله صلى عليه وسلم ليس وليا مع نبوته ورسالته . فكل نبى ولى ولا عكس . فالولاية ثابتة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بحكم نبوته ، والولاية عامة وخاصة ، فعيسى عليه السلام خاتم الولاية العامة ورسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الولاية الخاصة وابن عربى رضى الله عنه خاتم الولاية المحمدية ، ومن هذا البيان الموجز لا أفضلية لعيسى على محمد عليهما السلام .

(٢) أى ختم الولاية العامة وختم الولاية المحمدية وقد أشار الشيخ في الفتوحات المكية إلى أن عيسى خاتم وهو خاتم .

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الفضية ، وقد خالف فى هذا الإجماع . وأوسعه سباً وشتما لا يليق فى مجال البحث العلمى .

وقد أجاب حفيد الشيخ الأكبر فى : « البرهان الأزهر » على هذا فقال « ليس المراد من ذكر الذهب والفضة التغالى فى الثمن ، حتى يلزم ما يلزم من النقص عند إرادة الفضة ، وإنما المراد شدة الصفاء ، ومراعاة موطن التجلى الإلهى على قلوب العارفين ، وذلك أنه لابد للتجلى الإلهى من صورة حاملة له ، وتلك الصورة الحاملة هى حقيقة المتجلى له ، فإذا صفت وخلصت من الشوائب الكونية كان التجلى بها أكمل وأعلى حتى يقرب من كونه ذاتيا

ومن المعلوم أنه لا حقيقة أعلى من حقيقته صلى الله عليه وسلم ولا أصفى منها ، فكانت بالفضة الصافية أشبه ، حيث كان الذهب بالصبغ . ومن هنا قال الله تعالى : « ويطاف عليهم بآنية من فضة » ولم يقل : من ذهب . حيث كان الموطن يقتضى ظهور لون الماء ، وهو بالفضة يظهر لا بالذهب . فإن الماء ربما اكتسب منه لون الصفرة غير المرغوبة فى الماء .

وحيث لم يكن لحقيقة من حقائق الكمل هذا الصفاء ، وكانت حقائقهم ليست كحقائق غيرهم ممن هو دونهم فى المعرفة ، ناسب تشبيه حقائقهم بالذهب الخالص المشوب بنوع من الكدورة التى هى الحجب الكونية ، حيث لم تخلص خلاص المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ولو شبهت حقائقهم بغير الذهب لفاتت المناسبة فى المعدنية ، ولأدى ذلك إلى نقص فى معرفة الشيخ الأكبر فى العلم الإلهى ومراعاة المناسبة والتشبيه .

إن الشيخ الأكبر هو المحقق الأوحد بين المحققين الذين تتبعوا دقائق الفضل والكمال للنبى صلى الله عليه وسلم حتى فى أبسط الأشياء ، حيث تكون تلك البسائط دلالات كبرى على عظمة خارقة ليس لها نظير فى الكون . فلقد استرعى نظره أن الرسول صلى الله عليه وسلم ولد يوم

الاثنين ، ونبىء يوم الاثنين ، وتوفى يوم الاثنين ، فاستنبط من ذلك وجها من التفسير لقوله تعالى :« قل هو الله أحد» فقال: «إن اسم الأحد لله ، واسم الواحد كذلك . وليس بعد الواحد إلا الاثنين زمانا وعداً ، وإن الاثنين لمحمد صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين ، وإمام المتقين ، وسيد العالمين ، من نبىء وآدم بين الماء والطين » فهل رأيت يا قارئى العزيز أطهر عقيدة ، ولا أنقى دينا ، ولا أروح سرا ، ولا أحرص على حب الرسول الكريم من هذا الإمام الجليل ؟!!

هذا مثال واحد يقاس عليه كل ماورد من اعتراضات على الشيخ الأكبر أما استقصاء جميع المسائل التى أثارها أقزام المعرفة ضده فلاتستطيع الإلمام بها فى تلك العجالة السريعة فليرجع إليها من أرادها فى أحد الكتب السابقة التى تخصصت فى الدفاع عنه .

وهناك أئمة كبار عارضوه بادىء الرأى ، ثم كانوا منصفين فعادوا ورجعوا عن أفكارهم ، وأنزلوه منزله الرفيع الذى يستحقه . وهم : سراج الدين البلقينى ، وتقى الدين السبكى ، وعز الدين عبد السلام .

أما الشيخ تقى الدين السبكى فعاد يقول بعد إنكاره : «كان الشيخ محي الدين آية من آيات الله ، وإن الفضل فى زمانه رمى بمقاليده إليه ، ولا أعرف إلا إياه » .

وأما الشيخ سراج الدين البلقينى فعاد يقول : « إياكم والإنكار على شىء من كلام الشيخ محي الدين ، فإنه رحمه الله تعالى ، لما خاض فى بحار المعرفة ، وتحقيق الحقائق ، عبر فى أواخر عمره فى « الفصوص » و « الفتوحات » و « التنزلات » بما لايخفى على من هو فى درجته من أهل الإشارة ، ثم جاء من بعده قوم عمى عن طريقه ، فغلطوه فى ذلك ، بل وكفروه بتلك العبارات ، ولم يكن عندهم معرفة باصطلاحه ، ولا سألوا من يسلك بهم إلى

إيضاحه ، وذلك أن كلام الشيخ رضي الله عنه تحته رموز وروابط (١) ، وإشارات وضوابط ، وحذف مضافات ، هي في علمه وعلم أمثاله معلومة ، وعند غيرهم من الجهال مجهولة . فلو أنهم نظروا إلى كلماته بدلائلها وتطبيقاتها ، وعرفوا نتائجها ومقدماتها ، لنالوا الثمرات المرادة ، ولم يباين اعتقادهم اعتقاده ، وكذب والله وافترى من نسبه إلى الحلول والاتحاد ، ولم أزل أتتبع كلامه في العقائد وغيرها ، وأكثر من النظر في أسرار كلامه وروابطه حتى تحققت بمعرفة ما هو الحق ، ووافقت الجم الغفير من المعتقدين له من الخلق ، وحمدت الله عز وجل إذ لم أكتب من الغافلين عن مقامه ، الجاحدين لكراماته وأحواله » .

وأما سلطان العلماء العز بن عبد السلام فقد ترجم الشيخ الأكبر بالولاية والعرفان حينما سمع الشيخ أبا الحسن الشاذلي وسلك طريقه ، وفهم الإشارات ، وذاق المشاهد .

وإذا كان مدار الإنكار عند المنكرين هو المصطلح الصوفي ، والتعبيرات الإشارية الخاصة ، وكان عامة المنكرين من الحنابلة عامة ومن أتباع ابن تيمية خاصة ، فإنا نحيل هؤلاء جميعا على شيخ من شيوخهم ، وتلميذ من تلاميذ ابن تيمية هو الشيخ « ابن مفلح المقدسي الحنبلي » فقد قال : « يخطر بقلوب العلماء نوع يقظة ، فإذا نطقوا بها وبحكمها نفرت منها قلوب غيرهم ولو من العلماء ، ولا أقول العوام . مثل قول أبي بكر رضي الله عنه : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا . وإن رجلا لو صحا فقال كلمة ظاهرها يوجب عند العوام الكفر فقال : لست أجد للرقيب والعتيد حشمة ولا هيبة . فلو استفتى عليه جماعة من الفقهاء لقالوا : كافر . فظاهر هذا أنه ليس مصدقا

---

(١) إنما أخفى الصوفية مواجدهم تحت الرموز والمصطلح لئلا يعبث العامة بمعانيهم السامية فيقعوا في الانحراف والخطأ .

بها ، وهو يهون بحفظة الله تعالى على خلقه وملائكته ... وكشف السر عن ذلك أنه قال : غلبت على هيبة ربى ، وحشمة من يشهدنى ، فسقط من عينى حشمة من يشهد على ، وكنت أجد الحشمة لهما لغفلة أعقبها صحو ، وموجب اليقظة والصحو وزوال الغفلة السمع « أولم يكف بربك » « ونحن أقرب إليه منكم » فإن من شهد الحق كان كمن شهد الملك ومعه أصحاب أخباره فلا يبقى لأصحابه حكم فى قلب من شهد الملك ، وإلا لكان وهناً فى معرفته بحكم الملك وسلطانه . فاحذر من الإقدام على الطعن على العلماء مع عدم بلوغك إلى مقامهم واختلاف أحوالهم ، حتى أنهم فى حال كشخص ، وفى حال آخر كشخص آخر ، فإن للعبد عند كشف الحق محوا عن نفسه ، والعالم يتلاشى فى عينه ، ولهذا قالت المتصوفة للصغار : يسلم للمشايخ الكبار حالهم ، وكلامهم سم قاتل لهم أولا ، ثم لمن لا يفهم كلامهم ... وأما القائل فقال بحكم حال كشفت له خاصة ، وحجب عنها السامع ... فمن علم أن الخلق لا يستوون فى المقال ، ولا فى الأحوال ، لا يعقد الظنون بنادرة الواقع ، فيقع ناقصا (١) » .

وإذا لم يقنع أتباع ابن تيمية من المنكرين على الصوفية عامة وعلى الشيخ الأكبر خاصة بشهادة ابن مفلح المقدسى فلعلهم يجدون فى الرسالة الشهيرة التى وجهها الذهبى إلى شيخه القديم ابن تيمية مقنعا وملاذاً من الخطأ (٢) .

وإذا بحثنا الدوافع التى تدفع إنسانا ما إلى الزندقة والإلحاد وجدناها تنحصر فى اختلال العقل ، والطموح السياسى . وغلبة الهوى . فأين مكان الشيخ الأكبر من هذه الدوافع ؟!

---

(١) الآداب الشرعية ١ — ٢١٤ .

(٢) مقدمة سير أعلام النبلاء للذهبى .

أما الاختلال العقلى ، فلم يقل به قائل من أعدائه على الإطلاق ، والرجل الذى وجه عصره كله ، وقاد العقول فى ميادين الحكمة ، وصار رائد الأرواح فى عوالم المجهول ، مع شهادات كبار العقلاء من العلماء له بالاستقامة الفطرية والعقلية . لايمكن أن يتطرق الشك إلى موازين عقله باى حال من الأحوال . لاسيا إذا أخذنا فى اعتبارنا حرصه الشديد على إيضاح العقيدة والدفاع عنها وتقويم انحراف المنحرفين فيها . والسمو الفريد فى تقريرها .

وأما الطموح السياسى فلا دليل عليه هو الآخر . وقد كان فى مقدور هذا العقل الجبار أن يصعد على سلم السياسة حينما كان موقعا فى قصور الحكم بالأندلس ولكنه هجر هذا المجد إلى مجد العلم والمعرفة . وكان بمقدوره كذلك أن يصعد سلم السياسة وهو فى الشام حيث استتب له مجده لدى الحكام وعظماء الدولة . حتى لقد أنفق كل ما وصل إلى يده من مال على الفقراء والمحتاجين ، وتصدق بدار أهداها إليه أحد عظماء الشام لأنه لم يكن يملك غيرها .

وأما غلبة الهوى ، فلم يقل به أحد إلا بعض السطحيين من الباحثين حينما وقعوا على ديوانه « ترجمان الأشواق » ولما ثارت عليه ثائرة الفقهاء شرحه بنفسه لينبه على هدفه من هذا الغزل الذى يبدو لأول وهله غزلا ماديا مثل غزل خاصة الشعراء ، وقدأشار إلى غرضه من هذا الغزل حيث يقول فيه :

كل ما أذكره مما جرى ذكره أو مثله أن تفهما
منه أسرار وأنوار جلت أو علت جاء بها رب السما
لفؤادى أو فؤادى من له مثل مالى من شروط العلما
صفة قدسية علوية أعلمت أن لصدقى قدما
فاصرف الخاطر عن ظاهرها واطلب الباطن حتى تفهما

لقد كان الشيخ يرسم فى هذا الديوان قلبه ، ويترجم روحه ، ويوضح رقته البالغة ، حتى أنه حاول أن يرسم صورة مصغرة للوحدة ، حتى فى الوجد ولواعج الشوق حيث يقول :

ناحت مطوقة لحن حزين   وشجاه ترجيع لها وحنين
جرت الدموع من العيون تفجعا   لحنينها فكأنهن عيون
طارحتها ثكلا بفقد وحيدها   والثكل من فقد الحبيب يكون
بى لاعج من حب رملة عالج   حيث الخيام بها وحيث العين
من كل فاتكة اللحاظ مريضة   أجفانها لظبى اللحاظ جفون

قضية الاقتباس :

أثار جمع من الباحثين المعاصرين قضية الاقتباس ضد كل العقليات العربية الناهضة ، وجعلوها أساسا لإظهار البراعة العلمية ، ومقياسا تقاس به المواهب والرجال .

ولا أدرى لحساب من يجرد الباحثون المحدثون علماء العرب من كل المواهب والملكات ؟ !! ويحاولهم أن يضيفوا كل مجد عربى إلى أصل غير عربى ؟!!!

وهل علم هؤلاء أن من الملكات الإنسانية ملكات تتحد نتائجها كما يتحد الإحساس بها ؟ وأن هناك ملكات تختلف فيها النتائج بعض الاختلاف أو أكثر الاختلاف ؟ .

وهل علموا أن ملكة الروح الصوفية الجائلة الصاعدة المولعة بالتحليق فى المجهول يتحد الإحساس بها فى كثير من الحالات ، ولا تختلف نتائجها إلا فى شىء واحد ، هو الوصول إلى كل الحقيقة .

ومن المقرر الثابت بين العامة وأهل النظر أن سلامة أى جهاز ميكانيكى أو إنسانى يعطى من نتائج العمل كلها ولا يمكن الاعتراض عليه ، وأن اختلال

جزء من أجزاء تلك الأجهزة يعطى بعضنا لا يمكن الاعتراض عليه أحيانا ، ويمكن الاعتراض عليه فى أحيان أخرى . ومن الثابت كذلك أن سلامة الأجهزة الروحية الإنسانية لا تكون إلا فى عقيدة قويمة ، وباطن حر ، وظاهر مقيد بما تعارف عليه العقلاء من قيود الآداب والأخلاق ، أو قيود المثالية الإنسانية الرفيعة .

وإذا تقرر كل ذلك ، فكيف تنسب إلى المسلمين اقتباسهم من الأوربيين فى هذه الناحية من نواحى الادراك ، ولا نقول باتفاق أحاسيس المتوجهين واختلاف نتائج تلك الأحاسيس تبعا للإيمان أو الإلحاد أو التخليط أو التدرج على سلم المثالية ، أو سلامة المدارك أو فسادها بالاستقامة أو الانحراف؟!!

لقد فطن الشيخ الأكبر إلى تلك القضية فقال : « ولا يحجبك أيها الناظر فى هذا الصنف من العلوم ، الذى هو العلم النبوى الموروث عنهم صلوات الله وسلامه عليهم ، إذا وقعت على مسألة من مسائلهم قد ذكرها فيلسوف أو متكلم ، أو صاحب نظر فى أى علم كان . فتقول فى هذا القائل الذى هو الصوفى المحقق : إن فيلسوفا قال بهذا ولا دين له . فلا تفعل يا أخى . فهذا قول من لا تحصيل له . إن الفيلسوف ليس كل علمه باطلا ، فقد تكون تلك المسألة مما عنده من الحق ، ولا سيما إن وجدنا النبى صلى الله عليه وسلم قد قالها ، ولا سيما فيما وصفوه من الحكم والتبرؤ من الشهوات ومكائد النفوس . وما تنطوى عليه من سوء الضمائر ، فإن كنا لا نعرف الحقائق فينبغى أن نثبت قول الفيلسوف فى هذه المسألة ، وأنها حق ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قالها ، أو الصاحب أو مالكا أو الشافعى أو سفيان الثورى ، وأما قولك ـ إن قلت ـ سمعها من فيلسوف ، أو طالعها فى كتبهم . فإنك تقع فى الكذب والجهل . وأما الكذب فقولك : سمعها أو طالعها ، وأنت لم تشاهد ذلك منه . وأما الجهل فكونك لم تفرق بين الحق فى تلك المسألة والباطل . وأما قولك : إن الفيلسوف لا دين له ، فلا يدل

كونه لادين له على أن كل ما عنده باطل . وهذا مدرك بأول العقل عند كل عاقل ، فقد خرجت باعتراضك على الصوفى فى مثل هذه المسألة عن العلم والصدق والدين ، وانخرطت فى سلك أهل الجهل والكذب والبهتان ونقص العقل والدين وفساد النظر والانحراف .

وأنت ترى فى هذا النقل مدى تحرر الشيخ الأكبر من كل قيد إلا قيد الشريعة ، فهو يبيح لك أن تسمع أقوال المخالفين ، وألا تكون متعصبا ، بل يجب أن تحكم بالحق على الحق مهما اختلفت المشارب والأديان .

مصادر معرفته :

تلقى الشيخ الأكبر القراءات السبعة عن أبى بكر بن خلف ، أحد أكابر علماء اشبيلية ، وقد تلقى كتاب محمد بن شريح فى القراءات السبع عن الشيخ أبى بكر ، وعن أبى القاسم الشراط القرطبى ، بالرواية عن ابن المؤلف ، أبى الحسن شريح ، وسمع كتاب النشر فى القراءات العشر ، من الشيخ أبى بكر محمد بن أبى حمزة بالرواية عن أبيه المؤلف ، العلامة أبى حمزة الدانى .

وتلقى علوم النقل والعقل عن أبى الفرج بن عساكر . وابن الجوزى ، وابن سكينة ، وابن علوان ، وجابر بن أيوب ، وابن زرقون ، والشيخ أبى محمد عبد الحق الاشبيلى الأزدى ، والحافظ ابن أبى الجد ، وأبى الوليد الحضرمى .

وتلقى كتبا فى الحديث حدث بها ، كالمهتدى ، والأحكام الكبرى . والأحكام الوسطى ، والأحكام الصغرى . وكتاب التهجد ، وكتاب العاقبة ، ويروى عن الإمام أبى الحسن شريح بن محمد بن شريح كتب الامام أبى محمد على بن أحمد بن حزم ، وسمع من كبار المحدثين فى عصره كالإمام أبى القاسم الخوزستانى ، وسمع صحيح مسلم عام ست وستمائة من الشيخ

أبي الحسن بن أبي نصر ، وروى الحديث عن الإمام أبي طاهر السلفي بالإجازة العامة . وأخذ طريق التصوف عن الشيخ أبي مدين المغربي ، والعارف جمال الدين يونس بن يحيى القصار ، والعارف أبي عبد الله التميمي الفاسي ، والعارف أبي الحسن بن جامع ، وغيرهم واستمد الطريق وعلومها بالتوجه من الغوث الشهير مولانا الشيخ عبد القادر الجيلي ، وأما اجتماعه بالخضر وصحبته له ، وأخذه الخرقة عنه ، فنحن نسلم به حيث يضر الإنكار وينفع التسليم ، والتحجير على فضل الله تحكم لا تسيغه العقول .

وقد أجمع أهل الصلاح والعلم على أن مذهبه فى العبادات والمعاملات كان طبق الآداب الشرعية الظاهرة ، وعلى أن مطمح نظره فى الاعتقادات الباطنة كان التوجه نحو حقائق الكائنات ، وأن أفكاره لم تزل غائصة فى تيار العبادات ، لاستخراج أبكار الإشارات .

ولقد أوضح الشيخ الأكبر وسيلة الوصول إلى تلك الحقائق بقوله : « ينبغى للعبد السالك أن يكون فى حال نومه على حضور ، وأن يصرف همته لتصرف عقله فى خياله حال منامه ، كتصرفه فيه حال اليقظة . فإذا حصل العبد على هذا الحضور ، وصار له طبيعة وخلقا ، وجد ثمرته فى عالم البرزخ . واستفاد منه كثيرا . فعلى السالك طريق الحقيقة والآخرة أن يبذل وسعه فى تحصيل هذا الحال . فإنه عظيم الفائدة » .

وهذه مرحلة من مراحل السلوك العلى ليس للمبتدئين فيها نصيب . وإن كان لهم منها نظير . ولكنه أقل صعوبة وأسهل مراسا .

فالمريد المبتدىء يتسلط بهمته على عقله عند نومه . ويصرفه فى ذكر الله تعالى كما كان فى حال يقظته . وينام على هذا الحال . فإن روحه تسبح مع ذلك فى عوالم الملكوت ، وتصفو من كل كدر ومرض : أما الحال الذى أوضحه الشيخ فهو مرحلة تتبع تلك المرحلة بعد أن يتقن السالك طريقه . ويبدأ فى استفاضة العلم المكنون فى بواطن نفسه وأعماق روحه . وليس

بعد ذلك براعة فى التربية القويمة والتعليم العلوى ، يستحق من أجلها الشيخ الأكبر كل باقات الثناء التى لم يخل منها كتاب تحدث عنه . والتى ألمنا ببعضها فيما سبق .

وقد كان من نتائج هذا العقل الجبار أربعمائة كتاب وصلت إلى الرواة تركها لنا هذا العملاق الأكبر فى الفقه والحديث والتفسير والتاريخ والأدب والتصوف ومنها : الفتوحات المكية ، والفتوحات المدنية ، والفتوحات المصرية والفتوحات الموصلية ، والديوان الكبير ، وفصوص الحكم ، والميزان فى حقيقة الإنسان ، والتدبيرات الإلهية ، وعقلة المستوفز ، وإنشاء الدوائر ، والجلال والجمال ، والمصباح فى الجمع بين الصحاح ، وسنن الأبرار فى الحديث ، والجمع والتفصيل أسرار معانى التنزيل ، ومشكاة الأنوار فى الحديث القدسى ، وفروع الشافعية ، والفطرة والاجتهاد ، وجامع الأحكام فى الحلال والحرام ، والمنتخب فى مآثر العرب ، ومحاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار .

ولا غريب بعد ذلك فى مصادر معرفته إلا ما استكشفه فى أغوار روحه الكبيرة من فرائد استعصت على قوى العقل فى العصر الحديث فظنوها ثمرة اطلاع واقتباس .

وحدة الوجود :

« إن علماء الكلام إنما وضعوا علومهم ردا على المنكرين ، لا تثبيتا للمؤمنين ، « اتخذوا دلائل إيمانكم من القرآن . فالله تعالى يقول :(قل هو الله) فأثبت الوجود (أحد) ونفى العدد وأثبت الوحدانية (الله الصمد[1]) نفى

---

(١) فى تفسير قوله تعالى « الله الصمد » رأى للشبلى . قال : هى خمسة أحرف . والألف أحديته واللام إلهيته وظهورهما فى الكتابة دون النطق دليل على أن إلهيته وأحديته مستورتان عن مدارك البشر : [علم القلوب لأبى طالب المكى ، باب التوحيد والتجريد والتفريد] .

الجسمية (لم يلد ولم يولد) نفى الوالد والولد (ولم يكن له كفوا أحد) نفى الصاحبة والشريك ... فياليت شعرى : هذا الذى يطلب ويعرف الله من جهة الدليل . ويكفر من لا ينظر . كيف كانت حاله قبل النظر ؟ !! .

تلك شذرة من أكداس تركها الشيخ الأكبر دفاعا عن العقيدة القويمة وتقويما للعقول المنحرفة . فهل دقق الباحثون الشكليون حينما وضعوا الشيخ الأكبر بين قوائم القائلين بالوحدة المطلقة النابعة من فلسفة العقل .

إن الخداع النفسى حقيقة لايستطيع إنكارها أى مشتغل بالنقول العلمية والنظر الفلسفى الصحيح . إننا نفعل الشىء فى سن معينة من عمرنا . فإن رمانا أحد بالخطأ حقدنا عليه وازدريناه ، فإن تقدمت بنا السن قليلا ألفينا بخطأ ما كنا نفعل آنذاك . وصححنا سلوكنا واعتقدنا أن هذا هو الصواب الذى لايجوز الاعتراض عليه . فإذا ما اعترضنا الشيوخ عاد لنا الشعور بالحقد عليهم . ورميهم بالعظائم مرة أخرى . وهكذا نقع دائما فى الخطأ والخداع النفسى ، الذى ينصب لنا من أخطائنا هياكل نستمسك بها ونستعصم ، مادمنا نسبح فى بحار الوعى العقلى ، كارهين أن يكون وراء العقل موهبة مدركة ، لأن طريق الوصول إليها بالغ الوعورة والقسوة . والأمثلة فى الدوائر العلمية على صحة دعوانا هذه أكثر من أن تحصى(١) إن هؤلاء المنكرين لمذهب الوحدة الصوفى يقرأون فى زهو وإعجاب قول « أفلوطين » : إن المطلق لا يمكن أن يكون وحيدا ، ولذلك فإنه يفيض من ذاته أنفسا . وقول رجال المسيحية الرسمية إن التضحية هى التى دفعت الواحد لأن يتعدد .

وبمثل هذه الأفكار البهلوانية يتيه طلابنا وبعض أساتذتهم ، وهم فى

---

(١) راجع ما يختص بالعداء فى هذا الباب فى [النصائح للمحاسبى] .

الوقت نفسه يربطون بين هذه الوحدة العقلية ، ووحدة الوجود الصوفية الروحية ، ويخدعون أنفسهم ويقيمون حولها سوراً من مجازات الإيمان ، وينسبون صفات الحى الفانى إلى الحى الأبدى الأزلى ، سمة واقه ألفها الصوفية فى سلوكهم ، وتعلموا منها ومن مئات أخرى من أمثالها علم النفس الواقعى ، لا علم النفس المنقول المسطور . علم النفس المسطور فى أعماق النفس يشهدونه ويلمسونه بأرواحهم وعقولهم . فلا مماراة بعد الشهود إن جازت المماراة فى علم السطور والاستنتاج .

لقد فطن قدماء الصوفية إلى مدى البعد بينهم وبين غيرهم فى المشاهد العلمية ، فقال الإمام أبو بكر الشبلى واصفا علوم القوم : « ما ظنك بعلم علم العلماء فيه تهمة » . وبمثل هذه الدقة تربى هؤلاء ، فلم يقولوا بالوحدة كما قال فلاسفة العقل الواقعين تحت سيطرة الخداع النفسى . إن الوحدة الصوفية تقوم على أن حقيقة الوجود لا تكون إلا للذات الإلهية ، ولا وجود على الحقيقة إلا للواحد الأحد الحق ، لأن الوجود الحق هو ما لم يكن مستعارا من غيره ، بل كان فياضا من حقيقة الموجود ، وليس ذلك لأى موجود فى عالم الخلق ، فكل وجود غير الوجود الإلهى إنما هو وهمى مجازى ، والوجود الذى نحسه إنما هو بمقدار فيض عين الوجود على أى موجود . وليس هناك شيء على وجه الأرض أو جائل فى الصدور من صور المعلومات إلا وهو فيض من الحضرات الإلهية . فلو رد كل شيء إلى أصله ، وكل مسبب إلى سببه القريب ، وهكذا حتى نصل إلى المسبب الأول جل جلاله لما بقى فى الوجود غيره ، فالمنكرون للوحدة الصوفية يعيشون فى عالم التفرقة ، والقائلون بها ينظرون إلى عالم الجمع ، الصوفى يعيش فى تجريد التوحيد ، وغيره يعيش فى متشابه التوحيد .

إننا لا ننكر بأى حال من الأحوال أن النار هى السبب المباشر للإحراق ، ولكننا لا نستطيع بأى حال من الأحوال أن نعتقد أنها فاعلة بنفسها مستمدة

صفة الإحراق من ذاتها وإلا لأنكرنا نصا من القرآن يؤكد أنها كانت برداً وسلاما على إبراهيم ، فإذا كان الباحث من المتحررين من سلطان الدين فهل ينكر أن هناك من الدهون والعقاقير ما إذا غلف به جسم ما فإن النار لا تستطيع أن تسير في مجراها ، بل تتوقف عنده ، وتعجز عن إحراقه ، وفي المجتمع المصرى دليل يراه الناس كلهم بلا استثناء وهو اللاعب بالنار الذى يرتاد المقاهى فى جميع الأحياء لعرض ألعابه النارية ، ويدخل الشعلة فمه بتأن يتأتى معه إحراق فمه وشفتيه على الأقل ، ولكن المشاهدة لا تحقق للنار عملها . أليس فى ذلك كله دليلا على أن الإحراق ليس من ذات النار بل مستمد من قوة أخرى وهى من القوة بحيث تخترق الحدود التى هى عند البشر فى عامتهم ليس وراءها حدود ولو لفترات قصيرة من الزمن . وخوارق العادة دليل واضح على ما نقول .

وإذا ما فكر السائر فى طريق المعرفة فى العلة الأولى للإحراق فإنه فى هذه الحالة يغرق فى حيرة مؤنسة . وهذه الحيرة ناقوس العلم الذى ينبه السالك إلى أنه على أبواب فتح يشاهد بالقلب والروح ولا ينطق به اللسان ، لا لشىء إلا لأنه مشهد يستولى عليك فيوقفك فى مقام الحيرة ، فإذا استسلمت لها واتجهت إلى الغيب فقد بدأت فى مرحلة الاستمداد والفيض ، فإذا شهد لك سلوكك بالطهارة الظاهرة والباطنة ، والعمل على إحياء شعائر الإسلام فى لذة واسترواح كان كلامك حقا ، ولن تنطق إلا حقا .

هل عرف الإنسان سر الإحراق فى النار إلى الآن ؟ لم يتحقق ذلك مع تلك النهضة العلمية الجبارة . وما دمنا نجهل ذلك فلم إقحام العقل فى تلك الأمور ؟ إن العقل الذى تسيطر عليه الروح يؤمن بالحق المطلق عن الاطلاق ولا يقول إن الحق مبرأ من العيوب ، لأن العيب لا طريق له إليه حتى يبرأ منه ، ولكنهم فى لذة من الحبور بتلك الوقفة الصوفية الرائعة التى تدفع الروح فى حركة هادئة نحو المعرفة الحقة بينما تجد السعادة كل السعادة فى التزام

الأمر والنهى . فالصوفى إذا نطق أو كتب فإنما يكتب من هذه المنطقة من الإدراك، ويؤمن بأن النزول عنها تعبير نازل لاصاعد ، فتبدو أقواله متفاوتة الغرابة عند بعض الباحثين ، وكلما أوغل العارف فى العمق تناولته الألسنة أو استغرقت فى فهمه عن طريق الذوق لا عن طريق العقل ، وهو أمر مقرر فى أصول النقد الأدبى .

والشيخ الأكبر كان أعمق العارفين صعودا بالإجماع . ولكنه حاول أن يترجم مشاهده فى منطقة انقطاع جميع الأسباب ، والحيرة والعجز عن تصوير الذات الأقدس بأى صورة من الصور . فكل ماخطر ببالك فهو هالك والله بخلاف ذلك ، هذه عقيدة الصوفية وقمة إيمانهم الذى يمكن تصويره ، ولم يقم دليل على أن الشيخ الأكبر كان منحرفا عن هذه العقيدة بأى حال من الأحوال .

وأى كلام يترجم به الصوفى الأصيل معارفه فإنما هو ترجمة لخواطره المفاضة من حضرة الغيب على مادونها من الحضرات النسبية ، وإذ جاز معرفة هذه الحضرات فهى معرفة إحساس مفصل بأسرار الكون وبارىء الكون الأعظم . أما إذا استشرف العارف على المشهد الذاتى من بعيد فإنه يعجز حتى تنعدم كل قواه المدركة إلا خيطا وهميا من الحياة يشهد بها القيوم على الحياة . وقد عبر الصوفية عن هذا المشهد بالاحتراق ، وشهود الهوية والاصطلام والبهت ، ووحدة الشهود ووحدة الوجود ، وكل نظر إلى الوحدة من غير هذا الطريق لا يعول عليه عندهم ، بل هى تعبيرات فنية اصطلحوا عليها للتعبير عن لذة لاتعدلها لذة فى هذا المشهد الأقدس . إنها تعبير عن إحساسهم وليست تعبيرا عن حقيقة الذات الأقدسية ، إنها نظر بالقلب إلى أصل الوجود الفعال لما يريد ، الشهيد غير المشهود ، فلا خطر فى أن يتكلم أى باحث من هذه المنطقة بشرط أن يكون حديث الروح المدربة ، لا حديث العقل .

إن العقليين أقحموا أنفسهم فى هذا المجال فصوروه بالعقل ، فضلوا وأضلوا وهاجتهم الزندقة من كل جانب . والصوفى نفسه إذا رقى إلى هذا المقام وفيه بقية من نفسه وأهوائها فإنه يضل ويهوى ما فى ذلك من جدل . ولاعار فى استعمال العقل وحده ، إذا كان عقلا غير واقع تحت سيطرة الهوى والفردية ، ولكن العار فى استعمال العقل المشوب بالهوى والفردية ، لأنه يتجاوز حدود العرف واللياقة فى سبيل تحقيق هواه وفرديته .

ومن الناقدين عقلى مستقيم الخطة والطبع ، مؤمن بكل مواهبه وراء العقل ، ذكى الطبع يميز الزائف من الجيد . ولاخلاف بين هؤلاء والصوفية فى مختلف المجالات . ومن هذا الباب ينضوى تحت رواق الصوفية آلاف المثقفين فى كل فرع من فروع العلم ، لأنها جامعة الروح التى لا تفرق بين ثقافة وثقافة ، فهى تشهد الكون من نقطة واحدة لاتفرقة فيها ، وهى أنهم كلهم صدروا عن علم الذات الأقدس ، ولامشهد لهم فى الكون كله من هذه النقطة إلا هذا المشهد ، الذى لا خطأ فيه ولا عوج ، وهو أساس الوحدة الصوفية التى تختلف فى منهجها وغاياتها من كل مذهب من مذاهب الوحدة العقلية .

والصوفيون لايغفلون الواقع ، ولا ينكرون التفاعل الظاهر فى الكون ولكنهم يمدون عيونهم - وهم يفسرون تلك المظاهر - إلى مشهدهم المحبوب فيسيرون مع الأسباب سببا سببا حتى يصلوا إلى نفس النقطة التى نزلوا منها . وهكذا يترددون فى رحلاتهم الروحية الهادئة الطاهرة ، ويترجمون مشاعرهم فى كل خطوة .

هذا الكتاب :

وهذا الكتاب الذى بين أيدينا أحد الكتب التى ترجم فيها الشيخ الأكبر مشاهده فى منطقة الوحدة على النحو الذى أوضحناه ، ومشاهده فى منطقة الأسباب القريبة المسماة عند الصوفية « بعالم الفرق الثانى » .

والكشوفات العلمية الحديثة كلها تفكك المادة وتستنبط منها وتتحكم فيها ، وتطلقها فى درجات مختلفة من القوة ، ولكن العلماء حينما أرادوا أن يفقهوا أسرارها بعقولهم أفلتت من أيديهم ، ولم يبق منها إلا معادلة حسابية ولاشىء غير ذلك . والطاقة هى الأخرى - وهى الإسم الذى اصطلحوا على إطلاقه على اسم المادة بعد إفلاتها من أيديهم لم يستطيعوا لها فهما - تلك الطاقة هى الأخرى توشك أن تفلت من بين أيديهم ، ولذلك نجد الإتجاه المعملى للعلم يتجه إلى الروحانية فى سباق مع الصوفية إذ أيد العلماء كثيرا من نظرياتهم عن طريق المعامل (١) .

وتلك القفزة قفزها الصوفية فى خلواتهم لا فى معامل الكيمياء .. فى محاريبهم لا فى مجال الجهد والأخطار ، فى غمرة طهارة قلوبهم ، لا فى حومة الحقد والبغضاء ، فى نور الإخلاص والخير لا فى لهب الغش والشر ، قصروا على أنفسهم الطريق لأنهم بدأوا معارفهم من عالم الوعى الروحى ، وبدأوا سلوكهم وطهارتهم من عالم الوعى العقلى ، فلا عجب إن وجدنا العلماء المعمليين والفلاسفة فى القرن العشرين يقولون : « إن من لم يقف إزاء هذا الكون وقفة صوفية فهو حى حكمه حكم الميت (٢) » .

بقى نوع من الدارسين ليس له معمل يهديه بمعادلاته ، ولا فلسفة يحاول الاستهداء بمنطقها ، بل يعيشون فى دائرة ضيقة لا يريدون أن يتزحزحوا عنها . فإذا ما حاولوا الانطلاق أوحى إليهم الهوى فتعقبوا الخير فى البشرية هدما وتخريبا ، وجردوا تراثهم الإسلامى من كل سمات الانطلاق . لا لشىء إلا للدعوة لمبدأ الفردية . والقضاء على مبدأ الشخصية .

---

(١) راجع عقائد المفكرين فى القرن العشرين للمرحوم الأستاذ عباس العقاد
(٢) اينشتين (عقائد المفكرين فى القرن العشرين للاستاذ العقاد) .

« أفرأيت من اتخذوا إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا » .

وقد جمد هؤلاء على دائرة يبدأون من أى نقطة منها وينتهون إليها . ويحكمون السير على خط هذه الدائرة لايتعدونها . وتلك سمة الانطلاق عندهم . فإذا ما انطلق غيرهم وحلق على أبعاد سحيقة من عالمهم اتهموه بالحمق والزندقة والإلحاد .

إن تفسير الظواهر الدينية والكونية بغاياتها القريبة بؤرة الخداع النفسى المقيتة ، لأن نفوسنا فى هذه الحالة توثقنا إلى تلك الغايات القريبة وتدفعنا بعيداً عن أصل الوجود وبارىء الكون. تربطنا إلى النفعية وتبعدنا عن مبدأ الخير للبشر . تربطنا إلى المادة التى أفلتت من أيدى العلماء وأجهزة المعامل، وتزيحنا عما تبوأه غيرنا من مكانات كانت لنا بالأمس . وتلك أخطر الأدواء على تراثنا مهما كره الكارهون . إن كتاب العبادلة لون من هذا الانطلاق المائج الجياش أقدمه إلى القراء راجيا من الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه . وأن يجنبنا الزلل بمنه وفضله . وأن يسير بنا على السنن الحميد . إنه سميع مجيب .

سلوك الشيخ الأكبر

فى هذا الكتاب يتحدث الشيخ الأكبر عن نوع السلوك يكون الفتح فيه أسبق من المجاهدة، ويبين خطورة هذا المسلك ودقته، وحاجة السالك إلى أزر شديد معين من العناية وقوة الموهبة . ثم قال فى نهاية حديثه : « وكذلك كنا » .

ولتوضيح مكان الشيخ الأكبر من السلوك نقول إن سالكى الطريق الصوفى نوعان :

نوع يسبق فيه السلوك على الفتح ، بمعنى أن يبدأ المريد رياضة نفسه ومجاهدتها ، وتطهيرها من أرجاسها على يد شيخ خبير بدسائس النفس ، وكيد الشيطان ، وعقبات الطريق ، وسر الوقت ، وكلما قطع المريد عقبة انكشف عن بصيرته حجاب ، وفتح عليه بما وراء هذا الحجاب من مدركات وعلوم . وهكذا حتى يتم انكشاف الحجب كلها ، وتندرج النفس فى الروح . ويصبح المريد روحا كله بصيرة وعزم ونور ولألاء تنعكس عليه أسرار الكون المغيبة عن كثير من خلق الله . وهنا يكون السلوك قد سبق الفتح ، ويكون الفتح بعد السلوك درجة بعد درجة فلا خوف على المريد ، ولا عبء على الشيخ من هذا النوع من الطلاب .

ونوع يسبق فتحه على سلوكه ، بعكس النوع السابق ، إذ تنكشف حجبه دون سلوك ، أو يقطع بالقليل من العمل ، فى القليل من الزمن ما يقطعه النوع الأول بأشق المجاهدات فى طويل الزمان . أو يولد بفطرة نقية من الحجب ، محروسة بالعناية من ران القلب ، فيشهد المغيب من المعارف والعلوم وينازل المقامات ، ويطوى الطريق طيا سريعا . ثم يعود بعد ذلك فيؤدى حقها من الأعمال والعبادات ، دون شعور بالمكابدة ، ولا إحساس بوطأة المجاهدة . بعكس الأول تماما .

وهذا النوع من السالكين قد ينحرف – إذا لم تحطه العناية – إلى الهاوية ، ومن هؤلاء المنحرفين عن هذا اللون من السلوك الكثيرون من أهل الأهواء الذين تزعموا فرقا امتازت بذكاء عقلى نادر ولكنه منحرف ومن أظهر هؤلاء « الحسن الصباح » شيخ الحشاشين والذى استطاع بذكائه أن يستولى على قلوب الناس حتى اعتقدوا فيه نوعا من الألوهية ، ومنهم «بهاء الله» الذى استطاع هو الآخر أن يقنع الكثيرين بأنه نبى موحى إليه وشريعة من السماء .

ومن استقام على هذا النهج ، وحفظته العناية من الإنحراف ، وآزرته سابقة الحسنى بالاستقامة شيخنا الأكبر الذى يعتبر بحق قمة شامخة من قمم الإنسانية يندر أن يجود الزمان بمثلها .

والواقع أن الشيخ كان منذ صغره روحيا يتمتع بضمير روحى عريق الأصالة يضرب بجذوره إلى أعماق البيئة التى نشأ فيها .

لجده الأعلى حاتم الطائى ، وله فى الكرم أساطير تكشف عن وعى الروح العجيب الذى كان ينبض بالإشفاق على المعوزين ، وبالسرور لسرور الناس ، حتى سرت الدنيا بأحداث كرمه الخارقة .

وجده الذى يليه عدى بن حاتم الطائى « الجواد بن الجواد » الذى وفد فى قومه مسلما سنة سبع من الهجرة ، وعاش مجاهدا فى سبيل الإسلام حتى بعد أن جاوز المائة من العمر .

وأبوه كان رجلا صالحا كان يدمن قراءة سورة « يس » ويؤمن بأنها لما قرنت له ، وكان هو الآخر يتمتع بقوة من الروح استطاع بها أن يلقى فى روع ابنه الفتى محى الدين نفوذ سورة يس ، إذ يروى لنا الشيخ الأكبر أنه كان مريضا مغشيا عليه ، فرأى أشباحا كريهة تحيط به ، ثم رأى شبحا

جميلا مهيبا يدفع عنه ، ويفتح عينيه ، فرأى أباه إلى جنبه يقرأ سورة يس. فلما قص عليه ما رأى قال له أبوه : ياولدى هذه سورة يس .

وبمثل هذا الإيمان واليقين استطاع أن يؤثر فى ابنه الذى حباه الله استعدادا طبيعيا ، فكان أخصب أرض لأكرم بذر يلقيه أب مؤمن وقور حسن الظن بالله .

لم يكن أبوه سالكا ، ولكنه كان مؤمنا حسن النية ، يريد لإبنه النبوغ ، وكان صديقا لإبن رشد الفيلسوف ، وأراد أن يسلكه فى مجلسه ، أما مواهب الفتى محي الدين لم تكن مستعدة للفلسفة النظرية ، بل كانت مستعدة لشيء أعلى قدراً ، وأغلى منالا هو فلسفة الروح وأعماقها وأغوارها التى عاش فيها منذ صغره حتى أصاب ابن رشد بخيبة أمل ، وحيرة قاتلة ، وهز إيمانه بفلسفته هزاً عميقا وهو شاب لم يطر شاربه كما يقول .

وأمه كانت - رحمها الله - لا ككل النساء تغار على ابنها من كل من يتعلق به من الرجال والنساء على حد سواء ، ولكنها كانت سيدة فاضلة رأت ابنها الشاب النابه يلزم خدمة سيدة من العارفات ذوات القدم العالى فى المعرفة والسلوك ، هى فاطمة بنت المثنى القرطبى ، ويطرق سمعها أنها تقول لابنها محي الدين الفتى «نور - وهى أم الشيخ الأكبر - أمك الترابية ، وأنا أمك الروحية ، ومع ذلك لا تأكل الغيرة قلبها ، بل تدفع ولدها إلى خدمتها رجاء بركتها ، وأملا فى أن يبلغ ماتريد له من مجد وعز حققه الله لها مجيدا رفيعا .

البيئة إذن بيئة تنبض بوعى الروح ، ولا يستطيع منطق العقل أن يغلب منطق الروح فى هذا الدم الرفيع الذى تدفق إلى الشيخ الأكبر منذ حاتم الطائى إلى الشيخ الطيب «على» والسيدة الفاضلة نور والدى الشيخ الأكبر ، فلو كان منطق العقل يزن شيئا إلى جوار وعى الروح فى أصول الشيخ الأكبر ، لكان الإبقاء على بعض المال أو جله هو المنطق الذى

لا ينكره إنسان ، ولا يعارضه عقل يؤمن بالمحاسبات التجارية اليومية .
ولكن حاتما ووالده عديا لم يخضعا لهذا المنطق الرقمى فى قليل ولا فى كثير . وما أشبه صنيع حاتم ـ لولا أنه من أهل الجاهلية ـ بصنيع الكبار من أهل مقام التوكل والتفويض الذين لا يعتقدون صدق ملكيتهم لشىء فى الوجود . وذلك نبع أصيل دون شك ماج فى دم الشيخ الأكبر ، وحباه بوعى من الروح يوهب فينطلق لا تحده الحدود ، ولا تعجزه العقبات . ويكتسب فيخضع للعقبات ، ويتوقف أحيانا أمام منطق الحساب .

وأقرب مثال للتعرف إلى فوارق الخصائص بين من يسبق فتحهم على سلوكهم ومن يسبق سلوكهم على فتحهم جوادان أصيلان ، أحدهما جلد عنيف قوى لا يعبأ بالحدود ولا السدود ، موفق فى اجتياز الحواجز والعقبات ، لايخونه حافره ، ولا تهن قوته ، فيقهر راكبه عن الحذر والخوف والفزع من ركضه السريع ، ويشغله بنفسه ، وبمحاملة المحافظة على توازنه . والجواد الأصيل الذى يخضع لمشيئة راكبه ، لأنه فى أغوار مشاعره يخشى العقبات ، وكبوة الطريق ، ولم يجرب الإندفاع بين الصخور والرمال . فاختار مايختار له سائسه ، ولم يقحم نفسه فى مجاهل الدروب . فالنوع الأول يشبه من سبق فتحه على سلوكه تماما . لأن شيخه يحذره ، وقد يفلت من بين يديه كما يفلت الجواد إذا استغرقه جمال الركض ولحن الغيب العازف فى آذانه من صفق الريح ، وقد يعترض شيخه ويقف محاورا إياه ، كما يقهر الجواد راكبه على الطريق الذى يريد إذا استولى عليه سكر النجاح فى قهر الحدود والسدود .

هكذا كان الشيخ الأكبر . يريد شيوخه أن يتحدثوا معه من الألف ، فيجدوه قد انتهى إلى الياء وهذا هو السر فى أنه قد تلقى طريق التصوف عن نحو من خمسين شيخا ، ولم يخضع لقانون السلوك الذى يلزم المريد بالتلقى عن شيخ واحد ، وعدم التلقى عن غيره إلا بإذنه ، ومع ذلك فقد

أهاب بالضعاف - ممن يسبق سلوكهم على فتحهم - أن يأخذوا بهذا القانون خشية البلبلة والاضطرابات وتفريق الجمعية .

ومع هذا النزوع والطموح فهو بحكم التوفيق خاضع للحق لائذ بميزان الشرع من مغبة الانحراف وضلال الطريق ، وقد كرر هذا المعنى كثيرا فى كتاب العبادلة وفى غيره من الكتب . وألح على ضرورة القبض على ميزان الشرع ، والعض عليه بالنواجذ فى كل حال . فزيادة على ما فى العبادلة من ذلك يروى عنه ابن العماد قوله : رأيت فى واقعة وأنا ببغداد سنة ثمان وستمائة أن السماء قد فتحت ، ونزلت خزائن المكر الإلهى مثل المطر العام ، وسمعت ملكا يقول : ماذا نزل إليه من المكر ؟ فاستيقظت مرعوبا ، ونظرت فى السلامة من ذلك فلم أجدها إلا فى العلم بالميزان المشروع . فمن أراد الله به خيرا وعصمه من غوائل المكر فلا يضع ميزان الشرع من يده .

ويحقق خضوعه لهذا الميزان مع نزوعه وسبق روحه إلى آفاق العلا . ما نقله عنه الشعرانى فى اليواقيت ، نقلا عن الفتوحات المكية ٢٤٦ حيث يقول : « إياك أن ترمى ميزان الشرع من يدك فى العلم الرسمى ، بل بادر إلى العمل بكل ما حكم وإن فهمت منه خلاف ما يفهمه الناس مما يحول بينك وبين إمضاء ظاهر الحكم به فلا تعول عليه ، فانه مكر إلهى بصورة علم إلهى من حيث لا تشعر . . . واعلم أن تقديم الكشف على النص ليس بشىء عندنا لكثرة اللبس على أهله . وإلا فالكشف الصحيح لا يأتى قط إلا موافقا لظاهر الشريعة ، فمن قدم كشفه على النص فقد خرج عن الانتظام فى سلك أهل الله . ولحق بالأخسرين أعمالا » .

هذا عقل الروح ، لا وعى الروح المجرد عن عقلها . والذى يسود طبقة المجاذيب الشاطحين الذين يحملون اللفظ ما لا يحمله من معنى . فيغرقون ويغرقون من يتصدى لإنقاذهم . الشيخ الأكبر يعقل بروحه ما يعقله بعقل

نفسه تماما ، ولذلك فهو كبرتاد المجاهل الذى يحمل معه من الآلات والمخترعات التى يمكن أن يهتدى بها المغامر إلى طريق العودة إلى العمران ، ومع ذلك يحمل معه العلم بالزمن والطريق على هدى الأفلاك وزوايا الظلال خوفا من أن تخونه الآلات التى يحملها فى ضغوط الأجواء التى يرتادها ولم يرتدها أحد قبله . وأولا وأخيراً يخضع الآلات لموازين العلم المشروع ليهتدى به علماؤه فى ظلمات البر والبحر .

استمع إليه فى مشهد انطلقت إليه روحه انطلاق السهم لا تعبأ بالأخطار ، وكيف عاد منه بميزان على هدى ميزان العلم ، وكيف دل على خصائص سلوكه دلالة واضحة المعالم حيث يقول فى الفتوحات / ٣٦٧ : « اجتمعت روحى بهارون عليه السلام فى بعض الوقائع فقلت له : يانبى الله ، كيف قلت : فلا تشمت بى الأعداء ؟ ومن هم الأعداء حتى تشهدهم ؟ ، والواحد فينا يصل إلى مقام لا يشهد فيه إلا الله . فقال لى السيد هارون عليه الصلاة والسلام : صحيح ما قلت فى مشهدكم ، ولكن إذا لم يشهد أحدكم إلا الله ، فهل زال العالم فى نفس الأمر كما هو ماتجلى لقلوبكم ؟ فقلت : العالم باق فى نفس الأمر لم يزل . وإنما حجبنا نحن عن شهوده . فقال : قد نقص علمكم بالله فى ذلك المشهد بقدر ما نقص من شهود العالم ، فإنه كله آيات الله فأفادنى عليه الصلاة والسلام علما لم يكن عندى .

أما كيف كان يتصل بأرواح الأنبياء والأولياء فذلك أمر ميسور للموهوبين فى وعى الروح وعقلها ، وللسالكين بوجه عام على شىء من الصناعة يمكن تجربتها فى كل صفاء يسيطر على الإنسان . وقد فصل صدر الدين القونوى طرائق تلك المحادثات عند الشيخ الأكبر فقال كما نقل عنه ابن العماد ٥/١٩٦ : « إن شاء استنزل روحانيته فى هذا العالم ، وأدركه متجسداً فى صورة مثالية شبيهة بصورته الحسية العصرية التى كانت له فى

حياته الدنيا ، وإن شاء أحضره فى نومه ، وإن شاء انسلخ عن هيكله واجتمع به » .

أما إذا أطلت قرون المنطق العاجز هنا ، فإنا نهيب بهـذا المنطق أن يحل لنا إشكالا أكثر حيرة من هذا وهو كيف فكر الشيخ الأكبر وكتب هذا العدد الضخم من الكتب فى عمره هذا مع رحلاته الطويلة ومشاغله الحيوية ، رغم أن عبقرى الزمان من تراهم قد يعمل فى مؤلف واحد خمس سنين ولا يصل إلى نهايته إلا متهافتاً قد أعياه البحث . وأضناه الفكر ، وخبط فى مهاوى الحدس .

إنه إعجاز الخلق الإلهى فى الإنسان . فقد جعل الله من الإنسان نبيا طاهرا مجيدا ، ووليا مقربا حبيبا ، وشيطانا ضالا مضلا مريدا ، وسبحان الله القاهر فوق عباده فى كل حال .

وعلى أى حال فهذا البيت الذى ترعرع ابن عربى من أرضه العجيبة خليق بكل عجيبة ، لأن كان مصدرا للغرائب التى لا يسيغها منطق العقل النفسى حتى أمام وقائع التاريخ الدافعة فقد كان يحيى بن يغان خال الشيخ الأكبر ملكا ، وكان يسير وسط جمع من حواشيه ، فمر بشيخ من أرباب الحال والمقام . فوقف وتوجه إلى الشيخ سائلا : هل تجوز لى الصلاة فى هـذا الثياب ؟ وكان يلبس لباسا رقيقا رفيعاً . فقال الشيخ : مثلك مثل الكلب إذا أراد أن يبول رفع رجله لئلا يصيبه من بوله شىء . وهو غارق فى أكل الجيف .

كلمة لو سمعها أى مترف لأغرق فى الضحك والسخرية . ولـكن الملك خلع لباسه فى الحال وترك الملك وتزهد ، ولبس الغليظ وأكل اليابس ، وصحب الشيخ وأصبح حجة زمانه ، حتى لقد كان شيخه يحيل إليه الفتاوى ، ويستشيره فى معضلات السلوك .

فهذا بيت موهوب تبلورت مواهبه هذه فى الشيخ الأكبر ، فلا عجب إذا استنزل الأرواح ، أو صعد إليها أو استحضرها مناما ، وتعلم منها ، مادام المحترفون من دارسى علوم الروح فى عصرنا — على ما بهم من ضلال المسلك — استطاعوا أن ينخلعوا عن أجسادهم بأرواحهم ، ويتصلوا بملأ غير ملأ العالم المنظور ، وما دامت وقائع التاريخ تحدثنا عن أزمة حدثت حينما وفد إلى مصر ، لأنه اجتمع بقوم من الصالحين فى زقاق القناديل بالقاهرة فى مجلس من مجالس الذكور ، فانبعث نور من سائر جسده أضاء الحجرة ، وأساء العامة فهم مصدره .

فهو الرجل الذى أتى بمعجزات الروح ، ومعجزات الفكر ، ومعجزات السلوك والمعرفة على النحو الذى نراه فى كتبه الآن .

تاريخ تأليف العبادلة

من عادة الشيخ الأكبر غالبا أن يسجل الأحداث والمشاهد الغريبة التى نازلها مقرونة بالبلد الذى شهدها فيه ، ومن هنا سهل علينا أن نعرف متى ألف كتاب العبادلة .

ففى أثنائه حث الناس على النظر إلى مساوىء الدنيا ومحاسن الناس ، وأشاد بالفوائد الجمة التى يحصل عليها من يعيش فى هذا المشهد من الراحة والسكون الذى يشبه السكر الحلال .

ثم قال فى نهاية كلامه : «ولما ذقت هذا المشهد بدمشق ، أشهد لقد بقيت فى لذتها كالسكر أياما طويلة .

ومن المعلوم لنا أنه استقر بدمشق للإقامة فيها عام (٦٢٢) هـ . فإذا كان مولده فى عام (٥٦٠) فانه يكون قد كتب كتابه هذا وهو ابن ٥٥ من عمره تقريبا أى بعد الستمائة من الهجرة ، وبعد أن نضجت مواهبه ، واستقرت به المعرفة فى واد كريم رفيع . ولذلك نجد هذا الكتاب ميزانا

شرعيا عادلا لكل من نزعت به روحه إلى آفاق المعرفة العليا ، حيث تنعدم الموازين لدى الكثيرين من الجامعين الشاطحين .

ظاهرة سعيدة

وأخيرا أراد الله للشيخ الأكبر أن يدرس ويفهم على ضوء العصر دراسة منظمة واعية إن شاء الله . فوجه أستاذنا الدكتور محمود قاسم عميد كلية دار العلوم إلى تنظيم سلسلة من الدراسات الحية لتراث الشيخ الأكبر .

والدكتور محمود قاسم أستاذنا منذ عام ١٩٤٦ ، وأعرف فيه الجدية والمثابرة والإصرار والتركيز ومجالدة الصعاب حتى يصل إلى هدف واضح ، ولذلك ألحقنا بالعاملة «مرآة المعانى» و «التجليات» . رجاء الوفاء بحق أستاذيته الكريمة والإسهام فى تسهيل المهمة التى أرادها ، وكلنا قلوب ترعى مسعاه الحميد وترجو من الله أن يوفقه إلى مجد خالد فى هذه الدراسة ، وأن يوفق طلابه إلى الإنصاف ، إنه سميع الدعاء .

القاهرة — عبد القادر أحمد عطا

رموز التحقيق

الأصل = نسخة خاصة .

و = نسخة دار الكتب المصرية .

هـ = نسخة المكتبة الأزهرية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا) (١)

الحمد لله بحمد الحمد (٢) فإنه أوفى ، وله المقام الأخلص الأصفى ، وصلى الله على محمد الحفى بمـا أقوله الأحفى ، وسلم تسليما كثيراً من مقام السر الأخفى (٣) .

(أما بعد) (٤) . فهذا كتاب ذكرنا فيه ما نطقت (٥) به ألسنة العبادلة عند تحققهم بما حققهم به الحق فى سرائرهم . وما ترجمته لقلوب العارفين المقربين من ألسنة الفهوانية (٦) الناطقة عن كلمة الحضرة . قبل تخلصه إلى ضمائرهم ، فأفصحوا عما هو الأمر عليه غيبا وشهادة ، وعلما وعبادة .

والمترجم فى هذا الكتاب ابن جامع عن أب مقيد . فالأمر بين أبوة وبنوة ، عام الحال ولاية ورسالة ونبوة .

ولما كان عبد الله اسما جامعا لمراتب العلا ، لذلك جعلناه ترجمانا . إذ [كان] (٧) الترجمان جامع ألسنة . ثم أضفناه إلى مقام عبد حصلت له مرتبة ما من مراتب الاسم الإلهى . وأضفناه إلى شخص كامل من نبى وولى .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : ه .
(٢) فى ه : بحمده الحمد .
(٣) فى ه : من مقام السر وأخفى .
(٤) ساقط من . د .
(٥) فى ه : فإنى ذاكر فى هذا الكتاب . .
(٦) الفهوانية : حال تعترى المتوجه إلى الله تضعه بين النوم واليقظة مع نشاط فى الوعى الروحى .
(٧) ساقطة من : د .
(٨) فى د : وخرجت الخزائن .

فأوضحنا المبهم ، وفصلنا المتشابه من المحكم ، وفصلنا المجمل ، وفتحنا المقفل ، ورفعنا المسدل ، فظهرت الأسرة ومن عليها عند رفع الحجال ، وظهر ما فى الخزائن عند فتح الأقفال ، وتبينت المراتب مع ذهاب الإجمال(١) . والله تعالى يملى على مواقع الالهام ما تسطره (٢) فى الصحف والدفاتر الأنامل والأقلام .

ولا غلط ولا تصحيف . ولا تحريف . ومهما ظهر من ذلك من شىء فهو راجع إلى عين الفهم لا إلى عين العلم . فالعلم المحفوظ المعصوم . والفهم المرجوم وقتا المحروم .

والله يلحقنا دار العناية . ويحفظنا بعين الرعاية والكلاءة .

فأولهم رضى الله عنهم .

---

(١) فى د : مع نصاب الإجمال . (٢) فى هـ : ما استظهره .

القسم الأول

من كلام العبادلة ، فى الحقائق

بألسنة الأسماء

وهو خمسة أجزاء

الجزء الأول

من كلام العبادلة فى الحقائق

بألسنة الأسماء

فى هذا الجزء

عبد الله بن عبد الله
وابن عبد البر
وابن عبد الحق

وابن عبد الرحمن
وابن عبد البارى
وابن عبد المهيمن
وابن عبد الخالق

وابن عبد ربه
وابن عبد الرحيم
وابن عبد الكافى

عبد الله بن عبد الله بن محمد بن عبد الله

قال عبد الله بن عبد الله : أول ما ظهر من الحضرة الإلهية الإسم (١) ، وأول ما ظهر من الحروف الباء (٢) ، وأول ما ظهر من الموجودات الجوهر ، وأول ما انصبغ به النور (٣) . وأول عرض ظهر الحركة ، وأول نعت أشهد بعد الوجود الجلال ، وأول نطق ظهر (منه) (٤) أنا ، وأول صفة قبل منه الحياء ، وأول حال طرأ عليه الذوبان ، وأول علم قبل عليه العلم بالله ، فرآى نفسه فى ذلك العلم .

وقال : العالم مأخوذ من العلامة ، فكل حقيقة منه علامة تدل على حقيقة إلهية ، إلى تلك الحقيقة مستندها إيجادا ، وإليها مردها (ومرجعها)(٥) عند انفصالها .

فإذا ذكر الله (تعالى) (٦) العالم فانظر إلى أى اسم أضافه ، فتعرف من ذلك أى عالم أراد (من العوالم) (٧) .

وقال : إذا كنى الحق (سبحانه وتعالى) (٨) عن نفسه بالإفراد ، وكنى عنك بالجمع فلوحدانيته(٩) ، وكثرتك ، من حيث عدم إستغنائك ، ووجود افتقارك .

وإذا كنى عن نفسه بالجمع مثل: « إنا ، ونحن » فلحقائق الأسماء الإلهية،

---

(١) هو اسم آدم ، والأسماء التى علمه الله إياها .

(٢) من حيث هى أول البسملة . ولذلك فهى أول حرف ينطقه الطفل تقريبا .

(٣) فى د : انطبع .

(٤) ساقطة من : هـ .

(٥) ساقطة من : هـ .

(٦) ساقطة من : د .

(٧) ساقطة من هـ .

(٨) ساقطة من : د .

(٩) فى هـ . فلأحديته . خطأ ، لأن الأحدية لا تثنين فيها الوحدانية ولا الإفراد .

وإذا أفردك فإنما خاطب منك معنى ما ، لا كلك ، فأعرف من خاطب منك ، وافتح سمعك (١) إلى خطابه .

وقال : كثرة الطرق من أجل تعدد الحقائق (٢) ، والمستقيم منها ما شرع ، ومصيرها كلها إليه .

وقال : فى طلب العون إثبات دعوى الكون (٣) . فيقولها العارف من حيث أنه مأمور بالقول ، وهو يعرف من هو القائل ، ومن هو العارف بمن هو القائل .

وقال : الجزاء على قدر الأعمال للعامة ، من عين الملك ، فهى أعواض . وللعارفين من عين المنه (٤)

وقال : إذا ثبت أمر بين إسمين إلهيين فله وجهان ، لكل اسم وجه يخالف الوجه الآخر . فإنه يطلب الاسم الذى قبله من حيث أنه ظهر من وجه ما ، (٥) فذلك مقام حق ، ومقعد صدق . ومرتبة عظمى لما تقدمها وتأخرها من الأسماء ، فهى محفوظة عن الطوارق الحجابية .

ومنهم رضى الله عنهم :

* * *

عبد الله بن عبد الرحمن بن إلياس

قال ابن عبد الرحمن : من اتقى الله كوشف بحقائق البيان ، فلا يقع له فى الأشياء شك ولا ريب .

---

(١) فى هـ : وافتح سمعه .   (٢) فى هـ : كثرة الحقائق .

(٣) أى دعوى الكون بالوجود فى قوله ، إياك نستعين ، مثلا .

(٤) فى د : من غير الملك .. من غير المنة .

(٥) فى هـ . من حيث أن عنه ظهر ذلك الاسم من وجه ما .

وقال : من علم أمرا ما فهو مصدق بأن ذلك مقر الأمر على ما علم على ماهو عليه فى عينه ، وليس بمؤمن شرعا حتى يقربه لقول المخبر لا لدليله . (ويقول ذلك على طريق القربة إلى الله سبحانه) (١) ، وذلك التصديق هو الإيمان (٢) (فازاد عليه إلا قوله بطريق القربة) (٣)

وقال إقامة كل أمر حياة ذلك الأمر ، وهو قيامك بواجب حقه ، وأعلى حقوقه رؤية الحق فيه ، وإذا رأيت الحق فيه سقط عنك الوجوب والحق ، فكان إظهار الأمر إظهار موجود فى العين من غير حكم ، فهكذا هى أعمال المقربين ، وقد وقفت على كلام بعضهم وقد قال : « الزم الفرض واترك السنن » .

ثم شرح فقال قولا هذا معناه : رؤية الحق هى الفرض . ورؤية الكون بالحق هى السنن . فإذا رأيته به فلا فرض ولا سنن (٤) .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من د .

(٢) النوع الأول آمن بعلمه على مقتضى الدليل والتجربة ، والثانى هو الإيمان الشرعى بقول المخبر وهو الله ورسوله إيمانا غيبيا دون طلب دليل كإيمان أبى بكر خاصة . أما طلب الخليل عليه السلام تجربة على إحياء الموتى فإنما كان لتقوية الإيمان لا لبناء أساسه . « ليطمئن قلبى » والإيمان بالغيب يحتمل المغيب عن الإدراك ، ويحتمل مانحن بصدده الآن .

(٣) مابين الحاضرتين ساقط من د .

(٤) هذا تحقيق لأعمال المقربين حاول بعض المفكرين أن يفهمه على غير وجهه ، فاتهم المحققين بالقول بسقوط التكاليف . وهم بعيدون عن هذا الزعم ، إنما يقولون بسقوط الكلفة والمشقة والمكابدة لاغير . فإذا رأينا رجلا يدمن الصوم ويسعد به . فهل من اللائق أن نقول له : فرض عليك الصوم فى رمضان ؟ ليس هذا سوى عبث صريح ، لأنه فى غير حاجة إلى هذا التنبيه ، وإنما يقال هذا لرجل أفطر فيه . أوشعر بالكلفة فى صومه =

وقال ابن عبد الرحمن : المواهب كلها توهب . ولا سبيل إلى إمساكها . إلا أنه لكل وهب أهل . فلا يتعدى بالواهب أهله . فن هنا كان الوهب أمانة . ووضعها فى غير أهل خيانة .

وما لا يوهب فذلك من خصائص الحق . وقد يكون الوهب بالعبارة . وقد يكون الوهب بإيضاح الطريق إذا كان لا ينقال .

فإذا علمت علم ذلك حصل لك ذوقاذلك الأمر ، فهو وهب بالتبعية .

وقال : علمك باليقظة بعد النوم ، علمك بالبعث بعد الموت . والبرزخ واحد . غير أن للجسم بالروح تعلقا لايكون بالموت . وتستيقظ على ما نمت عليه . كذلك تبعث على مامت عليه فهو أمر مستقر .

وقال : العيان يشد الإيمان ولايقابله . كما قال بعضهم . فإن بعض الناس جعل الإيمان لايكون إلا لمن ليس من أهل العيان ، نعم ، إذا وقع العيان على مالم يسبق به الايمان ، فما ثم إيمان لايرى له عيان .

وقال : القفل يكون عليه الختم والطبع ، والطبع علامة فى الختم . والختم هو الذى يرد عليه الفتح ، وقفل كل شىء بحسب خزائنه ، وكذلك الختم والطبع مشاكلان لذلك ، ولكل ختم مفتاح على شكله ، وعلى عدد

= ولا يقال لمتمشق العبادة : وجبت عليك العبادة . وهكذا . فأعلى الأعمال شهود الحق فيها ، وأنه مسير العابد وفاعلها ومجريها عليه . فإذا دام العابد على هذا الذوق صارت جميع الأعمال العبادية ملكة تصدر عنه دون شعور بكلفة . فمن ثم تسقط عنه كلفة الأعمال . ولا يصح أن يقال بالوجوب فى حضرة شهود الحق كما أوضحنا ، لأن العمل صادر من حضرة التقريب ، لا من حضرة الأحكام ، وفى حضرة التقريب تؤدى الأعمال وإن لم تجب ، ومنها الورع . ولزوم السنن والمندوبات . وأما العابد على غير هذا الذوق فهو يتعثر فى أداء الفروض . ومن ثم يخاطب بالوجوب والفرضية .

الوجوه تتعدد الأقفال. والخواتم والأطباع منها حسية ، ومنها معنوية، أى غير محسوسة .

وقال : من نعتك بشىء فقد قام به ذلك النعت . فهو أحق به . وقد تكون أنت على ذلك وقد لا تكون . .

وكذلك من سئل عن شئ فعنده ذلك الشىء (١) . وهو من أهله ولابد فتعين الجواب . ولذلك قال : « وأما السائل فلا تنهر » . وصية لك وتنبيها على ذلك فى . وقت : « ووجدك ضالا فهدى » .

فلاتقل للسائل : لست من أهل ما سألت عنه ، فإن ذلك غلط (٢) ، والذى عليك أن تنظر مسألته ، وللمسئول عنه وجوه كثيرة ، فتجيبه منها بالوجه (الذى يليق به)(٣) ، فذلك الوجه هو الذى دعاه إلى أن يسألك من حيث لايعلم ، ويعلم صحة ذلك(٤) بقبول الجواب .

ومتى مالم يقبله فأنت القاصر فى معرفة ما له من الجواب فى المسألة ، فلا تلمه ولم نفسك(٥) .

وقال : الشعور ينبىء عن الإجمال ، والعلم ينبىء عن التفصيل . والسؤال أبداً يكون من حيث الشعور والإجمال ، والجواب يكون من حيث العلم والتفصيل .

فمن شعر سأل ، ومن علم أجاب ، ومتى سأل العالم فليس سائلا ، بل هو مختبر ، (والخبرة تكون للعالم ولغيره)(٦) .

---

(١) فى ه : فقد تصور ذلك الشىء (٢) فى د . فإنه غلط .

(٣) فى د . بالوجه اللائق. (٤) فى ه . ويعلم صحة ما قلناه .

(٥) وتلك هى الحكمة ، ووضع الشىء فى مكانه ، « أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم » .

(٦) مابين الحاصرتين ساقط من د

وقال : العارف ينصبغ فى كل لون ، لأنه المتمكن فى التلوين ، ولكل مرآة وجه ، ووجوه العارف غير متناهية .

وقال : ينعقد البيع على المحرم ، إلا أن صفقته خاسرة ، ومهر البغى حرام وسماه مهرا ، وانعقاده من جهة المشترى ، لا من جهة البائع(١) ، وهو من باب إضاعة المال ، فإنه ما يصل بيدى المشترى ما ينتفع به فى الكونين (٢) .

ولذلك قلنا : مهر البغى حرام على البغى ، فهو حرام على غيرها ، فإذا بلغ الشىء محله كان حلالا لمن كان حرم عليه (تصدق على بريرة فأطعمت منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكل منه على علم ، والصدقة عليه حرام، فهوعلى بريرة صدقة ، ومن بريرة هدية للنبىصلى اللهعليه وسلم)(٣) .

وقال : اشتاقت الجنة إلى سلمان وعلى وعمار وبلال . هكذا ورد فى الخبر النبوى ، لمناسبة بينهم وبين الجنة لا تعلم إلا من الجنة التى هى صاحبة الصفة الشوقية ،(٤) لا كما زعم بعضهم أن ذلك راجع إلى معانى أسمائهم ، لا إلى أشخاصهم .

ولا نشك أن ذلك راجع إلى أمرين :

الأمر الواحد : لأن حقائق أعمالهم تطلبها . فإذا أجابتهم لم تجد من يقبلهالغيبتهم عن ذلكبشهود مجرىتلك الأعمال ومنشئها ، والغائب المحبوب يشتاق إليه .

---

(١) جاءت كلمة البائع بدلا من المشترى وبالعكس فى د .

(٢) فى هـ . فى الحال .　　(٣) مابين الحاصرتين ساقط من د .

(٤) فى هـ : لأنها صاحبة الصفة الشوقية .

والأمر الآخر لايمكن التعريف به حتى يقع لك التعريف به من جانب الحق سبحانه(١) .

وقال : معرفة الحروف والأسماء من خصائص علوم الأنبياء عليهم السلام ، من كونهم أولياء ، ولهذا تقع المشاركة فى العلم بهاتين للأولياء والأنبياء .

وقال: الملأ الأعلا والروحانيات العلا ليسوا بأنبياء ولاأولياء ،ولذلك ماعرفوا الأسماء وإن كانوا مقربين ، وتقربهم أداهم إلى الاعتراض ، (فهو اعتراض إدلال) (٢) ، بما أعطاهم الكشف الصحيح .

وكذلك كان . وما أرادوا بذلك فسادا حكميا . وإنما رأوا وقوع الفساد والسفك من غير تعلق الحكم بالحد والذم ، فنطقوا بالكائن ،والذى لم يعلموا به [هو] وجه الحكم .

وكانت النشأة عند اعتراضهم ممتزجة من نور الروح ، وظلمة الجسم الطبيعى (٣) ، ولم يكن فيها من نور العلم شىء ، فلما علمه الأسماء بعد ذلك — والاعتراض قد حصل بقوله : « أعلم ما لاتعلمون » — خلق فيه من علم الأسماء بما أجمل فيه من علم الإنسان ، فلما علمهم الإنسان كانت الأسماء أولياءه وهو ولى الله فى هذا المقام خاصة(٤) .

---

(١) يمكن تعليل هذا الوجه باستغراقهم الذاتى الذى جعل الأعيان والأسباب تنعكس معانيها فى نفوسهم فسعدوا بما شقى به الناس ، وتلذذوا بما تألم منه الناس . فاشتاق إليهم النعيم الحق ، لأنهم باينوا النعيم الدنيوى بأرواحهم .

(٢) مابين الحاصرتين ساقط من د .

(٣) فى ه . من نور الكون وظلمته من روح وجسم .

(٤) الملائكة أنوار عابدة ، غير مستعدة لأن تعمل فيها الأسماء ، بل هى التى =

وقال : سجدة الملائكة لموضع اللام فى قوله : «اسجدوا لآدم» ، (فأسرعوا بالسجود)(١) . ومن أجل موضع اللام وقع التقرير على إبليس فى «مامنعك ألا تسجد لما خلقت بيدى» ، لأن إبليس قال : «أأسجد لمن خلقت طيناً» .

فما ذكر آدم فى السجود تصريحا ولا كناية إلا واللام معه ، فعلمت الملائكة ماجهل إبليس .

وقال : المحبوب لا يخاصم ولا يعارض ، والمحب لا يكون محبوبا إلا بالقيام بشروط دعواه (٢) ، وإبليس فى هذه المسألة عار من الصفتين ، وقد شهد على نفسه ، وبالذى منعه ، فهو أعلم بنفسه وبالذى منعه من الذى احتج عنه وأقام عذره . ثم شهد عليه الله تعالى بالاستكبار والكفران .

وقال : إذاكان الحق سبحانه كل يوم هو فى شأن فحال على الأكوان الإقامة على نعت واحد زمانين ، فالتلوين مع الأنفاس ، والبينة على ذلك «لن نصبر على طعام واحد» .

= تعمل بالأسماء ، لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون ما يؤمرون . فليس لهم حكم النظر . بل يجرى عليهم حكم التسليم المطلق . ولذلك لم تكن فيهم نبوة ولا ولاية . لعدم مجانستهم لآفاق الولاية والنبوة من حيث إنهما تظهران فى مرتبة الجهاد بين ضد وضده . ولا جهاد فى عالم النور المحض . وحينما وقع الاعتراض سلب عنهم حكم النور حتى ينظروا . وفى اللحظة التى أنبأهم فيها آدم بالأسماء كان فى مرتبة متوسطة بين الجمع والفرق . يحكم فى عالم الفرق ويحكم عليه عالم الجمع .

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من هـ .

(٢) فى هـ . لايكون محجوبا لقيامه بشروط دعواه .

وقال : الله قبلة من لا يتقيد بالجهة من حيث حقيقته، وقبلة الحائر وإن كان ذا جهة ، وإنما شرع التوجه إلى الجهة ليكون العبد بحكم الاضطرار ، لا بحكم الاختيار ، إذ هي حقيقة العبد ، (ولاجتماع الهم على أمر واحد)(١) .

وقال : في الرجوع إلى الله صلاة وهدى ورحمة ، فالصلاة معرفة ، والهدى مكاشفة ، والرحمة لطف متعدد .

وقال : طلوع الشمس من المغرب آية على ترك الأعمال ، ولا يعلم بذلك إلا الرجال ، فذلك أول وقت من أوقات الآخرة .

فإذا طلعت الشمس للعارفين من مغاربهم ، وأشرقت على بصائرهم ، فأبصرت الأعين من هو العامل بهم(٢) . فذهبت الأعمال من حيث هم ، لا من حيث هي ، فهم عمال الأعمار : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » ومنهم رضي الله عنهم .

* * *

عبد الله بن عبد ربه بن ابراهيم

قال ابن عبد ربه : المحكم ما يخلص لك أوله ، والمتشابه ممتزج . فنسب الزيغ لمن تبع المتشابه ، وهو الميل إلى الوجه الذي فيه التشابه . والفتنة الإخبار(٣) ، فهو إنباء عن حقيقة ، ولا يعرف علم المتشابه إلا من العين ومن الحق .

وقال : شهادة المرء على نفسه إذا كان عدلا مقبولة عند الحاكم إذا كان

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من د .
(٢) في د . فأبصرت الأعين إلا لعامل ليس هم .
(٣) في ه . الاختيار .

عالما . وإنما لم تقبل فى ظاهر الشرع من حيث أن الحاكم ليس بعالم (بصدق الشاهد) (١) .

ويقرب من هذا فى الشرع فى بعض المذاهب شهادة المرء لولده إذا كان عدلا ، ولابد من شاهد آخر ، أو يمين يقوم مقام الشاهد .

وقال: كل شهادة لفظية دعوى، فتحتاج إلى شهادة ، فلذلك أقل الشهود اثنان أو يمين ، ولما كان اليمين يقطع به الحق الحالف لنفسه لذلك صحت شهادة العدل لنفسه .

وقال : العلماء ورثة الأنبياء فى العلم والابتلاء ، فعلماء الرسوم ورثوهم فيما نقل عنهم ، وعلماء الحقيقة ورثوهم فى الأمر بالمعروف ، فابتلوا كما ابتليت الأنبياء ، وهو قوله : « ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس » .

وقال له قائل : أين حجر الحق الفكر فى ذاته ؟ فقال : فى قوله : « ويحذركم الله نفسه » .

وقال : إذا استحسن الإنسان أمرا ، وتعلقت الهمة بتحصيل مثله من جانب الحق فإن الحق سبحانه وتعالى يعطيه ذلك على أخص أوصاف ذلك الأمر وأعلاها ، وإن لم يكن مقصودا للسائل ، وما يعرف هذا إلا قليل من العالمين .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من هـ .

(٢) فى هـ . ولذلك قلنا بقبول ...

(٣) فى هـ . ولا يعلم هذا من العارفين إلا قليل .

وقال : انتهاء محيط الدائرة إلى نقطة ابتدائها ، فالخواتم أعيان السوابق وإن كان بينهما أمر فلا أثر له(١) .

وقال : كل سالك على طريق فهو مائل عن غيره من الطرق ، فالطرق كلها ميل ، فلو كانت طريقاً واحدة لم يكن ميل .

وقال : العلماء كون العظمة الإلهية ، والعرش كون الاستواء الرحمانى ، والسماء كون النزول الربانى ، والقلب سعة الإلهية .

ومنهم رضى الله عنهم :

* * *

عبد الله بن عبد البر بن يونس

قال ابن عبدالبر : مادام العبد بين السماء والأرض ينبغى له أن يستعيذ من عذاب جهنم .

وقال : لما كانت الرحمة سجية من الرحمن صح النسب الإلهى بينه وبين الرحماء .

وقال : إذا وقع الاطلاع عند التحام الزوجين كان النتاج ولا بد(٢) .

وقال : صدور الكثرة عن الواحد من كون الواحد له وجوه كثيرة .

وقال : إنما كان للرجل سهمان وللمرأة سهم واحد لما له من التحقق بالقيومية . ألا ترى المجاهد؟ للفارس سهمان ، من أجل قيامه بالفرس ،

---

(١) فى ه : وإن كان بينهما أمور فلا أثر لها . ويقول الصوفية : البدايات علامات النهايات فبداية العلم الإلهى هى نهايته ، فقد أثبت العلم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه الجنة وانتهى إليها عمر وكان فيما بين البدء والنهاية يحارب دعوة الله ويئد البنات ويسجد للوثن ، وبالعكس فى إبليس . وهكذا .

(٢) وقد أوضحنا سر ذلك فى م عبدالله بن يوحنا ، فى الجزء الرابع من هذا القسم .

فذلك سهم الفرس لاسهمه ، وللراجل سهم ، وإن كان أكثر مشقة ، وأقرب إلى التهلكة .

وقال : إذا تحقق العبد فى سره ملكه لله سبحانه حالا وجنانا فالعقوبة ساقطة عنه (فى الدار الآخرة)(١) وعلى قدر مايتحقق به من الحرية تزول عنه الحماية الإلهية .

وقال : النكاح أفضل من الصبر عنه ، والصبر أفضل من نكاح الأمة.

وقال : الدين الحنيفى هو المائل ، والحاكم العادل هو المائل ، والعدل والحنف : الميل . والميل مرض . وليس فى الدين مرض .

والجائر : المائل . والجور : الميل . ولا شك أن هنا مرضا . وأينما تولوا فثم وجه الله . وألا إلى الله تصير الأمور(٢) . وكل طريق فالحق غايته . والباطل عدم . والعدم لاشىء . فلا يمال منهم ولا إليه .

ومنهم رضى الله عنهم .

* * *

عبد الله بن عبد البارى بن عيسى

قال ابن عبدالبارى : لاإله إلا الله ، نفى وإثبات . والمنفى لاعين له . فعلى من وقع النفى ؟ والمثبت موجود . فعلى من وقع الإثبات ؟ والمنفى عين المثبت عين المثبت . والمثبت عين النافى عين المنفى

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من ه .

(٢) لايراد أن السير على الجور من الطرق الموصلة إلى الله ، بل المراد أن كل طريق من أى نوع كان فهو يكشف عن الحكمة الإلهية ، وينبىء عن سر التدبير .

فهذه ست ، وهي عين واحدة ، فمن قالها حكما فا غرف ، ومن قالها بقول الله فقد قالها وهو مؤمن(١) .

وقال : ابراهيم وسليمان سألا رب العزة أن يلحقهما بما شهد به لابنى الخالة عيسى ويحيى .

وقال : إنما كان الكامل أسود الوجه فى الدنيا والآخرة لأنه دائم المشاهدة . فيرى ظلمة الكون فى نور مرآة الحق .

ومن دونه من السعداء بالعكس . فإنه أبيض الوجه فى الدنيا والآخرة لأنه مرآة الحق . فتنتفى ظلمته بنور حقيقته . وهو قوله « كنت سمعه وبصره » . وهو قرب النوافل . والأول قرب الفرائض(٢) .

وقال : من كان مشهده الذات جهل فى الدنيا والآخرة . فلم ينفع ولم يشفع . فهو فى راحة الأبد .

وقال : الكامل من أعطى التصريف فتركه لمن أعطاه إياه . كأبى السعود وابن الشبل ببغداد .

---

(١) حقيقة الذكر التى يوجهنا إليها الشيخ الأكبر : أن نردد كلمة التوحيد وكأننا نسمعها تلقينا من الله دون أن نعمل بها فكرا منطقيا على الصورة التى فسرها وفرعها ، بل نستشعر التوحيد المطلق والعظمة القائمة حتى يقع لنا التعريف الإلهى الذى يعتبر ذوقا لايخضع لتفسيرات العقل .

(٢) المراد بالأول الكامل الذى هو أسود الوجه فى الدنيا والآخرة والمراد بقرب الفرائض شهود الله تعالى والمراد بقرب النوافل شهود الأكوان بالحق ، والمراد بسواد الوجه ظلمة النور الناشئة من أمواجه المتراكمة ، وارتداد النور إلى الباطن متوجها . والكامل أعلى لأنه لا يشهد إلا الحق ، فإذا نظر إلى الكون رأى الظلمة . والثانى يرى امتداد النور إلى الآفاق . ولذلك قالوا إذا ظهرت الوضاءة على وجه ولى فهو أقل شأنا ممن لاتظهر عليه الوضاءة .

وقال : المحمدى لامقام له ، ومن عين لنفسه مقاما كان له ، يا أهل يثرب لامقام لكم ، (ومنهم رضى الله عنهم) .

* * *

عبدالله بن عبد الرحيم بن موسى

قال ابن عبدالرحيم : الصمدانى من يستغنى ولا يستغنى عنه .

وقال : الربانى لايستغنى عنه ولا يستغنى(١) .

وقال : الفرق بين الحق وحكمه : أن الحق فى جميع الأطراف . وحكم الحق فى طرف واحد . ولهذا المجتهد مصيب ومخطىء ينظر إلى عبدالحكيم .

وقال : التنزيه لك . والتشبيه له . من بحر العلماء الذى بينك وبينه(٢) .

وقال : العلم نور ، والنور حجاب ، والحجاب عمى ،(٣) ، والعمى حيرة . والحيرة وقفة ، والوقفة هلاك .

---

(١) لأن الربانى فى مقام الربوبية ، والربوبية لا تتحقق إلا بمربوب . أما الصمدانية فلا تطلب شيئا وهى مقصود كالربوبية .

(٢) المراد أن العبد ليس مطالبا إلا بتنزيه الحق عن المثل والنظير . أما التشبيه الوارد فى بعض الآيات فهو لله وهو أعلم به ، ولايجوز للعبد الخوض فيه لأن بينه وبين الحق بحرا من العماء والعظمة لا إدراك فيه ولا رؤية .

(٣) التجارب السلوكية فى التصوف تعطى أن كل شىء سوى الله عمى بما فى ذلك العلم ، لأن العلم يطلب معلوما والمعلوم محدود ولا حدود للحق . وكل محدود حجاب ، والحجاب عمى ، وليس ذلك صدا عن العلم كما فهم من فسروا الفلسفة الصوفية على ضوء الفلسفة العقلية . بل إن هذا الشهود مرتبة من مراتب المعرفة ، ويجب إحياء العلم ودراسته ومقارنته بنتائج التجارب السلوكية للوصول إلى هذه النتيجة الذوقية ، فالصوفى يسعد بما هو أعلى من العلم ... أى بنبع العلم وفيضه الأول فى أعلى مراتبه .

وقال : الرجل متحرك مالم يفتح عليه ، فإذا فتح عليه سكن . وقد وقع التنبيه على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح » .

وقال : الوقوت شرط فى صحة أداة الصلاة المفروضة ، فإذا ذهب الوقت ذهب لذهابه الفرض ، وتعلن الإثم[١] .

وقال : تكمل الفرائض من التطوع بما فيه من الفرض ، سجود لسجود ، وركوع لركوع ، وقنوت لقنوت .

وقال : نائب الحق فى العالم إذا خلعت عليه العظمة لم يرد له قول ، وإذا لم يعط ذلك خوصم ورد قوله مواجهة .

وقال : تلاوة القرآن وسرد الحديث ليس من قول التالى ولا السارد ، وكذلك كل حاك ، فإن الله يقول : « لا خير فى كثير من نجواهم » . أى مناجاة بعضهم لبعض « إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس » .

ونحن نعلم أنه من تلا فقد أوتى خيرا كثيراً ، ولكن ليس قوله[٢] .

وقال : المؤمن مأمور بالإيمان .

ومنهم رضى الله عنهم .

***

عبد الله بن عبد الحق

قال : رؤية المنافق للجنة ، ولذته برؤيتها ، وطمعه فى دخولها ، وتخيله أنها جزاء لعمله ، بخلاف الكافر ، ولذلك أيضاً ليس له فى الدرك

---

(١) تبين إلى وجوب التعرض للنفحات الإلهية ومراقبة الوقت ، والتحذير من فوات أيام الرحمات فى الدهر .

(٢) أى من نظر إلى صوته وحروفه ولحنه عند التلاوة فلا خير فى تلاوته ، وإنما يؤتى التالى الخير إذا شهد أن التالى عليه هو الله بقلبه ذوقا لا تشبيها .

الأعلى من النار نصيب ، وله فى الدرك الأسفل ، والكافر معذب فى الأعلى والأسفل .

وقال : جنات الأعمال يتفاضل فيها العمال بحسب ملازمة أعمالهم ، ومن جهة المكان والزمان ، والقول والحضور ، واستيفاء الأركان . ومن هذا الباب قول النبى صلى الله عليه وسلم : « بم سبقتنى إلى الجنة(١) » ؟

وقال : جنات الاختصاص من عين الجود والمنة (٢) .

وقال : القصاص وإن كان سيئه من حيث إنه يسوء ، لامن حيث الحكم ، قولا كان أو فعلا .

وقال : الأجساد من عالم الخيال والتمثل ، وأكثر ما يظهر لأهل هذا الطريق له مدخل فى باب المكر الإلهى .

وقال : إذا كان الحق شاهدا فمن الحاكم ؟ انظر (٣) .

وقال : كلمات الله موجوداته ، ولذلك تنفد البحار قبل نفادها بالكتبة ، فما وقع الشرف لعيسى على الموجودات من حيث أنه كلمة ، لكن من حيث أنه ألقاها إلى مريم ، وأنت ألقاك أبوك .

---

(١) تكملة الحديث قال بلال : يارسول الله ، إنى ما أحدثت إلا توضأت ، ولا توضأت إلا صليت ركعتين .

(٢) بل من باب الحب الإلهى ، وليس فى الحب اعتبار جود ولا منة ، « لهم ما يشاءون عند ربهم » ولم يقل « من ربهم » . فالحب والاختصاص فى مقام العندية . وفى باب الجود والمنة يقول تعالى : « جزاء من ربك عطاء وفاقا » ، وحينما يكون الجود من مقام العندية يقول : « وآتيناه رحمة من عندنا » . أما مراد الشيخ الأكبر فتصوير عظمة العطاء على قدر الجود الإلهى .

(٣) الحق الذى يشهد هو الحق الباطن فى الخلق ، والحق الذى يحكم هو الحق الذى بطن فيه الخلق .

وقال : كون عيسى روحا من حيث نسبته إلى من تمثل إلى أمه بشراً سويا .

وقال : المقرب من البشر رجل اتبعه الرسول ليتعلم مما عنده [١]، وهو الذى يتولى الحق تعليمه .

وقال : العمال مستأجرون ، فجميع الأعمال لها أعواض هى الأجرة ، والعبادة ليست من الأعمال ، فالعبادة لله ، والعمل للعوض ولذلك قالت العارفة : « بئس العبيد أنتم عبيد الأجر ، إنما أنا أعبده له » .

فنطقت بالحقيقة حين جهلها من يزعم أنه من الرجال .

وقال : لوكان الإيمان يعطى بذاته مكارم الأخلاق لم يقل للمؤمن : إفعل كذا ، وأفعل كذا ، وقد توجد المكارم ولا إيمان .

وقال : للمكارم آثار ترجع على صاحبها ، فى أى دار كان .

وقال : الإحسان والتقوى أخوان شقيقان لأم وأب .

وقال الحق من الخلق بحسب أحوالهم ، فهو مع الأحوال ، لا معهم من ذواتهم ، وفى مواطن هو مع الخلق من حيث صفته ، لكن الاسم لا يفارق المسمى . وهنا علم شريف لمن يعرفه [٢] .

---

(١) كالخضر اتبعه موسى ليتعلم منه رشدا .

(٢) الحال هو ما يفتح من العلم أو العمل من الأحاسيس المتغيرة على خلاف بين الصوفية ، فإذا استقرت سميت مقاما . فالحق مع هذه الأحوال ومن أراد شهوده ذوقا فليشهده عند هذه الأحوال ، فمن اتجه إليه بالافتقار وجده معه من حيث افتقاره ، وهكذا ، ولا يكون الحق مع الذات الإنسانية حلولا أو اتحادا .

وفى بعض المواطن يكون الحق مع الخلق من حيث صفته هو سبحانه « يد الله فوق أيديهم » ، « وما رميت إذ رميت ... » ، وفى صفة النبى صلى الله عليه وسلم « رءوف رحيم » أما الأسماء فلا تفارق الذات ولا سبيل إلى كونه تعالى =

وقال : المحبوب مكرم منعم ، وهو أفضل عند المحب من المحب له ، فكرامة المحب للمحب بالمحبوب ، لإيثاره وحبه وميله إليه دون غيره . وليس هذا المقام مثل ذلك فى الرتبة بكل وجه (١) .

وقال : المتقى صاحب دعوى ، ولذلك يقبل منه عمله . والعارف صاحب تجريد ، والأعمال تجرى منه وهو عنها بمعزل ، فليس له نسبة إلا أنه محل لجريانها وظهور أعيانها .

فازالت الأعمال عن عاملها ، فلا توصف بالقبول ولا بالرد . ألا ترى المتقى يحشر إلى الرحمن ، والعارف فى الحضرة مازال (٢) .

= بها مع الخلق . ولعل العلم الشريف هنا هو فى إطلاق الصفات الإلهية على النبي صلى الله عليه وسلم وجعلها من أسمائه والإسم لا يفارق المسمى « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله » . الشطر الأول للحقيقة المحمدية والثانى للذات النبوية المحمدية .

(١) قال الله تعالى « يحبهم ويحبونه » والشطر الأول من القول خاص بالشطر الأول من الآية ، والثانى بالثانى . والقاعدة التى يريدها الشيخ الأكبر هى أن المحبوب بذاته أفضل عند المحب من الشيء الذى أحبه من أجله ، فالعبد المحبوب أفضل من أعماله التى استوجبت الحب . والله تعالى المحبوب من عبده لذاته أكبر من النعيم والكرامة التى يحب الله لأجلها أهل الأجور . فتكريم المحبوب لا سبب له إلا الميل إليه دون غيره . وهذا يصدق من جميع الوجوه فى حب العبد لله . ولا ينطبق من كل الوجوه فى محبة الله العبد . فلا يجوز فى حق الله أن يميل إلى عبد دون غيره ، بل إنه تعالى يحب كل من على شاكلة هذا العارف ، فإيثاره للجنس كله .

(٢) هذا يتبع القول السابق فى عمل الأجور وعمل المعرفة . فالعارف لا يدعى العمل ، لأنه فى حضرة شهود الحق فى العمل ، ولا دعوى فى الحضرة والشهود . فأعماله تجرى عليه من حضرة التقريب ، وهى حضرة تعلو على القول بالقبول والرد ، فهو فى الحضرة يموت ويحشر على ما مات عليه .

وقال : الذاكر جليس الذكر . لاجليس المذكور .

وقال : كل من نسب إلى الحق أمرا فذلك الأمر عائد عليه . وهو أحق به .

ومنهم رضى الله عنهم :

* * *

عبد الله بن عبد المهيمن بن إسماعيل

قال : القرآن مهيمن على غيره من الكتب والصحف .

وقال : وإنما صحت الغيرية فى الكتب المنزلة من حيث المحل . فهى واحدة العين ، كثيرة فى الكون .

وقال : المهدى لايكون ظالما لنفسه ولا لغيره .

وقال : الفرق فى النصرة بين الفتح والأمر: أن الفتح به ، والأمر منه.

وقال : عز المؤمن فى ذل الكافر ، وعز الكافر فى ذل ظاهر المؤمن ، والعارف ذله فى عز ربه وعزه فى ذل الكون بعز ربه .

وقال : الواقف مع الكون محجوب عن العين .

وقال : إنما وقع الحسد والبغى فى الجنس بين المثلين ، لأن المثلين ضدان والضدان متنافران .

وقال : المحقق صيد الحق منه، والعالم صيد الحق من نفسه . والعارف صيد الحق من الجنة . والمقرب صيد الحق من الكونين . والزاهد صيد الحق من الدنيا .

وقال : حرم الله قلبك لأنه وسعه ، وحلاله سائر ذاتك . وسرك المخاطب بالحرمة ، فصيد الحلال على الحلال حلالان . وصيد الحرام على الحرام

حرامان ، وصيد الحلال على الحرام حرام . وصيد الحرام على الحلال حرام . فالحرمة فى ثلاثة مواطن . والحلال موطن واحد .

وقال : الأحكام على الأسماء والأحوال . لا على الأعيان . فمن لا اسم له ولا حال فلا حكم عليه .

وقال : الإقبال على أمر الله يوجب الصلاح . والإعراض عنه يوجب الفساد ، وكل يجازى بشاكلة فعله .

وقال : الإدارة متعلقها العدم . فلا يريد الله أحد .

وقال : الجود على صنوفه من الكرم والسخاء والإيثار لا يصح عند الحق . لأنه مؤدى إلى أمانة .

وقال : له تنزيه ، ولك تشبيه ، ولك تنزيه ، وله تشبيه ، والتنزيه تشبيه ، فرد ماله ، وخذ مالك ، فالكل له . وضرب الكل فى الكل ضرب الشىء كضرب الواحد فى نفسه والنتيجة الكل . وهو عين المضروب .

وقال : وقع التنزل من الحق للأولياء إتباعا لما بقى فيهم من بشرية الطبع . ووقع العروج للأنبياء ، لتخلصهم من ذلك . فهم أصفى ، فهم أوصل .

وقال : الملائكة أفضل أصلا فى النشأة من الإنسان ، والإنسان الذى هو آدم خاصة أفضل . فما توجه من المنشىء عليه فضله على الملك .

وقال : قال بعضهم : البينونة التى بين الحق والكون قدر السوط . وهى إشارة إلى صدورهم وإن كان من عين الجود . فخروجهم بالقهر ، لأنهم فى حال وجودهم له أتم عندهم من وجودهم لهم .

وقال له قائل : إن تاه البينونة قدر الأنملة ، ولهذا ترجع إلى الاقتدار ، ومنهم رضى الله عنهم :

* * *

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الكافى

قال ابن عبد الكافى : إن من أولياء الله من سترهم عن أعين الخلق فى الدنيا والآخرة ، فهم فى قباب النور خلف حجاب الأنس ، فلا يعرفون ولا يعرفون .

وقال : إذا زال الولى ولم يرجع من ساعته عوقب ، وعقوبته بأن يحبب إليه إظهار الكرامات فيظهرها ، والأولياء مأمورون بستر الكرامات على أنفسهم ، إلا إذا اقترن بها اقتضاء حق إلهى (١) ، ومع هذا فلابد من الإذن .

وقال: تحدث الأولياء بما حققهم به الحق من الكرامات والمنازل والمخاطبات والأسرار . من باب التحدث بنعم الله (٢) والتشويق إلى الاية ، وهو شكرها ، لا من باب تزكيتهم ، ولا تعريف بقدرهم ، فهم أعف من أن يلجوا هذا الباب .

وقال : الطاعة للعبد ، والمسارعة إليها للمحب ، والتلذذ بها للعارف ، والفناء عنها للمحقق .

---

(١) وفى هذه الحالة تصبح الكرامة خادمة للمعجزة النبوية ومؤيدة لها ، فكرامة الولى تابعة لمعجزة الرسول .

(٢) بشرط أن يكون من أهله ولأهله ، وإلا انعكست هذه الحقائق فى عقول غير أهلها ، فأساءت إلى فيض الله أبلغ الإساءة ، أما أهلها فيمكن تمييزهم من المدعين المثرثرين بإحدى علامتين :

(١) ردهم وعدم الاعتراف بأهليتهم لهذه المقامات . فمن غضب فهو مدع كذاب .

(٢) عند المال ، فإن كان به شحيحا ، ولم يكن مؤثرا على نفسه فهو كذاب .

وقال : إن لله عبادا يتحكمون عليه فيما يخطر لهم ، فيجيبهم إلى ذلك ، وذلك لمعرفتهم به حين خطر لهم ذلك ، فهو كالمتحكم غيبا ، وهم المتحكمون عينا .

وقال :الأنبياء والأولياء خارجون عما تقتضيه عقولهم ، بما يقتضيه لهم ربهم ، فعقولهم معقولة عن التعرف ، عقلها مطالعة عين القضاء فيها ؛ فهم قائمون بجريان الحكم لا بهم .

وقال : الأحوال نتائج أذكار القلوب ، والآثار نتائج الهمم .

وقال : فى ذهاب الرسوم يتحقق المطلوب .

وقال : لولا الأسباب لظهرت الآثار من موجدها .

وقال : كل غيب لا يكون عدما فهو غيب مقيد، وليس فى الكون اليوم غيب إلا وهو عدم من حيث عينه ، لا من حيث اسمه .

ومنهم رضى الله عنهم :

* * *

عبد الله بن إدريس بن عبد الخالق

قال : عالم الأمر الوجه الذى يلى الحق فى جميع الموجودات ، وما لم يخلق عند سبب فى بعض الموجودات ، وعالم الخلق ما وجد عند الوسائط ، ولذلك ينسب إليها .

وقال : كمال الإنسان فى معرفته بنفسه بربه ، وبربه بربه ، فيعرف مم وجد ، وفيم وجد ، وما غايته ، وما يرادمنه فى كل وقت، قبل وقوع المراد.

وقال : السلوك منه وإليه وفيه . فالسلوك لا يزال دنيا وأخرى ، ولو كان ثم قرار لصح الوصول ، ولذلك قال من قال : إن فلانا يزعم أنه وصل . فقال : لكن إلى سقر .

وقال : لكل همة متعلق ، فمن ظفر به فقد وصل . وأشرف أهل الهمم من تعلقت بالله تعالى همته ، وليس وراء ذلك مرقى .

وقال : من ادعى أنه خارج عن الأسماء . وأنه قد رماها فما عرف ما يقول ، فإنه ما رماها إلا بها ، فهو تحت حيطتها ، وهى تصرفه . والحجة عليه فى دعواه ذلك ، فإنه ما ادعى ذلك إلا بقوة اسم حكم عليه .

وقال : لو صح أن يخرج عن الأسماء والصفات لكان فى درجة فوق درجة موجده وهذا محال .

وقال : إذا سمع الولى يقول بالخروج عن الأسماء والصفات فإنما يعنى به أن مشربه فى ذلك مشاهدة ذات لا تتعدد بأحكامها . وقدفنى عن نفسه بها ، فلم يبق عنده من يحكم عليه اسم ولا نعت ولا صفة ، من حيث إنه فان . لا من حيث عينه (١) .

وقال : خرج الحق عن الأسماء ، ولذلك وقع التنزيه والتعظيم والإجلال لها ، لأنه لا يعرف منه إلا هى .

وإذا كان الحق بهذه المثابة من حكم الأسماء فهذا الذى يدعى أنه خرج عنها وعنها وجد، وبها أوجد ، وهو فقير على الدوام لأنه مخلوق على الدوام كيف تصح دعواه على غير الوجه الذى شرحناه . هذا قد لبس عليه الأمر

إنتهى الجزء الأول

ويتلوه الجزء الثانى

أوله : ومنهم عبد الله بن إدريس بن عبد الملك .

---

(١) الخروج عن الأسماء يعنى الخروج عن حيطتها . فإذا سمع الولى يقول ذلك فهو يريد أنه بالله شهد الأحدية التى لا تتعدد فيها أسماء ولا صفات . فقوله هذا من حيث شهوده للذات الأحدية . ولما شهد الأحدية فنى عن نفسه فلم يدرك اسما ولا صفة ، فمن حيث فنائه هذا نطق بأنه خرج عن الأسماء . ولكنه عارف أن خروجه هذا بقوة اسم إلهى دفعه إلى هذا الأفق من المعرفة . وقد يدعى هذا القول من لا خلاق لهم ويمكن تمييزهم من سلوكهم الذى ينكشف للناظر لأول وهلة .

الجزء الثانى

من كلام العبادلة

فى الحقائق بألسنة الأسماء

فى هذا الجزء

عبد الله بن عبد الملك
وابن عبد السميع
وابن عبد النور
وابن عبد الواحد
وابن عبد العليم
وابن عبد الطيب
وابن عبد الشكور
وابن عبد الصمد
وابن عبد البصير
وابن عبد الرازق

بسم الله الرحمن الرحيم

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن إدريس بن عبد الملك

قال : رؤية الأمهات من عين المنة توحيد « فتلقى آدم من ربه كلمات » .

وقال : نوافل الأعمال ما كان لها أصل فى الفرائض ، وما عدا ذلك فعمل بر ليس بنافلة(١) .

وقال : العالم يخشى الله ، والملك يخاف الرب من فوقه ، فبين الإنسان والملك ما بين الخشية والخوف ، وما بين الألوهية والربوبية .

وقال : خصائص الحق وصنائعه همهم فى الستر، لغيبتهم عنهم فى الحق ، وغيرهم همهم فى الإفشاء ، لحضورهم بالحق مع الخلق ، فيدعوهم إليه من حيث لا يشعرون .

وقال : العلم بالله تجل لا إلقاء ، ونظر لا خبر .

وقال : النور حجاب ، والظلمة حجاب ، وبالضياء يقع الكشف ، وبالظل تقع الراحة .

وقال : لا يتمكن ما سوى الله من ملك وجن وإنس وحيوان أن يتحرك أو يسكن لا لعلة قائمة به فى الدنيا أو الاخرة إلا أن تكون حركته بغيره ، فتكون العلة بالغير لا به .

وقال : لولا الحدود المشروعة لكانت الكائنات بعد الحركات تخلص من قيد الطبع .

---

(١) هنا تأثر الشيخ الأكبر بالحارث بن أسد المحاسبى . [أنظر باب النوافل من كتاب المسائل فى أعمال القلوب والجوارح للمحاسبى] نشر عالم الكتب بالقاهرة .

وقال : لا تخلص حركة أبداً من قيد الطبع ما دامت الأرواح مدبرة للأجسام .

وقال : أصل السكون معلول ، فالمرض يلزمه أبدا . ولا دواء يبرئه من علته .

وقال : الذكر لا يصح أن يكون ذكرا مقربا إلا أن يكون مشروعا فالجزاء يلزمه نويت ذلك أم لم تنوه .

ومنهم رضي الله عنهم :

* * *

عبد الله بن محمد بن عبد الواحد

قال : قوله : « كنت سمعه وبصره » إشارة إلى أنه لم يزل كذلك . لأنه قيده بالماضى فالمتجدد وقع فى عرفانك لا فى الأمر ، وكان هنا ناقصة غير تامة .

وقال : إن شاهد الحق به ، يرى الرأى سوى ربه .

وقال : إلزم النعوت والأسماء يقو تشبهك ، ولا تكن من رجال الصفات فإنهم إناث العارفين (١) .

وقال : حقيقة المعنى له لا لك .

---

(١) النعوت فى عرف التصوف بالنسبة لله تعالى . كل ما انفرد به جل جلاله دون غيره ، كالجبروت ، والأحدية وأشباهها ، ويكون بروزها معنويا ، والصفات يكون بروزها فى عالم المادة غالبا كالمعطى والمانع . أما كون رجال الصفات إناث العارفين ، فلأنهم فى حاجة دائمة إلى تجلى الصفة كما تكون الأنثى فى حاجة إلى النفقة وغيرها ، فهم غالبا فى ملاحظة الأسباب ، بخلاف رجل النعت فإنه فى ملاحظـة الذات . ورجل النعت مفيض عما تجلى عليه ، ورجل الصفة قابل للفيض غير مفيض إلا بقدر محدود .

وقال : من رآى نفسه برؤية ربه إياه (١) . إذا لأوجبت له [تلك الرؤية] نعوت العلا ، فلا يلام . ولا يرام .

وقال : لا تعرف وحدانية الحق إلا من وحدانيتك . فلا ترى إلا واحدا . ولا تراه إلا به . فيكون الواحد يرى نفسه ، وما أنت ثم ، ولا [أنت] هو . فبهذه النسبة يثبت التوحيد الصحيح ، وعزيز واجده (٢) .

وقال : كل مشهد بقيمك الحق فيه ، وبينك وبينه ذكر الأغيار ، أوذكر نفسك ، وتزعم أن ذلك قرب فليس ذلك بقرب ، لكنك مجاور غير كائن فى المقام . فإن القرب الإلهى يذهب الأكوان والأعيان إذا كنت فيه كائنا قيل لبعضهم : اذكرنى فى خلوتك بربك . قال : إذا ذكرتك فلست معه فى خلوة ، فإذاً الذكر كون .

وقال : بعض الناس اعتذر عن إبليس . فإن اللام ما أبقت له حجة لو كان مسارعا إلى مرضاة ربه (٣) . وبعض الناس خاصم آدم فحوجج ، فحج آدم موسى ، فليته خاصم إبليس (٤) .

و [قد] اعتذر الله تعالى عن آدم فقال « ولم نجد له عزماً » على انتهاك

---

(١) أى بما أفاض الله عليه من معرفته ، لا بالدليل والنظر والفكر ، فلا يحاول التصنع ولا التأمل إلا فى الغيب دون فرق .

(٢) الإنسان متكثر من أعضاء ومدارك مختلفة ، ولكنه فى مجموعه واحد . فلا يمكن إطلاق اسم الإنسان على اليد أو الرجل ، وكذلك فى إدراك التوحيد المفاض لا المصنوع بالفكر ، فلا تمييز ، ولا حلول ، ولا اتحاد لافيه تعالى منك ، ولافيك منه تعالى . لأن حقيقة المعنى له لا لك .

(٣) فاللام تشير إلى أن المراد السجود وهو للإبداع والخلق فى آدم، لا لشخص آدم.

(٤) قال موسى لآدم : أنت الذى أخرجتك خطيئتك من الجنة . فقال له آدم : أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه ، ثم تلومنى على أمر قد قدر على قبل أن أخلق . فحج آدم موسى .

الحرمة . بل وقع بمطالعة قدرا سابقا ، أنساه ما توجه على التركيب [الآدمى] من خطاب الحجة .

وقال : من وقف فى معرفة الحق موقف العجز . فلم يشاهد فى معرفته سوى نفسه . فلا عين المنة شاهد ، ولا عين الحق أشهد (١) .

وقال : من تجرد عن وجوده . كان فى وجود الحق عين الهو .

وقال : من طلب الله وحده .

وقال : من طلب نفسه وجد الله كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا . ووجد الله عنده (٢) ، ومن طلب الله وجد نفسه (٣) ، فكل مطلوب حاصل . غيرك وغير الحق .

= وهذا عتاب من موسى لآدم على مخالفة الأمر ، واعتذار من آدم بالحقيقة ونفوذ الحكم ، فلم لا يقبل من المشركين فى قولهم « لو شاء الله ما أشركنا » ولا من البخلاء فى قولهم « أنطعم من لو يشاء الله أطعمه » فإن هذا أيضا احتجاج بالحقيقة ونفاذ الحكم » ؟

والجواب: أن الاحتجاج بالحكم مع الإصرار على المعصية غير مقبول فإذا دعى العاصى إلى الطاعة ، والكافر إلى الإيمان فلم يقبل وقال : لا حيلة لى إلا بمشيئة الله ، واستمر على ما هو عليه ، لم يقبل منه . فقول المشركين السابق حق أريد به باطلا ، فلم يقولوه توحيدا وتسليما ، وإنما قالوه ردا للأمر ، وإصرار على المخالفة وآدم كان تائبا راجعا نادما ، فقبل احتجاجه .

(١) وإنما العجز الذى يعتبر معرفة هو الحيرة فى المعرفة المفاضة ، لا العجز النابع من النفس الطينية .

(٢) لأن طالب معرفة نفسه طالب لمعرفة ربه بالتبعية ، ولا يرى إلا أوهاما من نفسه يعرف أن الحق هو الله عند تحقق فنائها .

(٣) لأن طالب الله لا يجد إلا النفس الطالبة .

وقال : شاهد الحق أفنانى بالحكم ، وأفنانى عنى بالحقيقة .

وقال : من شهد بقاءه بحضوره مع من بقى فهو باق ، والبقاء والفناء خلتان لا يحصل معهما توحيد ولا تجريد ولا تفريد ، إلا من فنى عن فنائه وبقائه ، .

فالبقاء فى السلوك أعلى ، والفناء فى الوصول أعلى ، ولكل حالة مقام معلول ، وشرح مفهوم .

ومنهم رضى الله عنهم :

* * *

عبد الله بن يحيى بن عبد الصمد

قال : لو كان ثم طريق يوصل إلى الله لظفر به الواصل ، ولا ينال بالسلوك والسعايات ، ونيله بالسعاية محال ففرض الطريق إليه محال .

ولما وقف بعض العارفين على هذا المقـــام قال : الطريق مسدود ، والسالك مردود ، يعزى هذا القول إلى أبى يزيد البسطامى .

وقال : الكذب وصف للخبر ، يحدث بتوهم السامع ، حيث يجعل المخبر به فى غير الموضع الذى رآه فيه للمخبر أو سمعه ، فما كذب مخبر قط فيما أخبر به من جهة الحقيقة (١) .

وقال : إذا توجه القلب إلى شىء فلا يسعه غير ما توجه إليه ، وإذا كان الأمر على هذا فلا كلفة فى دفع ماسوى الله عن القلب وقد قرب الطريق .

---

(١) مثال ذلك المتنبىء الكاذب ، ليس كاذبا فى الحقيقة من حيث أن هناك نبوة وأنبياء ، فلما قال كذباً : أنا نبى . فقد حول النبوة عن مكانها الصادق إليه كذبا وهكذا الكافر يقول : الوثن ربى . فإسناد الربوبية إلى الوثن كذب لأنه تحويل لها عن حقيقتها . والربوبية صدق . وهكذا .

فاجعل شاهد القلب الحق ، يذهب ما سوى الحق .

وقال : إن الله فى كل شىء كما هو ، فى السموات والأرض من غير تكييف ولا تحديد ، بل كما ينبغى لجلاله ، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ، « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » .

وقال : الحس يدرك بالحس ، والخيال بالخيال ، والغيب بالغيب ، ودع عنك ما يطرأ من الوهم فى إدراك الغيب بالحس إذا كان غيبا .

وقال : الرؤية علم ، فكل معلوم مرئى ، فالعدم مرئى ، وهو وقوع الرؤية على لا شىء ، فالعالم مرئى لله تعالى وهو معدوم ، ومسموع له وهو معدوم .

وقال : رؤية القلب غيبا بغيب ، ورؤية العين حسا بحس ، والمشاهدة رؤية لا مشاهدة ، والمشاهدة فى الدنيا كأنك تراه ، لا أنك تراه . فالمشاهدة بين الحس والغيب .

وقال : الرؤية والكلام لا يجتمعان ، فإذا أسمعك لم تشهد ، وإذا أشهدك لم تسمع .

وقال : الذى منع الخلق من رؤية الحق كونهم فى قبضته ، فهم فى ظلمة القبض لا يبصرون ، وإذا بسط يده رأوه .

فيده على الأشقياء مقبوضة ، فالعمى والحجاب لهم دائم . قال عليه السلام فى حديث آدم واليدين حين قيل له : اختر أيتها شئت . فقال : « اخترت يمين ربى ، وكلتا يدى ربى يمين مباركة » . فإذا آدم وذريته .

فآدم فى اليد مقبوض عليه حين اختار اليمين ، وليس فى اليد ، وآدم الذى اختار ، والذى ليس فى اليد هو عين آدم المقبوض عليه .

وهكذا كل موجود ، فيظهر الشىء وإن كان له عين واحدة فى مواطن

كثيرة (١) ، فيتخيل أنه تعدد ، وما تعددنا ، [فالعجب] لمن يدرى معرفة الله بعقله ويقول : هذا محال وهذا جائز . أين عقلك فى هذه المسألة وأنت تقول : الشيء الواحد لا يكون فى مكانين .

وقال : تكثر الظلال من الذات الواحدة بتكثر الأنوار ، ولكل نور ظل ، ومن هذه العين تكثر الصورة فى المرائى الكثيرة ، وهى صورة وجود حسية ، وهى من صورة واحدة ، يتلى عليها مثالا : يا أيتها الصور إنا خلقناكم من صورة واحدة (٢) .

وقال : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى » من آدم وحواء ، عيسى من ذكر وأنثى ، وجميع بنى آدم كذلك . تنبيها للغافلين ، وإيجازا للعارفين .

ومنهم رضى الله عنهم .

---

(١) تكون عين الإنسان فى مكان ، ثم يجول بخاطره فى مكان آخر ، ويستغرق حتى ينسى عينه تماما ولكن ليس وجوده عندما استغرق فيه وجوده فى عينه .

(٢) يريد أن يقرر أن تكثر العوالم والمظاهر نشأ عن شدة الأنوار التى نشأ عنها تكثر الظلال فهى مع كثرتها راجعة إلى عين واحدة ، كما تتكثر الصورة فى المرايا المتقابلة .

وعلى هذا تكون التجليات الإلهية المتعددة راجعة إلى أصل واحد هو الله وحده .

عبد الله بن داود بن عبد السميع

قال : المعرفة معرفتان : معرفة تحصيل بالنظر والإستدلال ، وهى معرفة تعتور صاحبها الشبه ، ومعرفة هى حق المعرفة ، وهى معرفة تحصل عن الأحوال .

وعن هذه المعرفة تظهر الآيات فى خرق العوائد لأربابها ، فتخيل بعض الناس أن ذلك الأثر عن الأحوال ، وإنما الأثر للمعرفة التى تكون عن الحال . ولهذا قد يكون الحال ولا أثر ، لكون الحال لم يكتسب المعرفة بالله فقول من قال : الأحوال للكرامات . [يعنى] إذا كانت عن المعرفة ، وهو قول صاحب محاسن المجالس .

وقد نبهت النبوة على هذا الفصل من المعرفة فى خبر روى عنه صلى الله عليه وسلم : «لو عرفتم الله حق المعرفة لمشيتم على البحور ، ولزلزلت بدعائكم الجبال » .

وقال : لا يكون الجهل علما إلا فى علمك بالله ، فإن العلم به جهل ، ومن جهله كان عالما به ، وكان صديقا .

وقال : إذا ارتفع ستر الغيب عن عين الإيمان ، وانصرف البصر إلى القلب ، شاهد الحق بعين الحق .

وقال : إن من عباد الله من لا يستره حجاب ، ولا يمنعه الحجاب ، ومع هذا فلا يعرف ما فى جيبه وربما تكلم على الخاطر ، وما هو مع الخاطر .

وقال : العلم بالله من حيث الكون لا يصح ، فإنه قد كان والكون لم يكن فى الكون للكون ، بل كان الكون فى الكون للكون .

فهو تعلم به الأكوان ، ولا يعلم بالأكوان . قال : هو خارج الباب فما يعرف بالكون من الحق ؟ قلنا : الآثار تدل على الأحكام والنسب ، وعليه من حيث أنه موجود من غير علم ماهيته ولا كيفيته ، ولا هويته

ولا آنيته ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (١) .

وقال : الشغل بغير الله عين الجهل بالله .

وقال : إن من عباد الله من كفاه مؤنة المعرفة ، فكشف له عنه فعرفه، ثم عرف نفسه بنور ربه ، لأنه يستحيل أن يعرف أحـــد نفسه به ، إذ لا مناسبة ولا مشاركة .

وقال : إن من عباد الله من تقودهم إليــــه المعرفة به ، فيهبهم المعرفة ابتداء وهم جائلون فى ميادين المخالفات ، ثم يهبهم التوفيق ، فيسلكون على بصيرة وسلوك .

وهؤلاء أشرف سلوك السالكين ، إذ كل سالك غايته المعرفة ، وهى بداية هذا السالك ، وهى كانت بدايتنا (٢) .

وقال : من كانت بدايته الخوف فغايته الجمال ، ومن كانت بدايته الرجاء فغايته الجلال ، ومن كانت بدايته المعرفة فغايته الكمال والجهل ، ومن قال :

---

(١) يريد أن العلم بوجود الله غير العلم بالله . فالعلم بوجود الله يمكن معرفته بالأكوان .
أما العلم بالله فيستحيل أن يكون بالأكوان .

وقد أخطأ بعض دعاة التصوف فى تفسير هذه القضية فهاجموا علم التوحيد النظرى السنى وغيره . وأطلقوا القول بوجوب معرفة الكون بالله لا العكس ، لافرق بين علم بالوجود وعلم بالله . وتأمل فى قول الشيخ الأكبر . فعلم التوحيد النظرى الذى يهاجم دعاة التصوف بحسن نية لازم فى إثبات وجود الله للمنكرين والملحدين . أما العلم بالله فرحلة أعلى من المعرفة ، لازمة للمؤمنين .

(٢) هذا النوع يعرف بمن سبق فتحه على سلوكه وهو مع جلالة قدره على قدرها من الخطورة إذا لم يحالفه التوفيق .

الله . فإنما قالها بنفس ، فإن الله لا يقال إلا بالله فهى حالة نفسه .

ومنهم رضى الله عنهم :

* * *

عبد الله بن عبد العليم بن سليمان

قال : لا حياة إلا عن موت ، ولا موت إلا من رؤية حى ، فمن مات غير هذا الموت فلا يحيا ، ومن حي غير هذه الحياة فهى حياة حيوانية (١)

وقال : من عرف اسما ربانيا من غير اسم عبدانى فمعرفته لقيطة ، وإن عرفه باسم عبدانى فتلك (٢) المعرفة ،وهى معرفة بأنس وبسط ،ومن عرف اسما عبدانياً من اسم ربانى فهى معرفة قهر وقبض (٣) .

وقال : الأجل المسمى هو مسمى لانقطاع الأنفاس ، لأنها مناهل طريقه ، فمن لا نفس له فلا يضرب له أجل .

---

(١) الحياة من غير موت نوازع النفس البشرية حياة الحيوان بل أضل سبيلا . ولا تموت نوازع النفس إلا عند مشاهدة الحق بذاته سبحانه . فإذا تم الموت على هذه الصورة كانت الحياة الأبدية دون شك .

(٢) المعرفة اللقيطة مثل معرفة اسمه العزيز دون تحقق بالذل ، والربوبية دون تحقق بالعبودية . والعكس معرفة حقيقية .

(٣) مثال النوعين من المعرفة : من عرف العزة الإلهية من الذل البشرى فتلك المعرفة تنتهى بالأنس والبسط ومن عرف الذل من العزة الإلهية انتهى إلى القهر والقبض . النوع الأول سلوك الطريقة الخلوتية : والثانى سلوك الطريقة الشاذلية والنقشبندية .

وقال : الكامل من عباد الله من كان طريقا لجريان النعوت الإلهية ، وهو يعلم الفرقان بينها وبين العلم بها (١) .

وقال : العبد محق فى حق .

وقال : من غيب عن اسمه ورسمه كان القائم عنه سواه .

وقال : من فتح عينه فلم تقع إلا على الله ، ومن أغمض عينيه فلا يغمضها إلا على الله .

فمن فرق بين الحالتين فقد وجده ، ومن لم يفرق بين الحالتين فقد وجد ، وليس عنده وجود بالأمر على ما هو عليه .

وقال : فى الإشارة إلى الله إثباتك ، فلست بواجد ، لأن فى وجوده محوك .

وقال : من أراد أن يعرف الله فليعرفه منه . وقد أخبر صلى الله عليه وسلم : أنه يتجلى غدا لهذه الأمة ومنا فقيها على اختلاف عقائدهم فيه سبحانه وتعالى فى غير الصورة التى عرفوه بها ، فينكرونه ، فيتحول لهم فى الصورة التى عرفوه بها ، بالعلامة التى بينه وبين كل طائفة ، وهى ماعرفوه منه فى الدنيا فيقرون به ، وهو عين ما أنكروا .

ولما وقف الجنيد على هذه المعرفة بالله تعالى سئل عن المعرفة والعارف فقال : « لون الماء لون الإناء » فالإناء مثل مضروب لعقده ، والماء مثل مضروب لمعروفه .

وقد اختلف الناس فى تأويل هذا من علماء الرسوم .

---

(٢) العلم بالشىء غير منازلته وذوقه ، فمن يعش فى نعمة الله قائما بشكرها ، غير من العلم بها فحسب .

وقال : العالم بالله من حيث المشاهدة والكشف يرجع إليه ، فهو بين أدب وحقيقة ، فهو مركب من شرع وحقيقة ، يأكل بعضها بعضا .

فإذا أحس بالألم لا يقدر أن ينطق ، فإنه ان نطق أهلك ، وإن سكت هلك ، فيشكو إلى الله ، ويستأذن فى أن يؤذن له بالنفس . مثل النار لما أكل بعضها بعضا ، فتنفست نفسين ، سعيرا وزمهريرا ، فأهلكت الخلق بما كانت تهلك به فى نفسها .

كذلك العارف . إذا تنفس استراح فى نفسه ، وأهلك الخلق بكلامه ، فإن رزق العصمة من الناس جهل ، وإن لم يرزق العصمة كفر وزندق ، وربما قتل ، وهلاك الخلق أولى من هلاك نفسك .

ألا ترى القاتل نفسه فى النار ، والقاتل غيره فى المشيئة ، والقاتل غيره له كفارة ، والقاتل نفسه لا كفارة له ؟

ومنهم رضى الله عنهم .

* * *

عبد الله بن يوسف بن عبد البصير

قال : الرجل من عرف الفرقتين ، ولم يتميز فى فرقة عنهم فى وقت الوزن . ثم ينظر إلى ضنائن الحق خلف ستر العزة مكتنفين بالنور الحجابى والنار تسطع من سبحات وجوههم ، فى زوايا سرادقات كونهم ، فتحرق كل ما أدركه بصرهم منهم ، فيبقون مع الحق أعيانا قائمة بلا معنى ، فيكون الحق معناهم ، فهو نور فى نور ، فيطمع هذا الرجل باللحوق بهم من عين التوحيد أو المنة .

فإن رفع له الميزان التحق بهم من عين توحيده ، وإن لم يرفع له ميزان التحق بهم من عين المنة ، وكان عند ذلك ممن كمل .

وقال : إن من عباد الله من يشهد لهم الحق ، وإن منهم من يشهد لنفسه بما شهد به الحق للآخر وليس هذا بأفضل من هذا . قال تعالى : « والسلام عليه » وقال : « والسلام على » .

وقال : الظلال محجوبة أبدا عن موجدها، وظهورها عند طلوع الأنوار على من تولدت عنه . وهي أبدا تطلع من خلف حجاب أسبابها ، لترى موجدها فلا تراه أبدا . فهي في ظلمة كونها محبوسة لا تبرح أبدا .

وقال : من كان مع الله مثل ظله معه لاينحجب عن ربه ، ولا يعترض عليه في فعله ، ولا يتحرك إلا بتحريكه إياه . وكان عبدا حقيقة ، ألا ترى الظل لا يزال تابعا لمن ظهر عنه ؟

وقال : تطلب الظلال غير مطالع أنوارها ، وهو عين رجوع العبد إلى حقيقته وفراره عن مكانة ربه ، فلا يزال أبدا عبدا .

وقال : كل ماسوى الله ظل له . ولما كان السلطان بجمع الصفات الإلهية قال فيه صلى الله عليه وسلم : « السلطان ظل الله في الأرض ، يأوى إليه كل مظلوم » .

وقال : ظل كل شخص على شكله ، فلذلك يصح أن ينسب إليه .

وقال : لايقوم الظل أبدا من بساط الخضوع والعبودية إلا إذا قابل كونا ، عند ذلك يظهر فيه بصورة موجده ، ألا تراه يؤثر فيه حاله ؟ هل رأيت قط ظلا قائما إلا إذا قابله جدار أو شبهه .

وقال : في كل شخص ظلان : ظل يخرج عنه متصلا به من طرف ابتداء وجوده ، وظل في نفس الشخص يقابل ذلك الظل . فلا يرى من الظل الخارج من الشخص إلا الظل الذي يقابله وهو صورته .

فلا يرى أبدا إلا صورته ومثاله ، لاحقيقة الشخص الذي ظهر عنه .

وقال : تستتر الظلال بأشخاصها ، لئلا تتقدمها الأنوار ، فلا يكون لها وجود .

فلايرى الحق أبدا إلا من خلف حجاب ، فإن سبحات الوجه لاتقف لها الأكوان .

وقال : إذا أحاطت الأنوار بالشخص اندرج ظله فيه ، وانقبض إليه ، كما قال سبحانه : « قبضا يسيرا » حين جعل الشمس على مد الظل دليلا .

وقال : ظلك لايلحقك إن أدبرت عنه متوجها إلى الشمس ، وأنت لا تلحقه إن أقبلت عليه وأعرضت عن الشمس . والذى حصل لك منه فى الإقبال هو الذى حصل لك منه فى الإدبار ، وفى إعراضك عن الشمس الخسران المبين .

هذا مثل مضروب ضرب به لك الحق فى نفسك ، تقول لك الشمس : أنا ، فإنى أنا النور ، والكون ظلك ، وما فيك منه ما قدر لك ، سواء أعرضت عن الكون أو أقبلت عليه ، فلا تخسر .

ومنهم رضى الله عنهم :

* * *

عبد الله بن إدريس بن عبد النور

قال : العلم فى العين حيرة ، والعين فى الحق حيرة ، والحق فى الحقيقة حيرة ، والحقيقة فى العلم حيرة ، ترتيبا دوريا .

وقال : ليس فى الوجود تكرار أصلا للتوسع الإلهى ، ولو طرأ على الإنسان عدم لم يعدم عين وجوده الأول ، وإنما هو انتقال من حال إلى

حال ، والعين واحدة ، والحال المتنقل إليه وجود آخر ، منه بدأنا . وإليه نعود ، «كما بدأكم تعودون» منا .

وقال : يتنزل الأمر الحق من سدرة المنتهى على قلوب الخلق من جهة الرأس . ولما كان القلب قد وسع الحق تلق ذلك الأمر الحق الحق الذى فى القلب .

فصدرت الحركة إن كان أمر حركة عن الحق بلا واسطة، فيخرج ذلك العمل من قدسيته ، فيعرج على معارج الأرواح ، بل عروجها على الطريق الذى نزل عليه الحق إلى قلبه من وسعه نزولا منزها ، وعروجا منزها .

ولاتعرفه الأرواح الملكية ، بل يرون نورا لا يعرفون ماوراءه إلى العماء ، فيستقر هناك إلى يوم القيامة .

وإن لم يصادف الأمر النازل الحق فى القلب ، وصادف الملك ، تلقاه فينفذ أمره فى الجوارح ، فيخرج منه على صورة روحانية ملكين ، فيقع على معارج الأرواح طيرا حسنا ، له من الأجنحة والألوان على قدرها له من اللوازم ، فلايستقر حتى ينتهى إلى سدرة المنتهى ، وهناك مقره .

وإن صادف الأمر النازل فى القلب الشيطان ، انقلب فى صورة روحانية نارية شيطانية ، فيعرج على معارجهم طيرا أسود ، يحلق فى الجو إلى أن ينتهى إلى مقعد فلك القمر ، وهى كرة الأثير ، فلا يبرح فيها إلى يوم القيامة .

وتبدل صورته بأمر آخر ، إلى صورة أخرى ، فيشق الأفلاك إلى السدرة ، وهو الذى يقع فيه التبديل ، فيبدل الله سيئاتهم حسنات .

وإن صادف الأمر النازل النفس، ولم يصادف حقا ولا ملكا ولاشيطانا ونفذ أمره فى الجوارح ، خرج على صورة نفسية ، فلا يزال يعرج طيرا حسنا ، حتى ينتهى إلى الجنة ، فينتظر النعيم الذى لامم مزاج تلك الصورة ، فينغمس فيه ، إلى أن يأتيه صاحبه .

وإن صادف الأمر النازل إلى القلب المحل مشتركا بين النفس والشيطان أو النفس والملك ، ولم يحصل للشيطان استيلاء على النفس ولا الملك ، بل النفس فى حال النظر إلى أحدهما والآخر على ذلك الحال من غير ممكن . نفذ الأمر فى الجوارح ، فخرج على صورة نصفها ملكى ونصفها نفسى .وفيما هو ملك يقيم بالسدرة .

ومنهم رضى الله عنهم :

* * *

عبد الله بن محمد بن عبد الطيب

قال : عالم الأنفاس حالة مشام الأرواح فى التعارف ، فما وقع منها وجها لوجه كان كل واحد منهما فى المعرفة بصاحبه والحب له على السواء . والود ثابت لا يبرح .

وما وقع منها ظهراً لظهر فبالعكس مما ذكرنا .

وما وقع منها وجها لظهر ، فذو الوجه محب ، والآخر عنه غافل .

وقد سمعت قول بعض الصالحين وقد سلم عليه ذوالنون فردعليه وسماه ، وذوالنون لايعرفه، فقال له ذوالنون : من عرفك باسمى ؟ فقال له : عرفت روحى روحك بعينى فى هذه الحضرة . ومسألة أويس القرنى مع هرم بن حيان ولذلك لايعرف كل شخص .

وقد تكون الرؤية فى هذه الحضرة بين الأرواح على الجنب بالعين الواحدة ، وقد يكون الواحد مقبلا على جانب الآخر ، وقد يكون على جانب اليمين ، أو على جانب الشمال ، فيكون أبداً المقبل بوجهه عارفا بالآخر ، ويكون أبداً صاحب العين الواحدة متحير معرفة، غير قاطع بها ، ولايعرف هذا إلا بعد الكشف لهذه الحضرة .

وقال : العشق التفات الروحية ، والحب صفاء ذلك الالتفات ، والود ثباته ودوامه ، والهوى أول سقوطه فى القلب .

وقال : الذهاب صفة العارفين ، لكن ذهاب إلى غاية .

وقال : الحال الذى يملكه النبى غير الحال الذى يحكم على الولى . وللأنبياء حال يحكم على الأنبياء . ألا تراهم عند نزول الوحى ترد عليهم حالة الفناء والبهت ، ويرغون مثل ما يرغو البعير ، وينصرف عنهم الوحى وجبينهم يتفصد عرقا بحكم الحال عليهم .

وسبب ذلك أن للنبى وجهين : وجه للولاية ، فهو ولى بذلك الوجه ، ووجه للنبوة . فمن حيث ولايته يملكه الحال ، ومن حيث نبوته يملك الحال والولى ليس له وجه سوى وجه الولاية ، فيملكه الحال .

فالأولياء تصرفهم الأحوال ، والأنبياء يصرفون الأحوال .

ألا وإن الأولياء يصيرون من القوة بحيث لاتسترعيهم الأحوال فى حالهم ، ولا يقفون مع شىء وقوف تعشق إلا مع العين التى فيها ومنها تظهر الأحوال . فهى باقية ، والأحوال فى كل آن فانية والعشق الفانى جهل وعذاب حاضر .

ومنهم رضى الله عنهم :

* * *

عبد الله بن يوسف بن عبد الرازق

قال : من يستعمل العلم فهو العالم المحقق ، وهو فوقه ، ومن يستعمله العلم فهو مكلف متكلف ، حافظ نقل الحكم .

وقال : كل ما كان للعبد كسب فالحق هو القائم به لا العبد ، ولكن فيه ظلمة الكسب ، وكل مالم يشاهد العبد فيه كسبه وأبقاه للحق ، لم ينظر إليه

الاسم القائم ، لأن القائم إنما ينظر لمن قام له فى فعله كسب ، فإنه مقام لاسمه القائم ، فلذلك ينظر إليه الاسم القائم ، ليزيل قيام الكسب عنه .

وكان العقل نورا محضاً نخلط من ظلمة الكسب .

وقال : المعرفة من كسب النفس ، فالحق قائم بها ، فالمعرفة نفسية ربانية جنانية .

وقال : بالباء عرفه العارفون ، وبزوالهم صح الدوام لهم فى المعرفة .

وقال : من جلس مع الله من حيث هو رزاق فمع بطنه جلس ، وهو من المغترين .

وقال : إن من عباد الله من إذا رفع عنه حجاب المشاهدة ، ولم يحجبهم عن الذكر فى هذه الحالة ، وأعطاهم الفهم فى ذكرهم وأورادهم فى الملكوت ، ونفوسهم تتقلب فى أطوار النعيم واللذات ، بالحور الحسان ، والمشارب والمطاعم الشهية ، والمسموعات النغمية المستعذبة ، وكل ما أعطاه الحس لهم من الكشف فى عالم دنياهم إن كانوا فى الدنيا ، وأهل الآخرة إن كانوا فى الآخرة ، وأسرارهم ناظرة إلى جمال رب العزة ، كل ذلك فى وقت واحد ، وحالة واحدة ، لا يحجبهم شىء عن شىء ، فقد أعطاهم الغاية التى ما فوقها غاية ، وهى أعلا مرتبة ينالها أولياء الله وخاصته .

ومنهم رضى الله عنهم :

* * *

عبد الله بن عبد الشكور بن داود

قال : العبد بين نعمة وبلية قائم ، فالنعمة تطلبه بالشكر ، والبلية تطلبه بالصبر ، فهو الصبار الشكور كراكب البحر .

وقال : الربانى فخره فى غناه ، والإلهى فخره فى فقره .

وقال : الحركة تصحبها الدعوى بأنها موجود ، والسكون لا دعوى فيه لأنه عدم ، فله ما سكن في الليل والنهار خالصا من الدعوى ، وله ما تحرك في غير عالم الليل والنهار . لا في عالم الليل والنهار .

فإذا خرج العبد من ليل نشأته ونهارها كان لله لا لنفسه . ولما كان السكون الثبوت كان له ، وكل ثابت فهو له ، وما ليس بثابت فهو لك ، وهو العدم .

فالعدم الثابت لك منك ، والوجود الثابت لك منه ، وما بينهما فحالة إضافية ونسب .

وقال : الكافر يعدل بربه إلى نفسه ، والمؤمن يعدل بنفسه إلى ربه ، والعارف يعدل بربه إلى ربه ، وبنفسه إلى نفسه .

الكافر يقع في الظلمة فيحجب ، والمؤمن يقع في النور فيكشف ، والعارف يشق حجاب الأنوار والظلم ، فيرى الحق بالحق ، ويرى الأشياء بالحق ، والمؤمن يراها بنور الحق ، لا بالحق .

وقال : الإعراض لا يمكن أن يكون عن الله ، فإنه مطلوب الكل . وإنما يكون الإعراض عن الآيات والذكر فإن الآيات كون ، والذكر كون ، فإنه من عالم العبارة والخاطر ، والحق المطلوب بالوجه خارج عن الأكوان ، فلذلك أعرض من أعرض .

ولما رآه العارفون في الآيات والذكر لم يعرضوا عن الآيات والذكر ، فسعدوا حين شقي من أعرض عنهما .

وقال : لما كانت الآيات علامات لا على أنفسها أعرضوا عنها معرفة بارتفاع المناسبة فكانوا عارفين .

انتهى الجزء الثاني من كتاب العبادلة

ويتلوه الجزء الثالث

الجزء الثالث

من كلام العبادلة

فى الحقائق بألسنة الأسماء

فى هذا الجزء

عبد الله بن عبد الحى
وابن عبد المغيث
وابن عبد العلى

وابن عبد الوالى
وابن عبد المحسن
وابن عبد القادر
وابن عبد الجبار

وابن عبد الباقى
وابن عبد الكبير
وابن عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه العون والعصمة

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن إلياس بن عبد الحى

قال : إن من عباد الله من قلوبهم من نور الملك ، ومن قلبه من نور الملكوت ، ومن قلبه نور الجبروت ، ومن قلبه من نور ملك الملك ، ومن قلبه من نور النور .

وقال : الحى من لايموت ولايجوز عليه الموت ، ومن يجوز عليه الموت فهو ميت وإن كان حيا .

وقال : من كانت حياته بالحى فهو حى دائم ، ومن كانت حياته بغير حى كحياة عالم التركيب الطبيعى فهو ميت ولو دام .

وقال : الموت عبارة عن مفارقة الوطن ، (ومن فارق عبوديته فقد فارق وطنه ، والدعوى فى الربوبية غربة ، والغريب ذليل)[1] .

وهو سفر ، وفيه يفطر الصائمون ، وتقصر الصلاة الرباعية .

وقال : قطع العلائق موت الخلائق ، فإذا انقطعت العلاقة بين الروح والجسم صح الموت (واسم الميت[2]) على كل واحد منهما .

وقال : الوجودية حياة أزلية ، تتلوها حياة وجودية روحانية ، تتلوها حياة عهدية ميثاقية ، تتلوها حياة دنياوية .

وفيها حياة سباتية ، تتلوها حياة سؤالية ، تتلوها حياة برزخية ، تتلوها

---

(١) مابين الحاصرتين ساقط من : د . (٢) مابين الحاصرتين ساقط من : د .

حياة حشرية ، تتلوها حياة جنانية ، تتلوها حياة نظرية ، وهى عين الحياة الأزلية .

إلا أن هذه تسمى حياة أبدية . وهى حياة لاموت فيها ، وكل حياة ذكرناها فعن موت .

وقال : من ركب فرس النار طار مع الملائكة[1] .

وقال : الجمال محبوب لذاته وإن اختلفت صفاته فى أعين الناظرين .

ومنهم رضى الله عنهم :

* * *

عبد الله بن هارون بن عبد الوالى

قال : العلوم على خمسة أقسام : علم الأحوال ، وهو المشبه بالخمر . وعلم الأوهام ، وهو المشبه بالعسل . وعلم التوحيد ، وهو المشبه باللبن . (أعنى علم التوحيد الذى جاءت به الشرائع)[2] . وعلم الرسوم ، وهو المشبه بالماء ، وهو على قسمين : ماء غيث ، وماء عيون .

فماء الغيث علم يتعلق بالأرواح ، ومافى ضمنها ، وماء العيون وهو علم مايتعلق بعالم التركيب ، ومافى معناه وضمنه ، وقوله : « غير آسن » . أى غير متغير .

فإن العلوم على قسمين : علم يتغير معلومه ، وعلم لايتغير معلومه . فإذا كان العلم واحدا لم يتغير ، والمشبه بماء العيون هو المتغير ، بخلاف ماء الغيث فإنه على صفة واحدة .

---

(١) فرس النار كناية عن الشهوات . وركوبها التحكم فيها وإدخالها تحت حكم العقل والروح .

(٢) مابين الحاصرتين ساقط من د

وقال : إن من عباد الله من تجرى عليه أحكام العبادات على الكمال من غير نقص ، وأحكام العادات من غير أن يكون ذلك متصورا فى قلوبهم .

وربما يقول القائل : وبعض الأعمال لابد فيها من النية ، (وهى أعمال القلب ، فكيف يتصور أن تكون هذه عبادة ؟ قلت : والنية(١)) من جملة العبادات التى تجرى ، وماله قصد فى القصد .

وقال : من تحقق بالحق لا يتصف بصدق ولا إخلاص ، ولا حال ولا مقام .

وقال : لايقف الفتح على العبادات ، بل قد يفتح فى غير العبادات بأعظم مما يفتح فيها ، فإن الفتح جود ومنة ، والأعمال للجزاء فى الدار الآخرة .

وقال : لاتدخل الحضرة الإلهية أبدا وهناك أحد يجذبك من خلفك . فمن زعم أنه فتح له فتح العناية الإلهية ، والتقريب الاختصاصى ، وأن معرفته من هذا النمط ، ومشربه من هذه العين ، وعليه لمخلوق حق يطلبه به فقد كذب ، وبطل مازعم ، فهذا شرط الفتح .

وأما العلم فقد يحصل له ، ولكن لافائدة فيه فى عين القرب .

وقال : ماثم إلا موافقة ومخالفة ، فبالموافقة ينال القرب الإلهى ، وترفع الحجب ، وبالمخالفة يكون البعد الإلهى (وإرسال الحجب ، إذ هو القريب البعيد)(٢) .

وقال : من العباد من لا تضرهم المعاصى والذنوب للعناية الإلهية التى سبقت لهم عند الله ، فيا أيها المتعدى حد ربه أنظر ماحصل عندك من الفتح فى عين القرب ، هل يتغير عليك أم لا ؟

---

(١) مابين الحاصرتين ساقط من : د .

(٢) مابين الحاصرتين ساقط من هـ .

فإن تغير حالك فاعلم أن الله قد نبهك على أنك فى عين البعد ، فإن وفقك للتوبة ، وألهمك إياها فأنت السعيد .

وإن لم يتغير عليك حالك فانظر فى إبقاء ذلك عليك مع وجود المخالفة وانتهاك الحرمة ، هل هو من الاعتناء فلا تضرك المعاصى : « ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر » . فقد سبقت المغفرة وجود الذنب ، فلم يبق له أثر فى عين القرب ، أوهو من عين المكر بك حتى تفتر فتسلب ذلك فى الوقت الذى يضرك زواله .

فإن كان مكرا فاستدرك الرجوع إلى عين الموافقة . ومعرفة ذلك بالاطلاع على كلمة الحضرة ، بلسان الفهوانية ، فيرتفع الريب والشك . وما ثم إليه طريق إلا هذا ، فإن لم تجده فهو مكر .

وقال : لما انتشر العلم من جانب الحق على بساط الرحمة تسارعت إليه الأكوان ، فأخذته من طرق مختلفة ، فمهما عدلت عن الطريق الذى منه أخذته ردها إليه القائمون على موضع اجتماع تلك الطرق(١) ، فإن أجابوهم سعدوا ، فهم عالمون بعين الجمع من سواهم . فعين جمعهم أحدية طريقهم لاغير .

ومنهم رضى الله عنهم :

* * *

---

(١) أول الشيخ أحمد بن عجيبة الحسنى قواعد النحو والصرف والفقه إلى طريق الله ، لجمل منها علم إلهيا ، وهكذا يمكن أن تصل جميع العلوم بالإنسان إلى الله .

(٢) لأنهم كما يقول الشيخ الأكبر يقفون على مجتمع الطرق ، حيث تتجمع كلها فى طريق واحد ، هو الطريق القريب من عين الفيض . وهم يقفون بوجهين وجه سالك واحد فى السمت والهدف ، ووجه ناظر إلى عالم الفرق لهداية الحيارى وجمعهم على طريق الله الواحد .

عبد الله بن يعقوب بن عبد الباقي

قال : العلوم من الصدور إلى الطروس ، لا من الطروس[1] إلى الصدور .

الطروس أمكنة الحروف ، والألسنة أمكنة العبارة ، والحواس أمكنة الإشارة ، والعلم من وراء ذلك كله[2] فهو لا يتقيد بحرف ولا عبارة ولا إشارة فهو منه إليك ، فإن وقفت مع تلك البسائط[3] أتعبك فى تحصيله ، وتكلفت مشقة عظيمة ، وقطعت شقة بعيدة ، وإن لم تقف أخذته من عين الرحمة واللطف .

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت

وقال : إذا كنت مع الحق أينما كان كنت من شأنه ، كما هو معك أينما كنت عنده ، فصح لك أن تكون أنت أنت .

وقال : لا يكون الحق ثوابا إلا لمن لم يتحرك إلا به ، ولا سكن إلا به ، ولا عرف إلا به ، ولا جهل إلا به ، فلم يكن الحق فى مقابلة شيء سوى نفسه ، فهو ثواب لنفسه .

ويحصل للعبد من ذلك كونه محلا لهذا التصريف على الشهود ، فكما لم ير فى الدنيا غير الله ، كذلك لا يرى فى الآخرة إلا الله مع شهود الأحكام الكونية[4] فى الدنيا والآخرة .

---

(١) الطروس : الأوراق .

(٢) لتحقيق أن الحواس تكذب فى إعطاء حقيقة العلم أنظر [المنقذ من الضلال . للإمام الغزالى] . وكذلك أنظر [العالم غير المتطور . للدكتور عبد الجليل راضى] . مع التحفظ فى النظريات الروحية السائدة بين المشتغلين بالروح .

(٣) فى د : الوسائل .

(٤) فى د : مع ظهور الأحكام الكونية .

فهو يأكل ويشرب وينكح ، ويسمع ويجيب ، وهو حق فى حق ، بعين محق ، عن كل باطل وحق .

وقال : للمؤمنين الدرجات ، وللعارفين الفوائد ، الوجودية ، التى هى عين كينونته الحق لا أكوانه .

وقال : ما من ذوق ولا شرب ولا رى ولا وجود ولا تجل إلا وله لسان ، لكن لا يفهم به ، ولا يفهم عنه ، ولا يقع بجهة الإيماء ، ولا يأخذه المثال ، فهو لسان خاص بينه وبين ربه ، لا يكلم بتلك اللغة غيره .

وقال : الغنى للعارفين ، والفقر للمحققين الكمل من الرجال (١) .

وقال : الواله مبطل لوجوده ، فلا وجود له .

وقال : الزيادة مشعرة بالنقص فى كل شيء ، إلا الزيادة من الله تعالى فإنها كمال فى كمال . وهنا معنى دقيق لطيف(٢) .

وقال : العلم والمعلوم والعالم ثلاثة عينهم واحد (٣) .

وقال: اجتمع عارف ومحب ، فادعى كل واحد منهما أنه محيط بصاحبه، فسألونى عن ذلك فقلت لهما : أحدكما به ، والآخر له .

ومنهم رضى الله عنهم :

* * *

---

(١) المراد بالفقر الاضطرار الدائم إلى الله ، ولايتقيد هذا الاضطرار بجهة فى الكون ،بل هو كلى حتى يصير ملكة للمحقق . أماالعارف فقانع بما عنده ولوكان قليلا ، فهو غنى فى هذه الحالة لا يريد من ربه غير ما هو فيه .

(٢) لعله فقدان الرغبة فى الأشياء ، لأن العارف الذى يزداد من الله يزداد ثقة وعرفانا بحقائق الأشياء على ماهى عليه فى الأصل فلايشعر نحو مظاهرها برغبة ، ويعيش قريبا من حقائقها فى عين العلم ، فأصبح ما كان محظورا فى مظهره نميا فى حقيقته .

(٣) فى ه : كلهم واحد .

عبد الله بن عبد المغيث بن ذى النون

وقال المحب مبتلى ، والحبيب معافى ، والشخص واحد .

وقال : تصرفنا وتسألنا فهل لى إلى تعريف أمرك من سبيل (١)

وقال : إن الرسالة للنبوة جامعة وكذا النبوة للرسالة دافعه

(كما قال الصاحب رضى الله عنه) (٢) : ورسولك الذى أرسلت . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، قل : ونبيك الذى أرسلت .

وقال : إن المقادير تجرى غير قاصرة وتنتهى بى إلى حد ومقدار
فلا وجود لها إلا وبحصرها ولا وجود لنا إلا بأقدار

وقال : إذا كانت اعمالى إلى خالتى تعزى وأنى بجزى بها عندما أجزى
(وقد ورثتنى حال مجد وسؤدد وأن لنا منها المكانة والعزا
وكانت لنا بالحال حفظاً وعصمة وكانت لنا فى كل نازلة حرزا)(٣)

وقال : لله فى خلقه طلائع أرواحها كلها طوالع
إن أنجدت طالبات علو دارت بأنفاسها الشرائع
أو اتهمت طالبات سفل دارت بأنفاسها الطبائع
فبين شرع وبين طبع قام لنا مالك وشافع
فمالك يقتضيه طبعى وشافع فى الطباع شارع

---

(١) فى ه يصرفنى ويسألنى فهل لى إلى تحصيل أمرك من سبيل
(٢) مابين الحاصرتين ساقط من الأصل .
(٣) مابين الحاصرتين ساقط من الأصل .
(٤) فى الأصل : زوابع .

وقال: بطون في بطون في بطون   ظهور في ظهور في ظهور
وجود في خمود في وجود   خمود في وجود في خمود(١)

وقال: الكامل من الرجال يكنى « أبا العيون » (لأنه ينظر إلى كل شيء بعين ذلك الشيء، فيعطي كل ذي حق حقه، لأن الله أعطى كل شيء خلقه)(٢). فتحقق بمولاه في قوله: «تجري بأعيننا». فجمع وما أفرد.

فالعين التي يرى بها ربه، غير العين التي يرى بها نفسه، وعين يرى بها فعله. وعين يرى بها ذنبه، وعين يرى بها قربه، ولكل حال عين.

وقال: المعاذير تهمة وتزكية، ومن لحق برجال الله تعالى لم يعتذر، فالعذر علة قاطعة، فاقبلها ممن جاءك بها، ولا تسكنها، ولن يجيء إليك بها مثلك.

وقال: لوكان للوجود انتهاء، ما كان لي عليك بقاء.

وقال: في صورة الحسن أبدى لي محبته   فما رأيتك إلا كنت لي حسنا

وقال: اختلفت كلمة الحضرة في عباد الله، فقوم أخرستهم، وقوم أنطقتهم بأنا، وأنطقت آخرين بأنت، وقوم أنطقتهم بهو، والكل له وبه ومعه وإن اختلفوا.

وقال: توالى البرق لمحا بعد لمح   فعاينت الملاحة في التماحه
ومنهم رضي الله عنهم:

* * *

(١) يعني كلما اشتد البطون والخفاء والغموض في أي مظهر من مظاهر الكون أو في كلياته كان هذا الخفاء والغموض من مبدأ الأشد أنواع الظهور. ولذلك شاهد من العلم الحديث. فالذرة أخفى الكائنات مشهدا وأغمضها معرفة، ومنها يبدأ أشد أنواع الظهور في عالم الخير والشر على السواء.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

عبد الله بن محمد بن عبد المحسن

قال : تنوعت أحوال الملك فى نفسه بين ملك ومشيئة ، وحكم وعلم ، وكلام ومعرفة ، فالتصريف للملك ، والنفوذ للشيئة ، والتكليف للحكم والإحاطة للعلم ، والجود للكلام ، والوجود للمعرفة .

وقال : النار ناران ، نار غير محرقة   وهى التى ما لها سفع ولاشرر

وقال : الإقبال على الله إجابة لنداء الله تعالى ، وسماعك إياه من حيث لاتشعر .

وقال : من رآى الله فى الأشياء فقداستراح (١) (الخلق منه ، ومن رآى الأنوار بالله فقد استراح) (٢)

وقال : من أسماء الله تعالى ما لا يدل على غير الله تعالى ، ولا تعلق له بكون ، وهو من خصائص الذات .

وقال : إنما لم يكن فى الإمكان أبدع من هذا العالم لأنه ما ثم إلا رتبتان : الحق فى الرتبة الأولى . وهو القدم ، والعالم فى الرتبة الثانية ، وهى الإمكان والحدوث عن المرتبة الأولى ، والعالم منصبغ بمرتبته ، ولو خلق ما خلق إلى ما لا يتناهى ، فلا يزال فى المرتبة الثانية الإمكانية مصبوغا بها .

ولاشك أن الحقائق هى فى كل شخص بذاتها ، لا توصف بالقسمة ، ولا بالكلية ، ولا بالبعضية فالبياض فى كل أبيض بحقيقة ، كذلك الإمكان

---

(١) طبيعى ألا يرى ذات الله ، وإنما يرى آثار أسمائه فى الأشياء ، فإذا نظر إلى مظهر من مظاهر الوجود اقترنت النظرة بالبحث عن الاسم الذى سيطر على هذا المظهر وحكم عليه ، وبهذا الاعتبار يتأمل مظاهر الوجود ، فإذا تدبر الاسم الحاكم عليها فقد رآى الله فيها مجازا .

(٢) مابين الحاصرتين ساقط من هـ .

فى كل ماسوى الله ، وهو الممكن بحقيقة فافهم (١) .

وقال : نزول المعانى فى عالم الأرواح تروحن ، وإلى عالم الأجساد تجسد ، وارتقاء أرواح الأجسام إلى عالم الخيال تجسد ، وإلى عالم الأرواح تروحن .

وقال : الاغترار بالله من حيث الكرم والجود ، لاعتقاده فى جود الله وكرمه .

وقال : ماعصاه مؤمن قط انتهاكا لحرمة ، ولا قاطعا بالعقوبة ، وإنما تقع المعاصى والمخالفات من المؤمنين من حسن ظنهم بربهم .

فإن الأسماء الإلهية واقفة على السواء ، وليس هذا الإسم المعين فى ظهور أثره عليه بأولى من هذا الإسم المقابل ، وهو عند حسن ظن عبده به .

وقال : علق سبحانه النشر بالمشيئة من غير قوله : (ثم إذا شاء أنشره) وأخبر بالخلق والتعريف والهداية والموت فى هذه الصورة : وما قرن من ذلك شيئا بالمشيئة فما ذلك إلا لحكمة .

وهى التنبيه على النشأة الآخروية وأنها تشبه هذه النشأة الدنياوية ، إلا من حيث الجسمية ، لامن حيث غيرها ، مع أنه ممكن أن تكون بعينها ، فهذا تنبيه صحيح (كما قال سبحانه وتعالى : « ولقد علمتم النشأة الأولى » . أنه أنشأها على غير مثال سابق « فلولا تذكرون » أن الله تعالى أخبر أن تلك

---

(١) فالعلم قد يكون ممكنا بحقيقة إذا تنزل فى العوالم إلى المستعد لقبوله وهو الإنسان ، وهو فى هذه الحالة ممكن بحقيقته ، فإذا فنى حامله صعد إلى المرتبة الأولى التى هى أصله فيصير قديما بحقيقة مانسب إليه ، فظهر أن العلم فى حقيقته قديم فإذا تنزل إلى الإنسان انصبغ بمرتبته وهى الإمكان ، فإذا فنى المحل عاد إلى أصله وهو القدم ، والوجود الإلهى قديم ، فإذا تنزل إلى الكائنات انصبغ بها فصار ممكنا ، فإذا فنى المحل عاد الوجود إلى أصله .

النشأة بلا جوع ولا تبول ولا تمخط ولا تغوط ، منزهة عن المستقذرات كلها) (١) .

والأخبار قد وردت بصورة الخلق الأخراوى من اللطافة والصفاء فى حق السعداء ، والكثافة والكدورة فى حق الأشقياء ما لا يناسب هذه الصورة اليوم وقد قال : « بدلناهم جلودا غيرها » ولم يقل : إنها بعينها .

وأما قوله : « تشهد عليهم » . وذكر الجلود والسمع والبصر والألسنة والأيدى والأرجل ، فليس هذا دليلا على أنها أعيان هذه التى عندنا اليوم ولابد ، مع جواز ذلك .

والمقصود حصول العلم عند الشهود ، وبأى طريق حصل العلم كانت الشهادة ، كشهادتنا على الأمم قبلنا وما رأيناهم .

ومن التنبيه أيضا قوله تعالى : « كما بدأكم تعودون » . خطاب الأرواح أنها بدئت مدبرة لأجسادها ، فتعاد بعد المفاقة إلى تدبير أجساد ترابية تنشأ على عجب الذنب الباقى من هذه النشأة (٢) ، وتعاد أيضا كما بدئت من قوله « وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا » .

ولوكانت الإعادة مثل البدأة لكانت الإعادة فى حق آدم تخميرا ، كما علمتم أن الله استوى ، وإعادة حواء كذلك وإعادة عيسى كذلك ، وإعادة بنى آدم كذلك بنكاح وتناسل ، وتوالد نطفة وعلقة ومضغة وتربية .

وقد ذهب إلى هذا القول ابن قيس صاحب « الخلع » . وحمله على تحقيق المثلية . نعم ، والأمر جائز . ولكن ما يقع الأمر على هذا . وإنما المثلية فى الذى ذكرنا

وقال : نعوت الكمال تبعث النفوس إلى تعظيمها . وصفة النقص على النقيض من ذلك .

---

(١) مابين الحاصرتين ساقط الأصل .

(٢) أى المثلية فى إعادة الأرواح لافى إعادة الأجسام ، فالأرواح بعينها تعود إلى تدبير أجساد ترابية تنشأ على عجب الذنب الباقى من الجسم الأول .

وقال: صفة الرب أبدا واجب على العبد تعظيمها. وصفة نفسه واجب عليه الإعراض عنها. إلا أن يرد فى ذلك أمر إلهى (١).

وقال: صفات الربوبية معظمة مالم تقم بالعبد. فإذا قامت بالعبد عين الحق لها مواطن تذم فيها، ومواطن تحمد فيها.

وصفات الكون إذا اتصف بها الحق سبحانه عظمت مطلقا. والتمس الناس لها وجوها فى التنزيه.

ومنهم رضى الله عنهم:

* * *

عبد الله بن إدريس بن عبد الكبير

قال: كل تعظيم لأمر(٢) فلعلة ما، وإن كانت خيرا فصاحبها معاتب من الله تعالى (جبرا لقلب ذلك الضعيف المستهضم) (٣).

وما أقبل صلى الله عليه وسلم على من أقبل عليه من زعماء الكفار إلا استجلابا لقلوبهم، ليؤمنوا، (لعلمه صلى الله عليه وسلم بان القلوب مجبولة على حب الإحسان، والنفوس مجبولة على حب التعظيم، لاسيما إذا عظمها من شهد الله تعالى بأنه عظيم) (٤). ومع ذلك كله عوتب.

وقال: إذا وقعت الحركة من العالم من غير أن يتحقق العلم بها، يلام عليها من أجل مرتبته، وعلو قدره؛ بخلاف غير العالم، فإنه مسامح فى ذلك.

وقال: زينة الحياة الدنيا هى زينة الله تعالى، لأنها تختلف بالقصد.

---

(١) كتعظيم بنى آدم فى قوله تعالى «ولقد كرمنا بنى آدم». وتعظيم صفة التقوى والولاية وغيرها.

(٢) فى ه: كل معظم أمر. (٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

وهى محبوبة بالطبع ، فإذا تحرك العبد إليها بطبعه كانت زينة الحياة الدنيا . فتذم لذلك (وإن كانت غير محرمة شرعاً) (١)

وإذا تحرك إليها بأمر ربه كانت زينة الله تعالى ، وحمد بها (٢)

وقال : لما كان أمر الله ، وكل ما يرجع إليه جد أكله ذمت الحياة الدنيا ، لأنها لعب ولهو وجهل ، فإن نفر الإنسان على مثله من جهله بحقيقته .

وقال : أعيان الذوات لا يتعلق بها من جانب الحق ذم ، وكذلك أعيان الصفات ، فإذا اتصف العبد بها تعلق بالعبد الذم والحمد ، فمحط عين الذم والحمد لا فى العبد ، بل فى عين التعلق ، فإن للمزاج حكماً لا يكون لكل واحد من المركبين قبل التركيب .

وقال : الكون كله مربوط بالأسماء ، والأسماء مربوطة به ، فإذا نظرت إلى ربط الكون بالأسماء نسبت إليه القدم ، وإذا نظرت إلى ربط الأسماء بالكون نسبت إليه الحدوث (٣).

وقال : كل اسم لله تعالى ليس له تعلق بالكون لا بسلب ولا بإثبات ، فهو اسم للذات ليس لله فإن أسماء الله تعالى مخالفة لأسماء الذات .

فأسماء الله تطلب الأكوان ، وأسماء الذات لا تطلب الأكوان ، فتعرف أسماء الله لهذا الارتباط ، وتجهل أسماء الذات لعدمه .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٢) كاللباس الجميل إذا تحرك إليه العارف إظهاراً لنعمة الله وتحدثاً بها لم يكن ذلك اللباس فى هذه الحالة زينته النفس ، بل هو زينة الله التى أخرج لعباده ، وإذا تحرك إليه العبد بطبع نفسه وميلها كان زينة النفس .

(٣) فى هـ . فلمحط عين الذم والحمد لأنها فى العبد عين التعلق .

(٤) لتقريب هذا القول : نأخذ صفة الخلق واسم الخالق . فإذا أرجعنا المخلوقات ورفعناها إلى أصلها ، الخالق ، كانت علما قديما ، وإذا نزلنا اسم الخالق ==

ومنهم رضى الله عنهم :

* * *

عبد الله بن إلياس بن عبد العلى

قال : الاسم علامة للمسمى، يعرف به عند الغيبة ، ولولا الغيبة ما احتج إلى الأسماء ، فإن الإشارة إلى الأسماء .

فإن الإشارة فى الحضرة تفنى ، فليس للأسماء ظهور إلا فى عالم الغيب فإذا حضر غاب الإسم فمن عبد الاسم عبد غائبا ، والعبادة لا تكون أبداً إلا مع الغيبة . ولذلك قال : « اعبد الله كأنك تراه » .

وهو حال غائب — فإن إحضار المرئى من قوتك ما هو حضور .

ولذلك تبتغى الأعمال مع المشاهدة لقيام الحق ، وفنائه عن نفسه ، فلا يبقى ثم مخاطبة حتى يرد موجوده وهو الغيبة ، فيقوم العمل به .

وقال : الليل ذكر ، والنهار أنثى ، فلما تغشاه حمل فولدت . فظهرت الكائنات من غشيان الزمان فالمولدات أولاد الزمان ، واستخرج النهار من الليل استخراج حواء من آدم « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون » ، ثم قال : « يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل» . كعيسى فى مريم ، وحواء فى آدم .

فإذا خاطب أبناء النهار قال : « يولج النهار » ، وإذا خاطب أبناء الليل قال : « يولج الليل » .

= وتنظر إليه المخلوقات كان خلقا حادثا . وليس المراد بنسبة الحدوث إليه نسبته إلى الذات ولا إلى الصفة بل نسبته إلى متعلق الاسم وحده . لأن الاسم قديم ، وذلك كله راجع إلى فكرة التنزيه والتشبيه ، ويوضحها القول الآتى بعده .

وقال : المفاضلة بين الخلق عند الله تعالى لنسبهم ، لا لنسبتهم ، فهم من من حيث النسبة واحد ومن حيث النسب متفاضلون : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . « اليوم أضع نسبكم ، وأرفع نسبي أين المتقون » ؟

وقال : لو وقع التفاضل بين الخلق من حيث النسبة لوقع بين الحقائق الإلهية [نفس التفاضل] ، والتفاضل هناك لا ينبغي ، فكذلك هنا (١) .

وقال : لما كان الارتباط في الأسماء الإلهية بينها وبين الأكوان لذلك وقع بينها التمييز وصح التوقف بينهم بعضهم على بعض . فالكمال فهم بالجملة ، فالحي أشرف من العالم ، لأنه موقوف عليه ، والعالم مع المريد ، والمريد مع القادر ، وهكذا جميع الأسماء .

وإنما تعينت هذه المراتب في الأسماء بالأكوان ، ولولا مشاهدة مراتب الأكوان ما نسب إلى الأسماء شيء من ذلك

ومنهم رضي الله عنهم :

* * *

عبد الله بن موسى بن عبد القادر

وقال : ما هلك امرؤ عرف قدره ، لأنه في معرفة المقادير الإنصاف وأداء الحقوق .

وقال : لو كان الشرف للأشياء من حيث نشأتها (٢) أو مواطنها لكان الشرف لإبليس على آدم في قوله : خلقتني من نار وخلقته من طين » .

---

(١) ولذلك كان من الخطأ في العقائد كراهية أو مخلوق لذاته ، لأن الكراهة حينئذ متوجهة إلى حقيقة إلهية وهو كفر صريح . وإنما يجب أن تقع الكراهة على نسبة المخلوق إلى فعل مكروه .

(٢) في هـ : من حيث شأنها .

ولما كان الشرف اختصاصا إلهيا لايعرف إلا من جانب الحق تعالى جهل إبليس فى مقالته تلك ، وصح الشرف لآدم والخيرية .

وقال : الحيرة أوضح لإقامة الحجة من العلم ، والعلم أشرف مكانة من الحيرة .

وقال : قدرة الله تعالى نافذة فى كل ما سوى الله ، وكل ماسوى الله ممكن والمحال عدم محضى ، فلا يصح عليه اسم ولا غير .

وقال : يعدم بالإرادة ، ويوجد بالقدرة .

وقال : المفاضلة إذا كانت بالأعمال فقد سبق التابع المتبوع .

وقال : إنما سميت الجنة جنة لأنها ستر بينك وبين الحق وحجاب . فإنها محل شهوات الأنفس ، فإذا أراد أن يريك ذاته حجبك عن شهوتك ، ورفع عن عينك سترها ، فغبت عن جنتك وأنت فيها ، فرأيت ربك فالحجاب عليك منك ، فأنت الغمامة على شمسك ، فاعرف حقيقة نفسك (١)

وقال : الأسماء حجاب على المسمى ، كما هى دلائل عليه .

وقال أيضا :

أنت الجواد بما تعطيه محسان ... أنا الفقير الذى تدعوه إنسان
بالجود أعرف من بالفقر يعلمنى ... ولى عليه دلالات وبرهان
كما تقرر أن الحق يمنحنى ... ولى بذاك زيادات ونقصان

---

(١) إذا أرادت النفس أن تقارف معصية صنعت سترا على بصيرة العبد فغاب عن الهم الناشىء من لوم النفس ، وانقلب غمه سرورا بالمعصية ، وتبعا لكثافة الحجاب ورقته تكون قيمة الإيمان المشهود فى قلوب المحجوب . ورد فى القرآن أنواع الحجب كالعمى والصمم والختم والتغليف والضلال والران والغشاوة . وغيرها .

لى منه بالفقر أرباح مقررة   وبالغنى لى منه اليوم خسران
على به لا بنفسى أنه سنـدى   برهاننا فيه إسلام وإيمـان

وقال : انظروا قوله : «لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل» ولم يقل : ظلل من النار (١)

وقال : يأتيهم الله فى ظلل من الغمام ، والغمام من الغم ، فإن الغمام حجاب بينك وبين السماء التى هى عالم الانفساح ، ولذلك تنقبض النفوس عند تراكم الغمام ، لأنها تحول بينها وبين عالم انفساحها ، ومسرح أبصارها وانشراحها (٢) .

وقال : «كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها» ، إلى غم آخر أيضاً أبد الآبدين ، فهذا المجىء الإلهى الربانى ، مجىء قهر وعظمة ، وإظهار إقتدار ، للقضاء الفصل بين العباد . فيأخذهم من تحتهم . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى تعوذه : «أعوذ بك أن أغتال من تحتى» .

ويتجلى للمؤمنين من فوقهم ، وسبب ذلك أن المؤمن عليه ، فنسب العلو إليه ، فتجلى له من فوق ، يقول الله تعالى فى الملائكة : «يخافون ربهم من فوقهم ، ويفعلون ما يؤمرون» .

---

(١) الاستعلاء مقام إبليس ، فالظلل والحجب فى حق هؤلاء إبليسية من النار . أما الحجب التى من تحتهم فهى طينية من شهوات النفس فى الأرض ، وهى من وسوسة الحجب النارية ولوازم الاستعلاء ، وليست هو .

(٢) ولذلك أيضا كان الله قريبا من المغمومين والمهمومين والمرضى وأهل الفقر والحاجة ، فتلك من الحجب الطينية التى من تحتهم فكلما استطاع العبد أن يقوم بحق تلك الحجب بنسيانها والتوجه إلى الله فقد أفلح . ولذلك قالوا إن الاضطرار يقوم للعبد مقام الاسم الأعظم الذى إذا دعى به أجاب «أمن يجيب المضطر إذا دعاه» .

والكافر جهله ، فنسب العلو لنفسه ، فأخذه الحق من تحته فلم يره ،
فذلك هو عين الحجاب : «كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون» . بالقيام
الذى أخذهم فيه الحق من تحتهم .

ومنهم رضى الله عنهم .

. . .

عبد الله بن عبد العزيز بن يوسف

قال : لو كان الإيمان نافعا لصاحبه من حيث هو إيمان فقط لنفع
الإيمان عند رؤية البأس ، وفى الدار الآخرة ، وعند طلوع الشمس من
المغرب ، وهو ليس بنافع مع وجوده فى هذه المواطن ، ولا المواطن
أعطت هذا . فإن قوم يونس قد نفعهم الإيمان فى هذا الموطن ، وإن الله
تعالى استثناهم ، فلم يبق النافع إلا النافع جل جلاله .

والإيمان من حيث أنه ينفع مقترنا بحالة ما ، أو فى موطن ما . حجاب
عن الله ، فلا يحجبك إيمانك بالله عن الله ، ولا تتخذه سببا ، بل اجعل
نفسك سببا له ، فإنه ليس له ظهور إلا بك (١) .

وقال : أعظم العبادات عند الله ما أيدها الخيال . « أعبد الله كأنك تراه» :
وما أنت له تراه .

وقال : لولا الوهم ما ظهر للعلوم فى الكون سلطان ، فإنه ما ثم قطع ،

---

(١) هذا تقرير لنظرية الاستمداد والاستفاضة من داخل الإنسان لا من
خارجه ، فالمعرفة تستنزل ، ولا يصعد إليها ، فإذا حاول العبد التسامى
بمداركه عن طريق الإيمان ليعرف الله فقد جعل بينه وبينه حجابا . أما إذا
استفاض المعرفة بظهور الإيمان على نفسه فقد أدرك المعرفة الحقة .

إذ لا يقطع على الله بشيء، فإن المشيئة فى الكون مجهولة ، فكما هو شديد العقاب ، فهو الغفور الرحيم .

وقال : بالتزيين ضل من ضل ، وبه اهتدى من اهتدى فالزينة هى الحاكمة على العبد بتعشق حاله ، ولذته بما هو فيه ، لأنه بالطبع يطلبها ، ولو عاين وجه الكراهة فى حاله ، ولم يزين له ذلك ما أقدم على مكروه والله عليم حكيم .

يقول الله تعالى : « أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً » . إلا أنه قال فى موضع آخر : « زينا لهم أعمالهم » . ثم قال فى موضع آخر : « زين لهم الشيطان أعمالهم » ، فأبهم الأمر علينا ، وما عرفنا الفرقان بين الزينتين .

ومنهم رضى الله عنهم .

* * *

عبد الله بن شمويل بن عبد الجبار

قال : دخول الجنة برحمة الله تعالى ، ولا يدخلون غالبا حتى يبتليهم الله تعالى . فالابتلاء من رحمة الله ، فبلاء الأجسام هنا ، وبلاء السرائر هناك فالظاهر من كل عالم هو المبتلى .

ولما كان الظهور هنا للأجسام ، والسرائر باطنة فيها وقع البلاء بالجسم ، ولما كان الظهور للسرائر هناك . والأجسام باطنة فيها ، وقع البلاء بها هناك « يوم تبلى السرائر » . ومن هنا تعرف أن نشأة الآخرة لا تشبه نشأة الدنيا ، وإن كانت طبيعية .

وقال : نشأة السعداء طبيعية . ونشأة الأشقياء عنصرية . فاعتبر ما قلناه فإنه يغلب على ظنى أنه ما طرق سمعك من غيرى والله أعلم .

وقال : للعلم الإلهى توقف فى التعلق ببعض الأكوان من حيث النسبة حتى تكون تلك النسبة ، فيكون التعلق بها على حسب ما تعطى .

وقال . لو آمن أهل الكتاب بما فى كتابهم لآمنوا بك . فكان خيراً لهم . فمن كفر بمحمد فقد كفر بنبيه وما أنزل عليه . فإنه كذبه فيما أتى به من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم . وغير ذلك .

وقال : وجوه القلوب هى المسودة والمبيضة . ثم تلا : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » . لأنها الظاهرة هناك وهى التى كانت هناك مسودة بالكفر . مبيضة بالإيمان .

وقال : تحول الإنسان فى الصورة التى فى سوق الجنة دليل على ظهور روحانيته هناك على جسمانيته . كما يتحول الإنسان هنا فى باطنه فى صور مختلفة مع الأنفاس ، والجسم على حالة واحدة .

وقال : المقصود والإشارة عند أهل الإعتبار من الدار الآخرة من كونها آخرة تحول النشأة فيها . فيرجع الظاهر باطنا . والباطن ظاهراً . « يكور الليل على النهار . ويكور النهار على الليل . ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك النشور » حياة كله . كشف وحقيقة .

تم الجزء الثالث . ويتلوه الجزء الرابع

والحمد لله وحده . وصلواته على نبيه محمد وآله

الجزء الرابع

من كلام العبادلة

فى الحقائق بألسنة الأسماء

فى هذا الجزء

عبد الله بن عبد العال	وابن عبد القاهر
وابن عبد الرءوف	وابن عبد الواسع
وابن عبد الناصر	وابن عبد العظيم
وابن عبد الغنى	وابن عبد السلام
وابن عبد الحميد	وابن عبد الوهاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله

ومنهم رضى الله عنهم

عبد الله بن دانيال بن عبد العال

قال : إن من الأسرار ما ينال بالإشراف عليها ، فتكون علوما ليس لها أحوال .

وقال : الكون وإن لم يكن له أثر فلا تظهر الآثار إلا منه وبه . فهو الباطن سبحانه عن الإدراك فى هذه الرؤية .

فابتداء الأشياء منه . وإليه مرجعها ، وهو القائم بها ، ما بين الرجوع والبدء . ولولا هذا الحفظ الإلهى ما استمر لها وجود .

وقال : عمى الناس عن تبديل الكون فى أصله ، فى كل زمان فرد بأسره ، ومع هذا فانت عين الأول لامثله ولا غيره ، فهو مكون على الدوام ، وانت مكون على الدوام ، ولو لم يكن الأمر هكذا لاستغنيت حالة ما ، وكانت الصفات الافتقارية التى هى فى مقابلة استغنائك تطلب حيث تظهر . ولست بمحل لها ، فتعود على من لايقبلها ، وليس لها محل غيرك ، والاقتدار نافذ فيك .

وقال : الفطنة والفراسة والإلهام من علوم الأولياء ، وهى كلها صفات كمال لهم ، مع أنها تشير بذاتها إلى جهل وعجز وغفلة ، سوابق عليها . والإختصاص الإلهى يزيلها ، ويقيم هؤلاء بدلا منها .

وقال : العبودية ميزان ، لا يعلم إلا من جانب الحق سبحانه تعالى .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن إسحاق بن عبد القاهر

قال : الوقت يسحقك ولا يمحقك .

وقال : لما كانت العلاقة أمر مشتركاً بين الجسم والروح لذلك صح اسم الميت لكل واحد منهما ، كما صح اسم المفارق لكل واحد من الزوجين لما وقعت الفرقة على عين الجمع بينهما ، فنبه الحق على رجوع العلاقة بين هذا الجسم بعينه وبين روحه بقوله : « فأحيينا به الأرض بعد موتها وكذلك النشور » .

والجسم هو المشتبه بالأرض ، وهو الذى طرأ عليه الموت . ففرق بينه وبين روحه المدبر له ، فلو كان غير هذا الجسم لم يكن جسما طرأ عليه موت ، فكانت الآية لاتصح ، غير أنه تختلف عليه الأعراض ، كما وردت به الشريعة من الله .

وقال : طاعتك الله فيها طاعة كل شىء لك .

وقال : إذا وقف سر العبد مع من لاتجوز عليه الحركة والانتقال لم تظهر عليه كرامة أصلا ، وصار الأمر باطنا (١) ففى باطنه من العجائب مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وقال : لا يعطى أحد التصرف فى العالم على الكمال ، وقد يعطى

---

(١) قد يكون سر العبد متوجها نحو تأمل العجائب فى الآفاق والأنفس ، وفى هذه الحالة تظهر السر يكون فى هذه الحالة حجابا عن السر الإلهى ، وفى هذه الحالة تظهر الخوارق على يد العابد . فإذا سكن السر مع الله تعالى توجها وشهودا لم تظهر على يد العابد خوارق مادية ، وماج باطنه بما لايمكن التعبير عنه ، لأنه لايرى ولايسمع ولايخطر على القلوب ، وقد يجمع الولى بين الحالين ، فتظهر عليه الخوارق ، ويموج باطنه بالأسرار ، وهو الكامل فى عصره .

التصريف ، لكن قد يمكن من بعض العالم فيتصرف فيه ، وهو الذى يزهد فيه بعضهم (١) . زهد أدب ؛ إذ لم يقترن أمر به ؛ فإن اقترن به أمر لزمه اتباعه ولابد .

وقال : من أراد أن يعرف ماعنده من معرفة ربه ، فلينتظر إلى ماعنده من الوقوف عند رسومه . وزناً بوزن فإن استغرقت أنفاسه المعاملات ظاهرة وباطنة فقد أشرب المعرفة بالله شربا .

ولقرض بالمقاريض ، وإحراق بالنيران أهون على العارف من أن يمر عليه نفس فى غير طاعة الله ، ولو بشر بالغفران . والتجاوز عن ذلك النفس فإن أعمال العلوفين ما قامت على طلب الأعواض . وإنما قامت على مايقتضيه الأمر فى نفسه ، فشتان بين العبادتين (٢) .

يقول العارف : الله فيحرق بنفسه كل ما سوى الله . ولكن من حاله لا من مقامه .

وقال : إذا أدرك المحقق اللذة فى علمه بالله فما علمه . فليحقق نظره ، فإن العلم بالله فى الدنيا ليس فيه لذة ، ولا فى الآخرة ، غيرما يظهر على صور الباطن فى الدنيا من ذلك ، وعلى الظواهر فى الآخرة .

---

(١) ليس التصرف ذاتيا فى الولى ، وإنما هو تصرف مستمد من الله تعالى وبإذنه سبحانه ، والكامل يزهد فى ذلك إلاإن أمر به إعلاء لكلمة الله . والتصرف ناشىء من التحقق بالأسماء الإلهية ذكرا وشهودا .

(٢) هذا ينفى عن الشيخ الأكبر ما نسبه إليه من لم يفهم مراميه ، فقد نسبوا إليه زورا القول بإسقاط التكاليف الشرعية بعد الوصول إلى مرتبة العرفان . يقول الشيخ الأكبر إن العارف يقوم بالحركات العبادية امتثالا للأمر فحسب ولو بشر بالغفران فى مقابل تضييع نفس واحد فى غير طاعة . وفى هذا الحال تسقط عنه الكلفة والمكابدة ، لا التكليف كما فهم الناس خطأ .

وقال : الرجال على أقسام : رجال يذكرون الله تعالى فيذكرهم . ورجال يذكرهم الله فيذكرونه . ورجال يذكرون الله فلا يذكرهم ، وإنما يذكرهم ماتعلقت به الهمم عند الذكر . وهو الباعث . فيتحفهم به . فالأول ذكر السالكين . والثانى ذكر العارفين . والثالث ذكر العابدين .

(ورجال يذكرهم فيذكرونه فيذكرهم . وهو ذكر المحقق) ، جعلنا الله ممن له فى كل قسم أوفر حظ . وأكمل نصيب .

ومنهم رضى الله عنهم :

* * *

عبد الله بن يوحنا بن عبد الرؤف

قال : كل غاية بداية إلى غير نهاية . دنيا وبرزخا وآخرة . فإن الترقى فى البرزخ لبعضهم كما هو فى الدنيا . وقد خالف فى ذلك الأكثرون لعدم الكشف والثبوت فى البرزخ .

والتعريف الإلهى . والزيادة فى هذا الطريق مقبولة . لأنها كلمة من عدل شاهد ما لم ير غيره .

وقال : إذا ذهب الأنس والوحشة من قلب العبد كان حقا محضا .

وقال : القلب لايثبت بالله إلا إذا أشهد فى الباه(١)
فذلك القلب الذى قد رأى اللـــه بالله وباللاهى
طوبى له من ناظر صورة ما جازها كون سوى الله

وقال : عجبا . كيف يجيب من لم ينادى . ليت شعرى ، من ناداه حتى أجاب نداه .

---

(١) إذا شهد العبد الله فى حال اتصاله بالأنثى على وجه شرعى فتلك الشهادة =

وقال : نداء الحق للخلق على قسمين : نداء كفاح ، وغير كفاح ، فتحصل الإجابة من الكل ، وتتبين الطريق فى المكافحة ، وتسد عليه جميع المسالك فيسعد .

وقال : الزوائد تارة تكون للأولياء من الله تعالى ، وتارة تكون لهم من أنبيائهم . فإن الولى لو صعد ما صعد فلا بد أن يرى قدم نبيه أمامه .

وقال : تخرج الأرواح طاهرة من حضرة الرحمة ، فإذا توسطت الفضاء تنزلت عليها لطائف المنن أمانة ، فتنظر تحتها ، ثم تنظر إلى قلوب بنى آدم ، فترسل اللطائف عليها إرسالا متتاليا فيجد لذلك العارفون فى قلوبهم بردا وانفساحا فينطقون بالحكم نطقا إلهيا لا عوج فيه ولا تعريف .

وقال : لا ينطق عارف قط إلا عن إذن إلهى ، ومن نطق عن غير إذن إلهى يعرفه ويسمعه فليس بعارف . فلا ينبغى أن يرد كلام أهل الله تعالى . فإنه علم لا منازعة فيه . كما قال عليه السلام : « عند نبى لا ينبغى تنازع » . وقال تعالى : « وما ينطق عن الهوى » .

= الثانية التى لا تتزعزع ، لأن القلب حينئذ ثبت بالله ، وما ثبت بالله لا يزول الثبوت بحال من الأحوال . لا سيما وقد اتخذ هذا العبد ما يتخذ الناس لهوا وسيلة للتحقيق . وقد أوضح الشيخ الأكبر فى الفص المحمدى من فصوص الحكم أن الإنسان بعد ظهوره إلى عالم المادة من خزائن العلم الغيبى أخذ يحن إلى أصله وبارئه ، وشهد سعادته فى التوجه إليه . فلما خلقت حواء من ضلعه الأيسر كان ناقصا فنقصت لذلك بنيته ، فلم يستطع التوجه الكامل إلا إذا كملت هيئته الجسمانية بعودة فرعه الذى هو حواء ولن يعود إليه الفرع فى حال اتحاد تام إلا فى حال الاتصال الجنسى ، فإذا تم هذا الاندماج تمت له مداركه فى هذه اللحظة ، فاستطاع أن يسرع بالتوجه نحو الله ، وحينئذ شهد الله بالله وبالملاهى الذى يلهو به الناس وهو الجنس.

وقال : المتقى مشهوده الرحمة فى مآله .

وقال : الأحجار مواضع الأسرار ، ومنابع الحياة والأرواح . فمن كتم سره منهم اتخذه الحق يمينا .

ودونهم فى الكتمان النبات . ولكن لا يبلغ فى حفظ السر مبلغ الجماد ألا ترى الأزهار تنم بما فيها ؟

ودونهم فى الكتمان الحيوان . ألا تراهم ينبهون بحركاتهم وأصواتهم على ما فى نفوسهم ؟ وهؤلاء الأصناف كلهم أمناء الله على مايؤول إليه أمر الخلق

ودونهم فى الكتمان الإنسان والملائكة وهم على صنف هذا النوع من الإنسان ما عدا الأنبياء . وعليهم يدور الأمر . وهم العرائس والضغائن . والمقصورات فى الخيام . وهم الذين يقال فيهم غدا : أن لله آمنا .

وقال : الرجل من أشبه الحجر الأسود الذى هو يمين الله . قال الله تعالى : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم » .

ومنهم رضى الله عنهم .

* * *

عبد الله بن عبد الواسع بن معروف

قال : جميع الأرواح بعد الموت محبوسة فى البرزخ فى صور أعمالها . تتنوع عليها الصور تنوع الأعمال من خير وشر ما لم تمت على توبة إلا أرواح الأنبياء . فإنها مسرحة تمشى حيث تشاء . إلا أن للأرواح اطلاعا على أماكن أجسادها من الأرض من مكانها حتى تعود إليها .

فكل ميت يرى فى المنام فهو تمثل فى خيال الرائى . يمثله الملك أو الشيطان أو النفس . إلا الأنبياء فإن الشيطان لا يتمثل بهم عصمة لهم كما كانوا فى حال حياتهم معصومى البواطن من إلقائه . فانسحبت العصمة عليهم حياة وموتا فى المحل الذى كانوا معصومين فيه . وهو باطنهم .

والرؤيا فى النوم من عالم الباطن. لأنها تمثل معنى أرواح فى قالب محسوس فهو روح ذلك النبى يدبر صورة جسدية يراها الرائى . والاختلاف الذى يقع فى تلك الصور راجع إليها . لا إلى روحها . ويراه مائة ألف شخص فى وقت واحد . على صور مختلفة .والروح واحد هو هو .

ولكن الصورة ومثالها إلى الصور المتعددة كمثال الشمس إلى الأماكن فالنور المنبسط فى مكان ما ليس هو النور المنبسط فى غيره من الأماكن ، وهو الشمس ليس غيرها ، وتختلف تلك الأنوار باختلاف (ما انبسطت عليه من(١) الأماكن والصفاء وغير الصفاء ، وتسمى بتلك الأنوار شمسا ، والشمس فى عينها لم تتغير بتغير الأماكن .

فذلك تغير الحق فى ذلك الموضع . أو نفس الرائى .فانصبغت الصور بذلك .

وقال : الأرواح بعد الموت ليس لها نعيم ولا عذاب جسمانى حسى . لكن نعيم أو عذاب معنوى فيما انتقلت إليه وهو شبيه بهذا الجسم الأول حتى تبعث أجسادها فترد إليها . فتتنعم عند ذلك فى الدار الآخرة حسا ومعنى كما كانت فى الدنيا .

ويؤيد ما ذكرناه عند أهل الطريق قول بعضهم : رأيت بشر الحافى (رحمه الله بعد موته . فقلت له) ما فعل الله بك ؟

قال : غفرلى . وأباح لى نصف الجنة . قال أبو مدين فى هذه الحكاية ، يعنى أن روحه متنعمة بالجنة التى تليق بها ، والنصف الآخر هو الجنة التى يدخلها ببدنه إذا حشر . فيكمل النعيم بالنصف الآخر .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : م .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

والآكل الذى يراه الميت بعد موته فى البرزخ هو كالآكل بالصورة التى يراها النائم فى النوم . والنعيم مثل النعيم سواء . فإن الحضرة واحدة . قال عليه السلام : « إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى » . وكذلك كل شخص فى النوم .

غير أن الفرق بين النبى وغيره فى هذه المسألة التى لأجلها قال عليه السلام : « لست كهيئتكم » . ليس لنفى الأكل والشرب فى النوم فى حق كل إنسان . وإنما هو راجع إلى من يعود من ثمرة الأكل التى هى الشبع وثمرة الشرب التى هى الرى إلى هذا الجسم النائم فى هذا الفراش ، يبيت جائعا ، فيرى أنه يأكل ، ويستيقظ لذلك وهو شبعان . وغير النبى يأكل فى النوم ، ويستيقظ وهو جيعان .

(وقد اتفق لى مثل هذا . ولما استيقظت بقيت رائحة ذلك الطعام على نحو ثلاثة أيام . وكان كل من لقينى يقول لى : ماشممت رائحة طعام مثل هذا ، وكنت أسكت ولا أخبر به) (١) .

وإذ رأى الولى ذلك فلم يزل هذا الأثر من أحكام النبوة . (لا من أحكام غيرها . وقد وردت الأخبار النبوية فى أمثال ذلك . وأن المبشرات جزء من أجزاء النبوة . وأن كذا) (٢) جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة ومن حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه .

وقد رأينا هذا بأنفسنا . أكلنا وأصبحنا وعلينا رائحة الطعام التى أكلناه وشبعنا ، وهذه وراثة نبوية ، فهى للنبوة أولى ، قد علم كل أناس مشربهم . ووقع الحكم من مشارع بحكم الغالب ، لا بحكم الجميع . أعنى قوله : « لست كهيئتكم » .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن يحي بن عبد الناصر

قال : الجسد الميت عندنا حى مثل حياة الأحجار ، فقد يطلع عليها بعض المكاشفين ، فيتخيل عند رؤية ذلك أن أرواحها لم تفارقها ، فيقول: إنه ليس بميت ، فيكفر ؛ فإن الله تعالى قال فيه : إنه ميت فى عموم قوله : « إنك ميت وإنهم ميتون » .

لكن هذا المكاشف لو عرف أن الموت عبارة عن قطع العلاقة التى بين الروح التى كانت لهذا الجسم وبينه لم يقل ذلك . ألا ترى إلى موسى عليه السلام يضرب الحجر الذى فر بثوبه وهو يناديه : ثوبى ياحجر . وقال صلى الله عليه وسلم : « وإن بالحجر لندبا ستة أو سبعة من ضرب موسى الحجر ولولا علمه بأن ذلك يؤثر فى الحجر عقوبة لما فعل ما فعل من ذلك الضرب .

وخرق العادة فى الحجر إنما هى الحركة بنفسه من غير هبوط ، فكذلك حياة الجسم التى هى فيه .

وقال : للذات والآلام أسباب تتوقف عليها ، لكن منها أسباب عادية ، وقد تكون اللذة عقيب سبب الألم والألم عقيب سبب اللذة(١) ويكون ذلك خرق عادة ، فيسمى سبب البلاء بلاء ، وسبب اللذة نعمة عرفا . ويقال : الشكر على البلاء ، والصبر على النعماء ، وليس بصحيح .

---

(١) نظرية سلوكية فى التصوف . هى أن من وجد اللذة عقب سبب الألم ، ثم شكر على البلاء فقد أخطأ ، لأن الحق هو الشكر على نعمة اللذة لا على سببها ، وكذلك الحال فى الصبر ، فلا يقال الصبر على النعماء ، بل يكون الصبر على ما يتبع النعمة من جهاد للنفس فى مقاومة الخضوع لسلطانها .

وكانت المعاملة تكون وفق الحق تعالى . وأجهل الناس من يجهل حاله وذوقه ، والذى هو فيه .

فصاحب هذا القول يجد اللذة عقيب سبب الألم . فلو وجد اللذة تنبعث النفس بالشكر ولوجود سبب الألم يتخيل أنه يشكر على البلاء . وهو لايعرف الباعث للشكر . وكذلك الصبر أيضا .

وقال : لو كوشف العبد بالأمر فذلك العلم . وإذا ثبت عليه من غير أن يتخيله عقله فذلك اليقين . وإذا حكم عليه فأثر فيه أثرا [بحيث] يتصرف اليقين على حكم ذلك الأثر فتلك الطمأنينة .

وقال : إذا كان المعلم الحق كان علما لاتعتريه شبهة (١) . وإذا كان المعلم غير الحق اعترت صاحبه الشبهة فقدمت فيه .

وقال : المعجزة علامة ما هى نائبة مناب الخطاب . وليس بواجب على الأنبياء إظهارها . وإنما ذلك من بسط الحق للعالم . ونزوله إليهم . غير أنها بكل حال لاتعطى العلم عند الناظر . إذا كان نافذ البصيرة .

ثم الذى يفيده العلم من ذلك أن يقيده الإيمان .

وقال : الإعجاز من عالم القهر . وعروته العجز لا الإيمان . فليست المعجزة إلا لإقامة الحجة . لا لوجود الإيمان .

وقال : ما لايعلم إلا بالدليل لايقع على الإلهام به إلا بدليله (٢) . غير أنه ليس

---

(١) فى ه : لاتدخله شبهة .

(٢) أهل الإلهام لا يقع لهم الإلهام إلا بالمدلول مع دليله ، وليس العالم حينئذ صاحب نظر بل صاحب إلهام . وغيرهم قد يعلمون بالمدلول غيبا من غير دليل ، كإيمان العوام ، وقد يعلمون الدليل ولايعلمون بالمدلول ، وذلك كالمتكلمين وأهل الأنظار من الحكماء ، وكلا العالمين ناقص .

صاحب نظر فيه قبلهم العلم بالدليل . والعلم بالمدلول . وكذا يجدونه ولا يعرفون الفرقان بينهما .

ومنهم رضى الله عنهم :

. . .

عبد الله بن شبيث بن عبد العظيم

قال : كما أن القطع بالمضمون من الرزق . والتحقيق به يؤدى إلى عدم تعمل الحركة فى تحصيله . لعلمه بأن الحركة غير مؤثر فيه فصارت كأنها عبث وعذاب حاضر . كذلك العالم . إذا حصل له العلم بنزول أحد الدارين . الجنة أو النار . وتحقق به . أداه إلى تعطيل حركة العبادات من الأعمال المشروعة .

ولهذا الواقع جنح العارفون من رؤية جزاء الأعمال حذرا من هذا الكسل . إلى رؤية ما تقتضيه الربوبية عند العبد من التعظيم . فيقومون بالأعمال العظيمة من حيث ما تستحقه وتقتضيه الربوبية علينا . لا من حيث ما عدت به . إيمانا بما وعدت به فى ذلك . فلا يخلط الدارين . ولا يفرق بين المنزلتين وعلى هذا قامت عبادة خاصة الله وأهله . من نبى وولى . وهو مذهب رابعة العدوية رضى الله عنها وغيرها (١) صرحت بذلك فيما نقل عنها . ولقينا على ذلك جماعة من شيوخنا .

وقال : الحملة ثمانية : إسرافيل ، وآدم ، وجبريل ، ومحمد ، وميكائيل ، وابراهيم ، ورضوان ، ومالك .

---

(١) وهذا دليل آخر على استقامة مذهب الشيخ الأكبر ، وتأكيده أن العبادات لا تسقط عن أحد حتى ولو رأى العابد منزلة . بل إن العبادة فى رأيه هى أداء حق الربوبية لا غير .

فاسرافيل وآدم للصور ، وجبريل ومحمد للأرواح ، وميكائيل وابراهيم للأرزاق ، ومالك ورضوان للوعد والوعيد ، واتسق الخلق ، وانتظم الأمر الحق .

وروينا هذا الكلام عن شيوخنا ، ذكروه عن ابن مسرة الجبلى الذى كان بقرطبة ، وفيه حضور الأمر كله .

وقال : آدم ومحمد أخوان ، ونوح وعيسى أخوان ، وابراهيم وسليمان أخوان ، وموسى وداود أخوان ، هكذا تم الأمر لنا فى الكشف وما عرفت المناسبة : فبالقلب طولعت به : واطلت عليه .

وقال : من خرج من رق الأوقات كلم من غير ميقات[1] لأنه لا يعرفه . ومن خرج عن رق الكونين أشهد الحقائق فى العين[2] ولذلك قلنا :

إذا بدا الكون الغريب لناظرى حننت إلى الأوطان حن الركائب

---

(١) الأوقات عند الصوفية هى الأنفاس التى يعيش فيها السالك ، وقد أكدت التربية السلوكية الصوفية ضرورة حفظ هذه الأنفاس عن العبث ، وشغلها فى الله ، وما دام كذلك فهو مريد تردعليه الواردات فى وقت دون وقت . أما إذا وصل الإنسان إلى حال تصبح فيها المراقبة ملكة من ملكاته بحيث خرج عن عبوديته للوقت ، فإن الواردات ترد عليه من غير وقت وبلا استعداد لها ، وفى أى موطن ، وفى أى شأن من شئونه .

(٢) الأكوان كلها حجاب عن شهود الحقيقة فى عينها ومنبعها فمن تخلى عنها ، وحاول الاستجماع نحو المجهول ، وأصبح ذلك مذهبا من مذاهبه شهد الحقائق فى أعيانها ، فشهد الحياة فى عين الحياة القديمة ، والعلم فى عين العلم ، والنور فى أصل النور . أى أشرف على أصول الحقائق ، لا على امتدادها إلى كون من الأكوان .

وقال : ماتجلى الله لشيء إلا خشع له[١]، لأن ذلك الشيء يرى حقيقته[٢] فى ذلك التجلى . فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً ، صعق موسى عليه السلام بما اندك به الجبل ، ولذلك قلت :

ليس فى الأمر اضطرار لا ولا فيه اختيار
إنما الأمر وجود وكذا العقل يحار
إنما نحن عبيد وعلى هـــذا المدار
فاعتلينا واشتغلنا فبروز وبزار
هو للشمس قديم هو للبدر معار
فكذا كان دوام وكذا كان سرار

وقال ليس فى عين الأمر اضطرار ولا اختيار ، ولكن علم سابق ، وقضاء لاحق ، وقدرة نافذة ، وإرادة غير قاصرة .

وقال : إذا أنصب الصراط على متن جهنم على الصفة التى ذكرها الشرع . فأما المعطلة فلا يحصل لهم عليه قدم أصلا . وأما الفرقتان اللتان تقولان بانعدام العالم بعد إيجاده فيخطون فيه خطوة واحدة ويقعون فى النار[٣] ، وأما المشركون فلا يحصل لهم عليه سوى القدم الواحدة ، فإذا اعتمدوا عليها ، وأرادوا أن يضعوا الأخرى ، لم يقدروا على ذلك ، ووقعوا فى نار جهنم . وأما ماعدا هؤلاء من الفرق فيمرون عليه على مراتبهم[٤] .

ومنهم رضى الله عنهم :

. . .

---

(١) فى هـ : خضع له .
(٢) أى حقيقة فقره وذله وعبوديته وفنائه .
(٣) وهذا دليل على كراهية الشيخ الأكبر للفلسفة وعلم الكلام .
(٤) فى الأصل : فيصعدون عليه على مراتبهم .

عبد الله بن يوسف بن عبد الغنى

قال : الموحدون على قسمين :

موحدون من حيث العلم ، وهم الذين يخرجون من النار بشفاعة أرحم الراحمين ، لا يشفع فيهم ملك ولا نبى .

وموحدون من حيث الإيمان ، يشفع فيهم النبيون ، فلا يبقى أحد فى النار يعلم ألا إله إلا الله .

وقال : من نسب إلى شىء سوى الله تعالى خلق شىء من الأشياء كائنا ما كان فهو مشرك . بقدرما نسب ، والأمر فيه إلى الله تعالى ، إلا أن يجعل مع الله إلها آخر . فهو لا محالة فى النار .

وقال : رفع للناس يوم القيامة خزائن ، وفى كل خزانة خزائن فخزانتان منهما إذا رفعتا أثرتا الغبن والندم عند الناس ، وخزانتان إذا رفعتا أثرتا الفرح والسرور ، وخزانة تنكس الرأس وتورث الويل والثبور .

وقال : يحشر الناس يوم القيامة فى الظلمة ، والشمس منكسفة لا نور لها ، وقد يزيد حرها سبعين ضعفا ، وليس لأحد يوم القيامة نور إلا من ذاته خاصة ، فنوره يسعى يوم القيامة من بين يديه ومن خلفه إن كان متبوعا يقتدى به .

فثم شخص يعم النور جميع جهاته . ظاهرا وباطنا . ويكون فى نفسه نورا ، وهو أكمل الناس .

وثم [ناس] ينزلون عن هذه الدرجة فى النور على منازلهم فى المعارف والأعمال إلى الظلمة المحضة التى لا نور فيها .

فإذا استنار بأنوارها أهل الأنوار جاءهم رسول رب العزة غيبا يعلمون

به ولا يرونه ، فيقول لهم : أنا رسول الحق إليكم فيقوم المهديون من تلك الطائفة ، فيقولون : ماذا جئت به أيها الرسول ؟

فيقول : اعلموا ، أو تعلموا — قد خرج عنى أى اللفظين سمعته — يقول : إن الشر فى العدم ، والخير فى الوجود .

أوجد الإنسان بجوده ، وجعله وحدانيا فى وجوده ، وتخلق بأسمائه وصفاته . وفنى عنها فى مشاهدة ذاته ، فرآى نفسه بنفسه ، وعاد العدد إلى أسه ، فكان هو ولا أنت(١) . أوقال : بلا أنت أو بلا هو ، لا أدرى أى الكلمتين يقول ، وقد سدت عنى .

وقال : الخلق مجبور ، فكيف يحيط بالحقيقة محصور .

وقال : أحاط الله علما بكل شىء ، وعلم ما لا يتناهى أنه لا يتناهى من غير إحاطة ، فإنه لو علم محاطا به يعلمه على خلاف ما هو عليه ، وذلك فى حق الحق محال .

وقال : ما فقد أحد الحق فى شىء إلا كان له ظلمة ، ولا وجده فى شىء إلا كان له نور من حيث وجده ، ولاشك أن الناس يتفاضلون فى وجود الحق فى الأشياء ، فمنهم ومنهم .

وقال من أراد أن ينظر إلى ربه فلينظر إلى نفسه ، فإن عرفها عرفه ، وإن جهلها جهله .

---

(١) وجود الكائنات ليس أصيلا فيها ، وإنما هو مستعار من الوجود الحق . وعلى هذا يكون مذهب الوحدة الصوفية قائما على شهود الأصل فى كل شىء متجليا فيه . وعلى هذا يكون الإنسان موجوداظاهرا ولا موجود حقيقة . فالأصل هو ، والمجاز أنت ، والمحرك هو ، والمتحرك أنت ، وإذا جاء فى الكتاب والسنة نسبة العمل إلى العبد كانت من حيث جريان الفعل الإلهى على الفاعل المجازى وهو الإنسان .

وقال : من أعجب صنع الله أن الشيء مع كونه ذاتا واحدة يظهر فى أعيان وجودية كثيرة ، وهو هو بعينه ما انقسم ، فهو موجود لله وما برح ، وموجود له وما برح ، وموجود فى القبضة وما برح وموجود فى خارج القبضة وما برح ، وموجود فى الأحد وما برح ، وموجود فى البرزخ وما برح ، وموجود فى الجنة إن كان سعيد ، وفى النار [إن كان شقيا] وما برح ، وهو لا غيره .

فسبحان من أخفى الحقائق خلف حجاب العقول والأفكار .

ومنهم رضى الله عنهم :

. . .

عبد الله بن آدم بن عبد السلام

قال : ما ثم إلا هو وأنا ، فما ثم إلا وجوب ، فلا محال ولا ممكن .

وقال : لما كانت الأرض موطن اجتماع الحقائق من جميع الخلائق . لذلك كانت محال الخلائق ، وإنما جهل من جهل الأسماء ، لكونه ما برح من السماء .

وقال : كل ما سوى الله مركب ، لا يوجد قط واحدا أصلا ، فلا تصح الأحدية إلا لله ، ولهذا لا يشهده أحد قط فى أحديته (١)

---

(١) لتقريب معنى الأحدية ولله المثل الأعلى نفترض عددا من الجداول تجرى فيها المياه ، ثم تصب كلها فى جدول واحد . فحينئذ لا يمكن تمييز المياه بعضها من بعض . ولا يمكن الحكم عليها بالكثرة فلا تمييز ولا تكثير . فالأحدية مقام لا تمييز فيه بين اسم واسم ولا صفة وصفة . ولا اسم وصفة . وهى غيب الذات .

والفرق بينها وبين الواحدية أن الواحد أصل الأعداد ، ويمكن ان يتكرر فلا يكون واحدا ، بل يكون عددا آخر مساويا لعدد تكرار الواحد وهو واحد لم يتغير بخلاف الأحدية فليس فيها شيء من ذلك أصلا .

وقال : توحيد الخلق للحق إنما هو من حيث خصائصهم التي بها وقع التميز لكل موجود عن غيره (١) ولا تقع فيه مشاركة ، فبذلك القدر ثبت التوحيد الإلهي في نفس من ثبت ، وهو الآية التي له في كل موجود ، تدل على كونه واحدا في ذاته .

وقال : نسبة الكثرة من حيث الأسماء ليس بتركيب ، وإنما ذلك راجع لتعلقات من عين واحدة إلى عيون كثيرة أعطتها حقائق الكيان .

وقال : لو وقع أخذ الميثاق على البطون لقالوا : نعم ، ولم يقولوا بلى . وأما قول ذى النون حين سئل : هل تعلم الآن شهودا أنك قلت : بلى ؟ فقال : لكأنه الآن في أذنى . يشير إلى أن وجود الأخذ باق إلى الآن في عالمه . كما ذكرنا أن العين وإن كانت واحدة فلها وجودات ومواطن كثيرة تظهر منها .

وقال : لا يعرف الله بالكون ، ولا يعرف الكون بالله ، فإنه سبحانه لا يكون دليلا ولا مدلولا ، لعدم الرابط الذى يقع فيه الإشتراك بين الدليل المدلول ، فالعلم بالله تعالى علم إلهي ما فيه شيء من الكسب : « فاعلم أنه لا إله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين » (٣) .

وقال : إذا تحقق الموحد بتوحيده لم يبق له توحيد ، لا قدرة ولا كسبا فلو قيل له : قم ، أو أقعد ما استطاع ، فهو المقام والمقعد ، ومتى لم يكن

---

(١) في هـ : من حيث خصائصهم التي يمتازون بها عن غيرهم .

(٢) كالجبال توحد الجلال ، والوحوش توحد القهر والغلبة ، والماء يوحد الحياة ، والزهر يوحد الجمال ، وهكذا . والإنسان يوحد توحيداً كليا ، لأن فيه من كل شيء آية وهو العالم الصغير .

(٣) يصور الشيخ الأكبر هنا قمة التوحيد الصعودى، ثم يعود بالموحد إلى سلوك نزولى آخر في القول التالي بعد هذا القول بقليل .

بهذه المثابة فى حاله فليس بموحد ، فالناس يشهدونه حاملا للأشياء ، وهو والأشياء محمول .

وقال : الموحد من شهد له التوحيد ، لا من يشهد بالتوحيد .

وقال : « لا إله إلا الله » توحيد المؤمنين ، و « الله » إقرار الموقنين ، و « هو » إقرار العارفين ، والخرس إقرار الكمل من الرجال ، وليس لهم نطق فى خرسهم إلا بلا إله إلا الله(١) .

وقال : من خرج عن وطنه عند ارتحاله عن أرض بدنه ، ولم يقم به ميل ، ولاعراه نشاط ، ولا كسل ، ولم ينقصه ذرة من العمل ، وشاهد الأزل بعين الأزل ، وناب الحق منابه ، فما صعد وما نزل ، وتوقفت عليه الأسباب والعلل ، فذلك الموحد العارف الكامل الذى لايزال .

وقال : من اتخذ الحق وكيلا لم يقم على توحيده دليلا (٢) ، فإن اتخذه عن أمر ربه فقد كملت سعادته وعلمه .

ومنهم رضى الله عنهم :

. . .

عبد الله بن محمد بن عبد الحميد

قال : الصوفى ابن وقته ، والرجل من لا يتبناه كون .

---

(١) هذا هو الصعود ثم العودة ، فبعد الخرس يعود السالك إلى مقام الإيمان ولكن بروح أخرى تخالف مشارب المؤمنين الذين لم يصعدوا .

(٢) لأنه أثبت اثنين : وكيلا وموكلا ولا توحيد على الحقيقة فى هذا الاعتبار . وأصحاب هذا المشهد يرخصون لمن تنازعهم نفوسهم إلى الاستقلال بالعمل باتخاذه تعالى وكيلا وهى مرتبة نازلة من مراتب الإيمان بالنسبة لتلك المرتبة التى يتحدث عنها الشيخ الأكبر .

وقال : الرجل من يمر على الأوقات ، ولا تمر عليه ، فيكون حاكما لا محكوما ، وعالما لا معلوما .

وقال : ليس الرجل من إذا صلى فى فلاة من الأرض وحده ، وانصرف من صلاته انصرف معه ما لا يحصى من آلاف الملائكة ، وإنما الرجل من ينصرف من صلاته ولا ينصرف معه أحد ، وإنما الرجل من يتردد فى معرفته بربه بين حزن وسرور ، وفى توحيده بين أنس ووحشة وفى عبادته بين إخلاص وشرك (١) ، وفى معاملته بين حسن وقبيح ، وفى خوفه بين جمع وفرق (٢) ، وفى مشاهدته بين منة وكسب ، وفى صبره بين رخاء وشدة ، وفى شكره بين نعمة ونقمة ، وفى رضاه بين تحمل وقسمة ، وفى حيائه بين صدق وكذب ، وفى دعائه بين رهبة ورغبة وفى إيمانه بين نفى وإثبات .

وقال : إن من عباد الله من يفتح عينه فلا تقع إلا على الله ، وسمعه فلا يسمع إلا كلام الله ، ولسانه فلا يتكلم إلا بالله ، ومع هذا فليس بذلك الرجل ، فقد يكون من هذا حاله فى نتائج الزوائد (٣) .

---

(١) المراد بالعبادة مع الشرك ملاحظة العابد نفسه ، أى ملاحظة عابد ومعبود وهو قوله « إياك نعبد » . والمراد بالإخلاص الفناء عن هذه الملاحظة ، وملاحظة جريان أفعال العبادة من الله العبد دون حوله وقوته ، وهو قوله « إياك نستعين » .

(٢) الجمع النظر إلى أحدية الأشياء وعدم ملاحظة الأعداد ، والفرق النظر إلى الأكوان منفصلة بعضها عن بعض . والمراد من عبارة الشيخ الأكبر الخوف من الله ومن الخلق « ذلك الذى يخوف الله به عباده ياعباد فاتقون » .

(٣) أى لازال ذلك الرجل سالكا ، لأنه لازال فى نتائج النوافل كما جاء فى الحديث القدسى : « وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه . . . الحديث .

وقال : من صحت نافلته فقد كمل (١) .

وقال : المعرفة والسرور لا يجتمعان فى أحد مادام فى الدنيا ، أبدا ، والمعرفة والحزن لا يجتمعان فى الآخرة فى أحد أبدا ، ولولا التكليف لحصلت المعرفة والسرور فى الدنيا .

وقال : مادام الرجل فى هذه الدار فهو على قدم الخطر ، لأن الأمر الشرعى يخاطبه بالتكليف الذى هو العمل فى كل حال ولو بلغ ما بلغ ، لأنها دار المكر والتبديل ، ولو بشر فإن الأدب يمنعه .

وقد ذم الفرح فيها لعدم تحقق أسبابه من جميع الوجوه ، فإذا انتقلنا إلى دار التمييز والتخلص ، تراءى الجمعان ، وتميز الفريقان ، وانصبغ من انصبغ فى الفضل .

ويمنعه من الفرح فيها ما فى طى الأمر من طلب القيام بحقوقهما ، فلا يتفرغ للفرح بهما مع شغل القلب بأداء حقوقهما .

وهنالك ليس كذلك : فكيف يسر العارف بالمعرفة هنا . وفى الأمر ما ذكرنا .

وقال : ليس لرجال الله همة مولاهم ، ولا نية ولا إرادة ولا عزم ، ولا هاجس ولا قصد ، وفى الهاجس خلاف ذوقى .

وقال : المشرك هو المأمور أن يعبد الله مخلصا ، وغير المشرك يعبده فقط .

ومنهم رضى الله عنهم :

---

(١) ولا يكون ذلك إلا لمن سلمت له نافلة خالصة له وهو محمد صلى الله عليه وسلم وحده . فالنافلة شرعت لتكميل نقص الفرائض ، أما الكامل المصطفى صلى الله عليه وسلم فقد قال الله تعالى فى شأن نافلته : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك » .

عبد الله بن خضر بن عبد الوهاب

قال : الرجل إذا قال : أنا ، كان كما قال .

وقال : اللدنية حجاب .

وقال : العندية حجاب ، والفض اللدن المانس ، وكل علم يضرب به الميل فهو غلس (١) ، بخلاف من ضرب باليد فعلم علم الأولين والآخرين وهو العلم الصحيح الذى لا ميل فيه ، وما شهدنا إلا بما علمنا ، ألا تراه كيف قال لموسى عليه السلام : « أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت ، وأنت على علم علمكه الله ، لا أعلمه أنا » . فقد تساويا ، وعدمت الفضيلة .

غير أن الرسل مأمورون بالزيادة من العلم « وقل رب زدنى علما » فوجب عليهم الطلب ، فاندرج الخضر فى موسى ، بقدر ما تعلم منه . ولم يحصل للخضر ذرة من علم موسى .

وقال : ثلاثة لثلاثة : السفينة المخروقة فى البحر نظير التابوت فى اليم ، وقتل الغلام نظير قتل القبطى ، وإقامة الجدار من غير أجر نظير سقى غنم الجاريتين بماء مدين من غير أجر «وما فعلته عن أمرى» زبدة الحديث ، فليته صبر .

وقال : امتثل الخضر طاعة موسى لمعرفته بمنزلته ، وإن لم يكن تحت حكم شريعته ، ولكن الأدب لازم حيث نهاه عن الصحبة إن وقع السؤال الثالث فوقع فكان الفراق ، ولم يقل فى ذلك موسى شيئا ، فلو لم يكن مقصودا لموسى ذلك الخطاب لاعتذر . ولاستدرك الأمر قال محمد صلى الله عليه وسلم : « ليت موسى سكت أو صبر » يعنى ليته لم ينهه عن صحبته حتى يقص علينا من أخبارهما ، وكان ما أراد الله تعالى من الفراق ، وكان الخضر قد أعد له ألف مسألة ، كلها اتفقت لموسى ، وكلها ينكرها عليه .

تم الجزء الرابع ، ويليه الخامس

---

(١) فى الأصل : يضرب به المثل فغير مخلص .

الجزء الخامس

من كلام العبادلة فى الحقائق
بألسنة الأسماء

فى هذا الجزء

عبد الله بن عبد الحميد
وابن عبد الغفار
وابن عبد اللطيف
وابن عبد الغفور
وابن عبد القائم
وابن عبد القوى
وابن عبد الصادق
وابن عبد الحليم
وابن عبد الشهيد
وابن عبد الودود

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن صالح بن عبد الحميد

قال جابر ، سينا محل الفتنة ارتفع الستر ، وطلعت الشمس ، فقال : هذا ربى . فابلغنا جابر : فينا . غربت الشمس عندهم . فلما أفلت قال يا قوم إنى برى مما تشركون . إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا ، ميزان صحيح . ومعرفة تامة ، وبشرى مثل هذا إلى الخاتمة وإلى الخير مالهما ، لأنه أخذ أن يتخذ فيهم حسنا ، وبهذا يفضل أهل المغرب على أهل المشرق ، والقسمة من البيت العتيق (١) .

وقال : ليس عند الرجال تمييز ، يبثون المعارف ، ولا يخصون بها أحدا . لعلمهم أنه ما يأخذ منها أحد إلا على قدر ما هو أهلا له ، وذلك هو الفهم عن الله تعالى ، ولا يبالون بمن ضل فيها ومن اهتدى تخلقا إلهيا (٢) .

---

(١) هذا لون من الأسلوب الرمزى عند الشيخ الأكبر . يشبه ما تردد كثيرا فى كتابه « مواقع النجوم » .

(٢) هذا رأى الشيخ الأكبر فى نشر العلم . فليس عنده شىء يحجب ، وشىء يلقى للناس ، وقد خالف الكثيرين من الصوفية فى هذا ، وإن كان هو أحيانا يسكت عن بعض الأسرار ولكن لتعذر إيضاحها بأساليب اللغة .

فالكامل عنده يجب ألا يميز بين شخص وآخر ، بل يجب أن يبث علومه ولا عليه أن يهتدى بها الناس أو يضلوا ، كما بث الله القرآن فى الناس فضل به قوم واهتدى آخرون .

ولعل من حظر إلقاء العلم إلى بعض الناس أراد مقام التربية على مدارج السلوك . وعلى أى حال فقد استقل الشيخ الأكبر بهذه النظرية كما استقل بالقول بعدم الاقتصار على شيخ واحد .

القرآن كلام الله ، وهو العلم الكامل الحاوى على جميع معارف العارفين وأضل به كثيراً ، وهدى به كثيراً ، فيكون البر والفاجر ، ولا ينتفع به إلا البر الرحيم ، فالرجل مبسوط فى العلم أبدا ، لا قبض عنده فى علم بالنظر إلى غير قابل .

ينزل المطر . . تنبسط الشمس . . فلا ينحجب عنها إلا المحجوب . فليس فى حقها منع ، وإنما المنع فيك .

فمن تستر بالسقف والجدران ،حرم فوائد الأمطار والأنوار ، فالنكاح المطر ، وتفتح الروح للشمس . . فتضع الأرض حملها . من زهر متنوع الأعراف . وعقد ثمر مختلف الأصناف . . فربى متوجة . . وأهضاب موردة .

وقال : من رجال الله من يضحك ولا يبكى ، ومنهم من يضحك ويبكى.

وقال : الدموع دمعتان : دمعة فرح ، وهى من برد اليقين باللقاء ، ولذلك تخرج باردة، ودمعة حارة ، وهى دمعة ترح للمحزونين وتتفاضل درجاتهم بتفاضل المحزون عليه .

ومنهم رضى الله عنهم :

. . .

عبد الله بن إليسع بن عبد الغفور

قال : حشر العارفين عند موتهم ، وحشر العامة عند بعثهم من القبور لحياة العارفين متصلة لا موت فيها ، وحياة العامة رجوع بعد مفارقة ، فقد تكون عين المفارق ، وقد لا تكون فإن آفات الفرقة كثيرة

وقال : تنقضى أعمار العارفين وهم مع الحق على أول قدم منهم ، فلم تف لهم أعمارهم بما تعلقت به هممهم ، من إقامة حقوق الحق التى عليهم،

فهم فى الغيب مشهودون ، وفى الشهادة مغيبون ، فهم ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر ، وليس وراء الألف مرتبة ، فإنها آخر مراتب أسماء الأعداد « فيها يفرق كل أمر حكيم » .

وعن العارف ظهر هذا الفرقان فى العالم والروح ، نزل به الروح الأمين على قلبك . تنزل الملائكة كذلك على قلب العارف تنزل الملائكة بضروب الأوامر ، فإذا طلع الفجر زالت ليلة القدر ، وبقى القدر ، فصار نوراً كله بعد ما كان ذا وجهين .

وهنا أسرار لأهل الله مصونة من أعين الأغيار . آه . آه . آه . إن إبراهيم . لحليم أواه .

وقال : إن من عباد الله من لم يبق له إلى الله حاجة ، لعلمه بأنه أعلم بما له فيه الخير منه .

وقال : حاجة الكون إلى الله ذاتية ، فلا يعين حاجة بعينها .

وقال : أى عبد عين حاجة إلى الله بعينها فقضاها له زالت عبوديته إلى الله ، وفقره إليه من حيث تلك الحاجة ، وهو مقام خطر . وفيه قال عز وجل : « مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه » .

وقال : الرجل من ألقى بنفسه بين يدى من هى نفسه له ، فإذا ولاه الحق عليها بتوليه إياه فيكون معانا مؤيداً .

أو إذا أولها على غيره هذه الولاية بضرب تعمل منه ، وطلب من الله ذلك ، فربما خذل عن إقامة العدل فيها .

وقال : لله حق على العبد يطلبه به ، وللعبد حق على الله جعله له عليه يطلبه به ، فمن ترك طلب حقه من الله تعالى ، ترك الله تعالى طلب حقه منه ، فتظهر الأعمال من العبد من غير اقتضاء حق . فيكون العبد فى عمله بحكم التصريف الإلهى .

وقال : المعرفة موجبة أداء الحقوق .

وقال : النظر إلى الحق من كونه هاديا يؤدى إلى التسليم .

وقال : لا يطلب الرب إلا العبد ، ولا يطلب الجزاء إلا الأجير ، وفى الحق كفاية .

وقال : للمعرفة إرادة ، وللإرادة طلب ، وللطلب وجود . وعند الوجود يقع الاكتفاء والاستغناء عن الغير .

ومنهم رضى الله عنهم :

. . .

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الحكيم

قال : تحقيق الأمر عند العلماء التفاف الساقين ، وهو العشق ، وصفاء الأمر وهو الحب ، وثباته وهو الود .

فإذا ثبت هذا كانت الطاعة على غير عوض ، فانقطعت العلائق عن قلبه ، وذهبت العوائق من سره ، وانتشرت أنوار السبحات(١) على ذاته ، وقوى بصره بنور إلهى ليكشف به فى ذلك النور كان غطاه عنه غطاؤه من عظمة الربوبية .

وقال لا تخلص السجدة لله إلا من قلب ساجد ، فمن لم يسجد قلبه لم تصح له سجدة أصلا .

وقال: إن من عباد الله من لا يذوق حبا لله إلا يبغض ماسوى الله تعالى ، ومنهم من يحب الكون بحب الله سبحانه .

---

(١) فى هـ : أنوار الوجه .

وقال : فى الأنس بغير الله استيحاش من ذلك الغير منك ، وهى غيرة إلهية عليك . وفى الأنس بالله قرب الله منك ، ووصلة إياك ، فلتأنس بهذا ولا تأنس بغيره .

وقال : صاحب السبب مضطرب . وهو عابد وثن .

وقال : حب الله تعالى من العلم ، وحب الله ورسوله من الإيمان ، والحب من حيث الإيمان (أتم منه من حيث العلم . وإن كان الإيمان)[1] (٢) علما بطريق ما .

وقال : كما تدين تدان . فاذكر الله سرا يذكرك سراً ، وعلانية بعلانية ، وطاعة بطاعة وأنسا بأنس ، وحبا بحب ، ورضا برضا ، وأمرا بأمر ، وكل شىء بمثله .

وقال : التذكر من النسيان (٣) لا الذكر .

وقال : الكتب قيمة بالصحف المطهرة ، تتلوها ألسن العصمة .

وقال : القراءة بالاسم الخالق .

وقال : الرحمن علم القرآن . بأى قلب يكون ، وعلى أى قلب ينزل .

---

(١) النوع الأول هم أهل الخلوة وأهل الجذب من لهم وجه واحد فى الحب فهم إذا أحبوا الله أبغضوا ما سواه . وهذا النوع لا يقتدى به ولا يصلح للارشاد . ولا تخلو أقوالهم من شطحات .

والنوع الثانى هم أهل الإرشاد الذين يقتدى بهم . رأوا أن الله يحب خلقه فأحبوه لحب الله .

الأول سلوكه نزولى ، وربما وقف ، والثانى صعودى . الأول ناقص والثانى كامل .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من ه

(٣) فى الأصل : عند النسيان

وقال : الميزان الموضوع فى الأرض هو الشرع ، وأنت لسان ذلك الميزان . فلأية كفة ملت كنت لها .

وقال : لا يتقرب بالأعمال إلا . للعامل فتحفظ فقد نبهتك (١) .

وقال : ليس العجب من التحف والزوائد والطرف على قلوب العارفين إنما العجب من قبولهم إياها مع أنهم لا يطلبون سواه . نعم يقبلونها من كونهم خزنة عن أمرالها ، وقد عرفوا أنه لا ينال .

وقال : الوقوف من الحق سلب الحكم (٢) .

وقال : مواقع النجوم قلوب العارفين ، ومشارق الشموس أسرارهم ، ومطامع البدور حقائقهم ، وأقمار البدور توسط حال ، وإهلالها بقاياهم معهم ، وأنوار البروق تنزل رحمة عرشيته إلى كرسى مجيد (٣) .

وقال : من كانت له وثيقة على عزيمه استراح وارتفع الحرج عنه .

---

(١) يقصد التقرب بالعمل على وجه المطالبة بالاجر ، أما تقرب غير العمال فيكون بالتوجه وعدم ملاحظة العمل ، وبالزهد فى الأجر .

(٢) يعنى إذا وقفت مع الحق وتحققت به فى تلك المرتبة الصفاتية ارتفع عنك الحكم . وتخلصت من مرتبة الحكم البشرى ، لأنك صرت حينئذ محكوماً لمرتبة الحق ، وصار الحق ملكة من ملكاتك . فلا يحكم على صاحب هذه المرتبة مثلا بأنه عابد . ولا بأنه يجب عليه كذا . لأنه قائم فى عين رتبة الحق.

(٣) يعنى أن العلم يقع على قلب العارف كالنجوم تقع فى كبد السماء ، والحق شمس واضحة تشرق على أسرارهم ، فإذا اتحد السر مع العلم بدت بدور الحقيقة ، وتحول العلم إلى معرفة ، من حيث عرف حقيقة نفسه وشعور العارف بسطوع تلك البدور فى باطنه حال متوسط لم يصل إلى حال فناء الفناء الذى يبدأ منه البقاء وإهلالها أى ظهورها الاثر من بقية حظ النفس.

ولو كان الغريم عديما فلابد له من سلطان عليه ، وهو المطلوب (١) .

ومنهم رضى الله عنهم .

. . .

عبد الله بن داود بن عبد الغفار

قال : العيش مع الله هو القوت الذى من أكله لا يجوع .

وقال : من يأنس بالله لم يستوحش من شيء .

وقال : العبد مطلوب من حيث معناه ، لامن حيث صورته ، فصورته نكرة ، ومعناه معرفة ، ولكن عند الخلق . وهو عند الله مطلوب من حيث المعنى والصورة . وقد ينضبط المعنى بالصورة ، وقد لا ينضبط .

فالذى انضبط معناه بصورته دون الذى لم ينضبط ، فإن الوجه أوسع (٢) .

وقال : للخلق مراتب فى رؤية الحق ، فرؤية لا ترى بها سواه ، ورؤية تراه بها قبل كل شيء ، ورؤية تراه بها بقدر كل شيء ، ورؤية تراه بها مع كل شيء ، ورؤية تراه بها بعد كل شيء ، ورؤية تراه بها فى كل شيء ، ولها مراتب فى القرب والمعرفة .

وقال : خطاب الحق لعبده (٣) لا إجمال فيه ولا تفصيل .

---

(١) الغريم العديم هو العبد ، والوثيقة التى لله على العبد هى الشريعة والطريقة ، وحينئذ لا بد من سلطان على العبد ضامن وهو المرشد .

(٢) يعنى أن المراد من العبد قلبه . لا حركاته الظاهرية فى العبادة ، وليس معنى ذلك أن صورة العبادة غير مطلوبة ، بل هى مطلوبة من حيث تعبيرها عن العبودية . وقد تنطبق الصورة على المعنى فيعرف باطن العارف من ظاهر حاله ، وقد لا يعرف باطنه من ظاهره لأن باطنه أفضل .

(٣) فى الأصل : العبد . وفى هـ : عبده .

وقال : فى معرفة الألوهية أنت الأصل، وفى عين الوجود هو الأصل، ومعرفة الذات لا أصل لها ولا فرع .

وقال : الصنعة واحدة ، والاختلاف فى الموضوعات .

وقال : إياكم والاغترار بصفاء الأوقات ، فإن طيها آفات لا يعرفها إلا من أشهده الحق إياها .

وقال : براءة من الله ورسوله لما وقع الاشتراك (١) مع الرسول بالعطف ، لذلك كانت من الله ، ولو لم يقع الاشتراك لم تصح البراءة ، لأنه بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون وإليه يرجع الأمر كله ، وهو الفاعل لكل شىء ، وإليه يرجع كل شىء ، وقد يصح من طريق الأسماء .

وقال : لا يرى من ليس كمثله شىء إلا من ليس كمثله شىء .

وقال : تفقد القلب من علامات التيقظ .

وقال : تغلب هيبة الله تعالى على القلوب ، بحيث لا تظهر عليه حركة عبادة أصلا ولا عادة ، وقد مكث أبو يزيد [البسطامى] أربعين يوما ما صلى (٢) من هيبة الله حتى سأل ربه أن يرزقه (٣) من الغفلة قدر مايؤدى به الصلاة . وقعد بعض شيوخنا سبعين يوما ما صلى أو أكثر فى هذا المقام . ولقيت رجلا من أهل الحديث استولت عليه العظمة ، بحيث أنه كان يدير النخامة فى فيه ، ولا يقدر أن يرميها من هذا المقام ، لأنه كان لا يرى شيئاً خارجا عنه (٤) .

---

(١) فى الأصل : الإشراك .

(٢) فى ه : لم يصل .   (٣) فى ه : أن يهبه .

(٤) تلك مسألة جرت على الصوفية أقاويل كثيرة . ولكنناقبل أن نطعن أحدا يجب أن نحاول إدراك ما هية تلك الهيبة التى كانت تستولى على هؤلاء

وقال : كل بلاء أهون على العارف من صلاة ركعتين مع هيبة ، بل إذا استحكمت منه تحول بينه وبين الحركة . والصلاة حركة .

وقال : صحبة الله بالحرمة والحياء .

وقال : قدرك عند الله قدره عندك . ورأيت رجلا بإشبيلية قد سأله مسكن معروفا لله تعالى ، فأخرج من جيبه كيسا فيه قطع من الفضة ، بين صغار وكبار . فأخذ يفتش عن أصغر قطعة فيها ، حتى يدفعها للسائل ، وكان معي رجل صالح يقال له « الحاج بدور بن يوسف » ، فقال لي : يابن أخي ، تعرف على ماذا يفتش هذا ؟

قلت : لا . قال : هذا سئل بالله ، فأخذ يفتش على قدره عند الله (١)، فعلى مرتبته عند الله يفتش .

ثم رد وجهه للمعطي وقال له : على قدر ما تهب لوجه الله تعالى يكون وجهك عنده ، فكبر أو صغر وعظم أو حقره .

= العارفين ، وما نحن ولا المعترض بمستطيعين إلا ترديد ما نقرأ عن هيبة الله أما ذوق تلك الهيبة فلا يدركه إلا من مارسه بالفعل .

ونعتقد أن مقارنة بسيطة مع الفارق الشاسع يمكن أن تنير لنا الطريق فالرجل ينزل به بلاء دنيوي مزعج فلا يملك عقله ولا يكتفي بترك الصلاة بل يتهجم على الله بكلام يخرجه عن جادة الإسلام . وقد يصيبهم الذهول من لقاء إنسان له في الدنيا شأن . بل لقد يترك الصلاة تحت تأثير اللهو والسمر . وما شابه ذلك .

فكيف بقوم أحسوا بعالم نحس به ، ومع ذلك يضرعون إلى الله أن يرزقهم الغفلة حتى يؤدوا فرائضهم . ونحن لا ندافع عن قوم دخلاء أدعياء لا يؤدون الفريضة بحجة الوله والوجد بل ندافع عن المحققين وحدهم .

(١) د ه : يبحث ، وهكذا في بقية الفقرة .

ومنهم رضي الله عنهم

. . .

عبد الله بن لوط بن عبد القائم

قال المتعة مشروعة ، فاتخذ ملجأ تستند إليه من زمان قصة لوط ، حيث قال : « أو آوى إلى ركن شديد » . يعني من القبيلة « ما بعث نبي إلا في منعة من قومه » .

قيل : « ذل من ليس له سلطان يعضده ، وإن كان ظالما ، وضل من ليس له عالم يرشده وإن كان فاسقا » .

وقال : إذا امتلأ العبد بربه سرورا يعظم حتى لا يسعه شيء ، وإذا امتلأ منه حياء دق حتى هو لا يبين منه شيء .

وقال : كن عرش الكائنات .

وقال : لولا أنت لكان هو ، ولولا هو لكنت أنت ،وهو لا تجتمع .

وقال . إن من عباد الله من اطلع على كيفية تدبير الأمور الإلهية الجارية في الكون ، وكيفية تقدير المقادير بجريان القضاء فيها ، وكيفية خلق المخلوقات من غير ممازحة ولا معالجة .

وقال رجال الله على قسمين ، وهما : أصحاب أنوار إلهية ، اطلع الحق على أسرارهم من غيب الغيب ، ومن عين ملك الملك ، فأشرقت بنور ربها .

ومنهم رجال ظهر من تلك الأنوار على ألسنتهم ما ظهر ، فأولئك الذين يقتدى بهم .

ومنهم رجال ظهر عليهم في أحوالهم من تلك الأنوار ما ظهر ، فأولئك الذين يهتدى بهم ، لأن النور في هؤلاء مشهود لك ، فتهتدى به في ظلمات بر ملكك ، وبحر ملكوتك .

وقال : «أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده» . فإنه حصل له من طريق السمع . « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وأوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا » .

وقال : من اعتصم بحبل الله أوصله الحبل إليه ، ومن اعتصم بالله تنزل الحبل إليه (١) .

وقال : الناس كلهم متعلقون بالقرآن ، وإن من عباد الله من تعلق بهم القرآن .

وقال : إن من عباد الله من يقبلهم الحجر ، وتطوف بهم الكعبة . وقد رأيت ابن أبلج والكعبة تقبل رأسه(٢) .

---

(١) جاء الترخيص بالسلوكين فى القرآن . قال الله تعالى : « واعتصموا بحبل الله » . وقال : « واعتصموا بالله » . الأول للعابدين السالكين ، والثانى للعارفين . والقول التالى توضيح لذلك ، فالعابد معتصم بالقرآن والعارف معتصم به القرآن . لا من حيث الكلام القديم إلى ركن يأوى إليه ولكن من حيث فقه الأسرار وتوجيه بواطن العارفين نحو المعرفة العليا ، ومن حيث إحيائه على الأرض ونشره بين الناس .

(٢) أمر موسى بخلع نعليه احتراماً للوادى المقدس . من حيث هو مكان لتجلى الله تعالى بالكلام الموجه إلى موسى . وجاء الحكم من الله تعالى بتكريم بنى آدم « ولقد كرمنا بنى آدم » فابالنا بالآدمى الخاص وهو العارف المحقق فلا عجب من تفضيل العارف على الحجر والكعبة ، من حيث ولاية الله له وكذلك فضل الرسل والأنبياء .

فالمقدسات والعارفون مستوون من حيث التكريم الإلهى ، إلا إن العارف فى مقام الفناء عن الكل فى الله فإن الأكوان تخضع له من حيث حكم من تعلق به العارف وهو الله تعالى .

وقال : فى الناس من إذا صلى وسلم من صلاته ، ما تشتهى صلاته مفارقته ، حتى يرفع بها إلى عليين .

وقال : الحج فرض على الناس كلهم ، إلا على أهل مكة ، فإنهم فرض على الحج .

قال : إذا شرع الإنسان فى العمل فهو بين القبول والرد ، فإما وإما

وإذا رمى العبد نفسه بين يديه وطرحها عند بابه فقيرا ذليلا ، فهو مرحوم بلاشك (١)

وقال : الفقر من الله ذل لازم ، والفقر إلى الله عز دائم ، فالفقير من الله خائف من كل شىء ، والفقير إلى الله ماعنده خير من شىء .

وقال : إذا أشرق القلب بنور الرب باتت الأعمال محصاة فى أمام مبين ، وقامت الحجج لأصحاب الحقوق على غرمائهم ، فتلك قيامة العارفين قد قامت ، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون (٢) ،

---

(١) لا تخصيص فى الرحمة بمظهر من المظاهر التى تعارف الناس على أنها رحمة ، فقد يكون منع المطلوبات عن النفس عين الرحمة ، وكذلك الحال فى مطالب الروح والعقل ، لأن السلوك لا ينتهى أبداً فإذا فقد الإنسان مطالبه فى حال ذله أمام ربه . . فهو بلا شك من أهل العطاء المخصوصين بالرحمة . وقد لا يشعر بذلك .

(٢) إذا مات العبد قامت قيامته . والموت موتان : موت النفس ، وموت الجسد . فإذا ماتت النفوس فقد تحققت القيامة للعارف ، لأنه وحده الذى يستطيع الظفر بنفسه وقتلها ، وكبت جميع ميولها حتى تموت فيحاسب فى الحال على ما تقدم من ذنبه ، ويوفق فيما تأخر من عمره ، بل قد يرى مقعده من الجنة أو من النار .

وقد روى أن مريداً من أهل الكشف رأى شيخه متأففاً من أهل النار =

وقال إنما كان لجنهم سبعة أبواب ، فإن الأمور الموبقات سبعة ، لكل باب منهم جزء معلوم ، والباب الثامن لها مغلق ، ولذلك لم يذكره ، لأنه غير مسلوك ، وهو الحجاب الذى لهم عن ربهم يومئذ .

ومنهم رضى الله عنهم :

. . .

عبد الله بن جرجيس بن عبد الشهيد

لما قال القائل ، وهو الحلاج :

يا كل كلى فكن لى   إن لم تكن لى فن لى
مالى سوى الروح خذها   جهد الفقير المقل

فقال لى الآخر : وهو أبو الحجاج يوسف المبتلى الدباغ الرباطى القرطبى ، بحضور مشايخ كانوا عندى ، وكان الوقت قد طاب لهم ، فقال : يا أخى ليس هذا بشىء . فقلت له يا أبا الحجاج ، رد عليه . قال : اسمع ماقلته أنا . ثم أشعرنى مرتجلا فى الحال :

من الغرائب أنى   أهديت بعضى لكلى
مالست أملك أهدى   فعل الحبيب المدل

= فهجره زماناً ، فأرسل إليه الشيخ واستوضحه سبب هجره إياه ، فقص عليه مارآى ، فقال له الشيخ ، يا ولدى منذ عشرين عاماً وأنا أعلم أنى من أهل النار ، وأجتهد مع ذلك فى العبادة رجاء رحمة الله . ثم رأى المريد شيخه ثانية أنه أصبح مرحوماً ومن أهل الجنة فعاد إليه .

وإذا شك بعض الدارسين كدأبهم حتى فى وقائع المنامات . فإنها تربية تبعث الأمل ، وتعلى كلمة الخير، لا نجد لها مثيلا فى مناهج التربية النظرية .

فقلت له : لا فض الله فاك . ولنا من قصيدة فى هذا المعنى وهو هذا :

كيف أهدى لكم الروح وقد صح بالبرهان أن الكل لك

ولما قال القائل :

فالليل إن وصلت كالليل إن هجرت أشكو من الطول ما أشكو من القصر

فقلت : والله ما أحسن هذا فى قوله ولو قال مثلما قلت :

شغلى بها، وصلت ليلا وإن هجرت فما أبالى أطال الليل أم قصرا

ولما قال القائل :

لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة لقد سرنى أنى خطرت ببالك

فقلت : ماهذا بشىء ، ولو قال مثل ما قلت :

لئن سرنى أن نلتنى بمساءة فما كان إلا أن خطرت ببالك

ولما قال القائل :

ولقد هممت بقتلها من حبها حتى تكون[1] خصيمتى فى المحشر

قلت : هذا لا يحسن ، لأنه جعل الحق لها ، فربما لا تطالبه لبغضها فيه .

فلو قال :

ولقد فرحت[3] بظلمها من حبها كيما تكون خصيمتى فى المحشر

وقال الشريف الرضى فى هذا الباب :

أنت النعيم لقلبى والعذاب له فما أمرك فى قلبى وأحلاك

---

(١) فى هـ : ما ليس ملكى أهدى

(٢) فى الأصل : كيما تكون

(٣) فى الأصل : ولقد سررت .

وقال صاحب « محاسن المجالس » :

فهل سمعتم بصب سقيم طرف سليم
منعم بعذاب معذب بنعيم

وقال أبو يزيد البسطامى :

أريدك لا أريدك للثواب ولكنى أريدك للعقاب
وكل مآربى قد ملت منها سوى ملذوذ وجدى بالعذاب

ولنا تتميم نصف البيت الأول :

أريدك لا أريدك للثواب ولكنى أريدك للثواب

وقال :

عجبى والله من مسألة أعرض العاقل عنها وسلك
صح أن الحق أسرى ليلة بنبى وبراق وملك
وعلا الأفلاك فى دورتها ووجود الكون فى دور الفلك
وهو لا يسكن فى تحريكه بطل التأثير وقتا (١) وهلك

ومنهم رضى الله عنهم :

. . .

عبد الله بن زكريا بن عبد اللطيف

قال : الغيرة على الله تعالى ليست من صفات الرجال ، ولكن من صفاتهم الغيرة لله ، والغيرة فى الله ، والغيرة من الله وإن كانت من صفات الرجال ، فهى دون هاتين .

---

(١) فى ه : بطل العالم .

وقال : الصبر على الله تعالى من أعظم الصبر ،كما تقول : أخذت العلم عن الله ، ليس من الآجل ، وهو أن ينسب الصبر إليك نسبته إليه ، وعند ذلك تكون النيابة حقا ، والحرفة صرفا .

وأما الصبر عن الله بمن حبس النفس عن الله بما يكون فيها من المخالفة التى هى سبب البعد والطرد والحجاب ، وليس ذلك بتحقيق الصبر من الله ، وأن ذلك تحقيق صبرك عما فيه نعيمك ولذتك ، فإن مرجعك إلى الله وبالله، فلا مفارقة عين ، ولكن نعيم وعذاب . فإن تشهده منعما شهدته معذبا .

وقال : لما تعلقت الهمة بزكريا لطلب الولد ، من أجل قرة عينه بمريم، واستفراغ سره فى مشاهدة حالها ، وكانت كاملة بتولا ، كان يحى سيدا وحصورا ، مطابقة .

وقال : إنما كانت الشيخوخة والطفولة مرحومتان عند الخلق ، منظورا إليهما بعين الرحمة والشفقة والرفق من جانب الحق ، للضعف الذى بهما .

ونحن بالشيخ أشد رحمة فى هذا الباب ، لأنه صاحب ضعف وشيبة ، وعدم المربى بما ينبغى ، فإن تربية الشيخ مستقذرة ، تنفر عنها الطباع ، بخلاف تربية الطفل .

فالطفل موقى ، والشيخ مسموع منه .

وقال : الشيخ الضعيف المؤمن ألبسه الله سبحانه وتعالى خمسة أثواب بعضها فوق بعض .

فالذى يلى بشرته وهو شعاره ، ثوب الصيانة ، ثم ثوب العناية ثم ثوب الولاية ، ثم ثوب الهداية ، والخامس هو للزينة ، ثم ثوب الحماية والكفاية .

ثم يغمس فى الرحمة غمسة ، فلا يبقى عليه من درن المخالفة شىء ، فيخرج نقيا تقيا طاهرا مطهراً .

ولا يبقى له من العمل إلا هذا الذكر الخفى ، وهذا من الرحمة بالضعيف .

وقال : إذا غلب الإنسان حكم الهرم يضعف عن الحركة ، فتقوم الخطرة من الذكر منه مقام عبادة العمر ، لأن الآخرة له مشهودة .

وقال : ليس شيء أعز على الله من أوليائه ، ملكا كان أو بشرا ، أوجنا . ثم هم فى الولاية على طبقات .

فمنهم رسل ، ومنهم أنبياء ، ومنهم أهل حديث ، ومنهم أهل مسامرة ، ومنهم أهل مواصلة ، ومنهم أهل مؤانسة ، ومنهم ومنهم .

وقال : المرآة من حيث هى مرآة لاتزال محلا للتجلى ، وإن كانت صدئة تجلى فيها صداها (١) ، فجلاؤها عبارة عن إزالة صورة الصدأ عنها ، لتتجلى فيها صورة الرائى وغيره . فهى بجلائها صقيلة أبدا ، وتختلف عليها صور المتجليات ، لأنها مرآة ، وأكثر الناس لاعلم لهم ، وإذا لم تكن مرآة فهى قطعة حديد لاغير .

وكذا صدأ مرآة القلب (٢) إنما هو ظهور صورة الأكوان فيه . فإذا أميطت عنه هذه الصورة بالذكر وبالمعرفة ، وهى أحسن من الذكر وأحلى ، كما ورد فى الخبر : « إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد » . قيل : فما جلاؤها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جلاؤها ذكر الله وحده » .

وقال : اتل القرآن من حيث ما هو كلام الله تعالى ، لامن حيث ماتدل عليه الآيات من الأخبار والأحكام فإنه الران .

وقال : أنت مجلى الحق الذى وسعه حين ضاقت الأرض والسماء .

وقال : مرآة القلب لاجهة فيها ، فلذلك هى مجلى الحق سبحانه ، الذى لايتصف بالجهات

ومنهم رضى الله عنهم :

---

(١) فى هـ : فإن صداها هو المتجلى فيها .

(٢) فى هـ : وكذا مرآة القلب صداها ..

عبد الله بن موسى بن عبد القوى

قال : شخص كل شيء ذاته ، فليطلق هذا الاسم على كل ذات بحسب ماهى عليه ، وليس هو حقيقة فى شيء ، مجازا فى غيره .

وقال : ما ثم مجاز أصلا . الكل حقيقة .

وقال : صورة كل شيء حقيقة مثل الشخص ما هو مجاز فى أمر ما من الأمور . فقال : أخبرنى بصورة الأمر . فقال : القديم ثبات الألوهية ، والصورة ما تظهر فيه للأبصار عند الكشف ، والساق شأنها وأمرها ، واليد تصريفها ، والعين حفظها .

وقال : وقوفك معك حجابك عنك (١) ، فلو زلت عنك لرأيتك (٢) .

وقال كن مع الله كما هو الله معك ، تكن أنت أنت ، وما يخبرك به

---

(١) فى ه : حجاب عنك .

(٢) قال العارف علاء الدين العطار « رؤيتك لنفسك أنك مؤدب خطأ فى الأدب » . فمعنى قول الشيخ الأكبر إذن : أن وقوفك مع نفسك من حيث الشهوات حجاب بينك وبين معرفة حقيقة نفسك ، ووقوفك مع معرفتك هذه حجاب عليك ، وبين حقيقية نفسك الحاملة للأسرار والفناء عن المعرفة يستلزم فيض المعرفة الحقة من أعلا ، حيث زال الحجاب . وحينئذ فكل ما يصدر عن العارف مما هو متصل بالبشرية لا يكون وقوفا مع النفس ، بل يكون تحقيقا لحقيقة المعرفة . يقول داود بن ماخلا « العارف إذا اشتكى آثار بشرية يقال له : إنما أردنا أن نعمر بك دوائر الحس ، كما عمرنا بك دوائر القدس » . فالعارف حين يزول عن نفسه يدرك سريان الأسرار إلى قلبه بلا واسطة ، ويدرك ما هو أعلى من الأسرار بواسطة الملأ الأعلى .

نخذ مالك ، وافهم ماله ، وافهم لأى شيء أخبرك عنك وأنت تعلم خبرك (١) .

وقال : حضرة الخيال أوسع الحضرات ، فإنها تعم كل شيء ، تارة بحكم المطابقة ، وتارة بغيرها ، ولذلك ترى ربك فى النوم وجميع المعانى ، وفيها قال : « اعبد الله كأنك تراه » .

وقال : حضرة الخيال تجسد المعانى ، فإنها لاتقبل شيئا ما لم تصوره بصورة ، فإذا جعلته صورة قبلته .

وقال : من خرج من حضرة خيال علم ، لم ير ولم يسمع حيثما كان .

وقال : الحضور مع السوابق يرفع اللوم عن اللواحق حقيقة ، فيكون

---

(١) إنما جاء الإخبار عنا فى القرآن ونحن نعلم خبرنا لأسرار دقيقة تظهر من الحروف لا من المعنى الكلى . فمثلا قوله تعالى : لهم قلوب لا يفقهون بها ، فكثير من الناس يظن أن قلبه معه ، ومن ظن ذلك فقد أشرك شركا خفيا ، لأن الذى معك هو ربك « وهو معكم » . « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب » . لحرف الجر والضمير « له » ينبهان الإنسان إلى معنى عظيم هو وجوب التمييز بين ما هو لك وما هو معك ، حتى تفهم الأمر على حقيقته ، فلا يختلط عليك الحق بالخلق ، فإذا نودى البشر : « ولا تجعل مع الله إلها آخر » فيجب النظر إلى القلب الذى هو بيت الداء وسر البلاء . وإذا نادى البشر بقوله « سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض » وجب النظر إلى القلب فى الحال لأنه لك ، وما كان لك يجب أن ترعاه وتصلحه ، ولو كان القلب معك لأصلحه الله ولم يكلفك بإصلاحه ، فإذا كان التكبر محله القلب والنفس كانت النتيجة الصرف عن الأبصار . « وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » وللقلب بالعقل صلة . فقوله تعالى « وكان الإنسان أكثر شيء جدلا » يكشف هذه الصلة فالجدل بالعقل ومبعثه الكبر والكبر فى القلب والنفس .
هذا مثال سقناه تقاس عليه أمثلة لا تحتملها هذه الحاشية .

فى اللوم حاكيا ، وفى رفع اللوم محققا ، وهذه المرتبة من قوى الإيمان (١)

وقال : لاتنال الأرواح إلا بذهاب أرواح ؛ لأن قيمة كل شيء مثله .

وقال : من لزم التقوى والآداب لم يكن لأحد عليه حق فى الدنيا ولا فى الآخرة .

وقال : الرياء جهل ، سواء نسب المرائى فعله ذلك لنفسه ، أو نسبة لله تعالى .

وقال : الصادق فى توبته علامته ألا يذكر ذنبه ، لأن التوبة لا تبقى له وجودا (٢) ، إذ قد بدل بالنص المعصوم (٣) ، فأى ذنب هناك حتى

---

(١) لتقريب المعنى نقول : إذا حضر القلب مع اللسان وبقية الجوارح فى إبتداء الصلاة ، وصح التوجه ، وتطابقت النية مع الإرادة لله وحده ، ثم وردت بعض الخواطر على القلب بعد ذلك . ارتفع اللوم عن المصلى فى الحقيقة ، لأنه سلم نفسه إلى الله ، وأخلص فى إلقاء نفسه بين يديه ، وصدور اللوم على ذلك سدا للذرائع وقصدا إلى التربية . ومن هنا كان المحقق حاكياً للوم من هذه الوجهة فقط ، إذا لام نفسه ، أو ربى غيره . وصلته بالإيمان واضحة بعد ذلك ، فصاحب هذا المقام موقن مشاهد دون شك .

(٢) فى الأصل : لأنه ما يبقى له وجود .

(٣) معنى قوله تعالى : « يبدل الله سيئاتهم حسنات » ، وهذا تحقيق شرعى لا يخلو من عمق الوعى الروحى ، إذ أنه من تحقيقات أهل العزم والحزم ، وأما ماتواتر من ذكر كبار السلف لذنوبهم ، فإنما هى الخطرات ، أو هو تحقيق العبودية . مشهد الشيخ الأكبر تحقيق العزة ، ومشهد الذاكرين لذنوبهم تحقيق الذل . ولذا جمع الشيخ الأكبر بين المشهدين فى القول التالى .

يشهد (المكلف) (١) ؟ فتى ذكر التائب ذنبه فتوبته معلولة ، وإيمانه مختل بلا شك .

وقال : متى ما ذكر العبد (٢) ذنبه ، ولم تظهر عليه حالة من حلت به عقوبة الذنب فما هو تائب ، وإنما هو مستحل لما ذكر . واستحلاء الذنب أشد من الذنب بما لايقارب . وهو حجاب عظيم بين الله تعالى وعبده ، ويخاف عليه لعدم حرمة الحق تعالى عنده .

وقال : عندنا أن جميع المخالفات كبائر ، فإن الذى يعصى بها واحد إذا نظرنا من خولف بها ، ومن نظر إلى الحدود عليها جعلها كبائر وصغائر .

وقال : التوبة لاتصح ما لم تعم ، فإن خصصت فهى ترك لاتوبة .

وقال : التمنى تعطيل الوقت ، وقد قلنا فى ذلك من قصيدة :

خرج التوقيع لى بالأمان   فلتحاذر غائلات الأمانى
ينقضى الدهر (٣) ولاشىء منها   حاصل قد ملكته اليدان

ومنهم رضى الله عنهم :

* * *

عبد الله بن دواد بن عبد الودود

قال : الطرق إلى الله على قدر الرجال ، والرجال على قدر المعارف والمعارف على قدر السلوك ، والسلوك على قدر الطرق ، والطرق على قدر الرجال .

---

(١) ساقطة من الأصل .   (٣) فى ه : ينقضى العمر .

(٢) لا يخفى ما فى هذا القول من مذهب الشيخ الأكبر فى الشهود ، وهو : إندراج البداية فى النهاية ، والذى يعتبر عنه بالدائرة ، وقد ألف الشيخ كتابا سماه إنشاء الدوائر .

وقال : أجهد أن تعرف من أين جئت ، وكيف جئت ، تعرف من أين ترجع ، وكيف ترجع .

وقال : مادامت عقول الأمزجة(١) باقية فالتكليف قائم ، فاذا غلبت العقول الإلهية ارتفع ، فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك .

وقال : الله ، الله . التسليم لأهل هذه الطريقة ، المنتسبين إلى الله تعالى فيما يظهر عليهم من المنكرات بالنظر إليك ، فإن فى ذلك نجاتك ، لأن الذى انتسبوا إليه قادر على قلب الأعيان ، والأخذ بالأبصار عما هو المشهود عليه ، أين درجة من جبريل فانظر . وان ذلك ليبلوك أتؤمن أم تكفر ، والعاقل كأنه لم يز ، باق على الأصل ، فانظر فى العوم من حيث هو لا من حيث هم تسلم (٢) .

وقال : واجب على كل من طلب الحق تعالى أن يلزم الحق .

وقال : خلق الله عز وجل الخلق لينظروا إلى قبائح الدنيا ، ومحاسن الخلق ، فيؤديهم إلى الزهد فى الدنيا ، وحسن الظن بالناس فعكس الناس القضية ، نظروا إلى محاسن الدنيا ، ورغبوا فيها ، وإلى قبائح الناس فاغتابوهم ومقتوهم .

ومن حصل له ذلك التنزيه من جانب الحق يجد له حلاوة ما رآها قط ،

---

(١) فى ه : عقول المزاج .

(٢) لا أدل على ذلك من الكتاب من قصة الخضر وموسى وليس القول بأن الله قادر على قلب الأعيان يعنى أن ذلك ما يحدث فعلا ، بل المراد أنه لو لم تكن حكمة عليا من ظهور ما ينكره الناس على العارف لأخذ بالأبصار وقلب العين حين حدوثه ، حتى لا يتعرضوا للقال ، ويلاحظ أن الشيخ الأكبر عبر بالمنكرات بدلا من المحرمات ، دلالة على أن ما يظهر إنما هو مما ينكره الناس عرفا ، لا مما تنكره الشريعة .

وتورث عنده سكرا . وهذا المقام لما ذقته بدمشق أشهد لقد بقيت فى لذاته كالسكر أياما كثيرة .

وقال : إن الله طلب المؤمنين ليؤمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى أنزل من على رسوله والكتاب الذى أنزل قبل . فاذا كان الإيمان الذى كانوا عليه حين خاطبهم بأن يؤمنوا (١)؟

ومنهم رضى الله عنهم :

. . .

عبد الله بن محمد بن عبد الصادق

قال : الصادقان مثلان ، والمثلان لايجتمعان (٢) .

---

(١) طالب الله تعالى الخلق أن يؤمنوا مرتين : أولاهما حين أخذ الله من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى . والثانية عن طريق الوحى إلى الرسل .

وكان الخلق حينما خاطبهم الله بأن يؤمنوا على حال من الإيمان بالربوبية التى هى تنزل قريب من الخلق بعيدا عن مرتبة الالوهية نزولا . فرتبة الربوبية تختلط كثيرا بمراتب المنعمين والمربين من الخلق ، كما يبدو من المخاطبات الإلهية لآدم والوعد بألا يجوع ولا يعرى وهى مقام التربية الموصول من الربوبية . فطولبوا بأن يرفعوا همتهم إلى الإيمان بالألوهية فى مقام الجمع ، لا فى مرتبتها من الفرق وهى الربوبية .

(٢) عند أهل النظر العقلى : لا يجتمع النقيضان ، وقد يجتمع المثلان . وعند محقق الصوفية العكس صحيح فلا يكون العارف عارفا حتى يجمع بين الأضداد ، كالعز والذل ، والغنى والفقر ، والعلم والجهل وغير ذلك ولا يجتمع المثلان فى زمان واحد ومكان واحد أبدا من جهة المعرفة ، لأن اجتماعهما على هذه الصفة تكرار للحق ، والحق واحد . فلابد من ذكورة وأنوثة ، أى من قابل ومفيض .

وقال : الذكورية أصل فى الإيجاد الإنسانى ، فهذه درجة السببية التى للرجال على النساء .

وقال : نهر طالوت نهر بلوى ، فهو نهر الدنيا ، من أخذ القوت منها لم يتعد ، فتلك الغرفة إذا اغترفها كسبا بيده ،فإن تجردعن الكسب فهو قوله : « فمن لم يطعمه فإنه منى » .

فقوت المتجرد ليس من الدنيا ، لأنه ما أخذ من النهر شيئا ، فما أحسن هذا التنبيه الإلهى !!

ومن شرب وأمعن فيه زائدا على الضرورى فى الكسب فليس منى . وليس على المتجرد تقييد فى الإتساع من فضل الله، فيشرب ويروى من جود الله الحق ، الذى لم تدنسه أيدى المحدثات بالكسب .

فمن فهم هذه الأشارات علم ما بين الرزقين. وأدرك الفضل بين النوعين، الكلب إذا أكل من صيده فلنفسه سعى ، فيحرم الصيد لذلك على المرسل وأنت المرسل جوارحك فى الكسب ، فإذا أكلت منه حرم عليك مع نقصان مرتبة ، وتحجير للحلال المحض الإلهى عليك . فمعنى حرام : مانع بينك وبين من أكل من يد الله .

وقال : لما غلبت الكثافة على غير الأمة المحمدية صارت نزل المعانى عليهم فى صورة الحس ، لطمس قلوبهم وعيونهم عن إدراك الحقائق على ما هى عليه ، ونزلت على الأمة المحمدية على ما هى عليه فى نفسها .

ألا ترى إلى السكينة نزلت فى قلوب المؤمنين فانتفعوا ، ونزلت على من تقدم فى صورة ثور محمول فى تابوت ، نظير قلب المؤمنين . ليس فى

قلوبهم منها شيء . قال تعالى : « وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم » . وقال فينا : « هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا » بفضلهم على غيرهم من الأمم بقوله : « ولله جنود السموات والأرض » . نظير قوله : « تحمله الملائكة » .

انتهى الجزء الخامس ، والحمد لله وحده

ويتلوه النصف الثانى من كتاب العبادلة

فى الحقائق بألسنة الأسماء

القسم الثانى

من كلام العبادلة
فى الحقائق بألسنة الأسماء

فى هذا القسم

عبد الله بن عبد القدوس
وابن عبد الكريم
وابن عبد الحكم
وابن عبد الوارث
وابن عبد المحيي
ابن عبدالمعطى
وابن عبد الباريء
وابن عبد القابض
وابن عبد الحسيب
وابن عبد المتين
وابن عبد المغنى
وابن عبد المصور
وابن عبد الوهاب
وابن عبد المعز
اوابن عبد الباعث
وبن عبد المعيد
وابن عبد الهادى

وابن عبد المتكبر
وابن عبد الفتاح
وابن عبد المقيت
وابن عبد الوكيل
وابن عبد المقسط
وابن عبد الصبور
وابن عبد القهار
وابن عبد الخاقض
وابن عبد المجيب
وابن عبد المبدىء
وابن عبد النافع
وابن عبد المؤمن
وابن عبد السخى
وابن عبد الحفيظ
وابن عبد الحق
وابن عبد القيوم
وابن عبد الرشيد
وابن عبد الدهر

وابن عبد الغفار
وابن عبد الرفيع
وابن غبد الرحيم
وابن عبد المحسن
وابن عبد الضار
وابن عبد السلام
وابن عبد الجواد
وابن عبد الخبير
وابن عبد الشهيد
وابن عبد الميميت
وابن عبد المانع
وابن عبد المصور
وابن عبد الباسط
وابن عبد الجليل
وابن عبد الولى
وابن عبد البديع
وابن عبد المتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن أيوب بن عبد القدوس

قال : الطهارة شرط فى صحة الصلاة ، فهى شرط فى آداب المناجاة : « إنك بالوادى المقدس » ، فأمر بخلع النعلين فيه ، فمن كان موسويا خلع نعليه ، ومن كان محمديا مسح على نعليه .

وقال : المؤمن طاهر بالذات ، وما ثم إلا مؤمن . والمشرك نجس بالذات ، فما ثم إلا مشرك ، فالنجاسة على قدر الشرك ، والطهارة على قدر الإيمان .

وقال : طهارة القلب من التقليب ، وطهارة العقل من التقييد ، وطهارة النفس من عينها ، فمن لانفس له لاقلب له ، ومن لاقلب له لا عقل له : « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب » .

وقال : طهارة الحضرة الإلهية من حيث ذاتها تنزيه ، وطهارتها من حيث أسمائها تشبيه .

وقال : القدوس الطاهر . وغير القدوس على خلق سيده .

وقال : الطهارة عامة وخاصة ، فعامة الطهارة من حيث كونك نسخة من جميع العالم . والخاصة ماتخص ذاتك من حيث أنك مخاطب بما شرع .

وقال : طهارة الماء طهارة الأبدان والأثواب ، وطهارة العلم طهارة القلوب .

وقال : لاتطلب الطهارة إلا لإزالة الأدناس ، وكل ماسوى الله دنس .

وقال : من التفت إلى غير الله بالله وجبت عليه طهارة ما التفت به إلى غير الله .

وقال : ماء البحور طهور ، وميتته حلال .

وقال : طهارة الأسرار ذاتية ، وطهارة الطبيعة طهارة عرضية ، فقدس طبيعتك فإن سرك مقدس ، وتحصيل الحاصل تضييع للوقت .

وقال : كل طهورطاهر مطهر ، فإنه متعدى،وكل طاهر طهور ، وليس الطهور إلا ما خلقت منه ، خلق الله تعالى الماء طهورا ، فأصلك طاهر من حيث روحك وأصلك دنس من حيث طبيعتك ، فمن قدس طبيعته ألفها بالنفس الرحمانى الإلهى ، فالإنسان طاهر نجس والمؤمن طاهر كله ، وكلتا يديه يمين إن كان مؤمنا ، وإن لم يكن مؤمنا فله شمال ويمين .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن اليسع بن عبد السلام

قال : من اشترط فى سلعته البراءة من كل عيب فا عرف ،أما يعلم من كونها سلعة (١) أنها محل العيوب .

وقال : المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، هذا عموم ظاهر الشريعة ، وأما فى خصوصها فالمسلم من سلم كل شىء من لسانه فيما يعبر عنه ، ومن يده فيما له فيه نفوذ الاقتدار .

وقال : العبد إذا سلم من دعوى السيادة فقد سلم عما قيل فيه ، فما قيل فيه عبد إلا ليقف عندما قيل فيه . فى المثل : « ماهلك امرؤ عرف قدره » فمن عرف قدرة ماتعدى طوره . فليأكل الحلال المحض بلا شبهة .

وقال : العبد المحض ظاهرا وباطنا من لا يملك شيئاً ألبتة ، فإن ملك شيئا نقص من عبوديته على قدر ماملك (٢) .

---

(١) فى ه : أما علم من كونها عورة .
(٢) فى ه : بقدر ما ملت .

وقال : السلام أمان ، فمن سلم عليك فقد آمنك مما تحذره منه « تحية من عند الله مباركة طيبة » . فالإنسان يسلم على نفسه .

وقال : لا تقل : السلام على الله ، فإن الله هو السلام ، فتجعله أجنبيا ، وهو المسلم. سلام عليكم . السلام علينا ، مشروع فى التشهد فى الصلاة ، فأمنك به من نفسك لما كانت لله لا لك على أن فى سلامك على نفسك إشارة إلى أن الله أقرب إليك منك « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » .

ولما خاف الإنسان من نفسه أن توردهه الموارد المهلكة آمنك من ذلك فى التشهد فى الصلاة ، فشرع لك أن تقول : « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » .

وقال : شرع لنا أن نسلم فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم لأجل رده صلى الله عليه وسلم علينا ، لأنه الظاهر بأسماء الله تعالى ، فآمنك من اسمه المنتقم وأخواته من الأسماء بأضدادها من الأسماء الإلهية أيضا وقال : « سلام عليكم بما صبرتم » فجاء بباء السبب « إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب » أى رجاع إلى ربه فى كل حال .

وقال : كن وارثا نبيك بأن تقول فى السراء : الحمد لله المنعم المتفضل ، وفى الضراء : الحمد لله على كل حال ، واتبع ولا تبتدع ، واقتد تهتد ، ومن هدى فقد سعد

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن مؤمن بن عبد المؤمن

قال : من كان المؤمن كان عين نفسه .

وقال المؤمن معطى الأمان ، وإن النبى صلى الله عليه وسلم يقول المؤمن من أمن جاره بوائقه » .

وقال : المؤمن ناصح على الإطلاق ، « أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله » .

وقال : المؤمن يمنى لا عراق .

وقال : المؤمن من أسمائه ، فقد تسمى بعبده ، لا ، بل العبدتسمى به[١]

وقال : كما يصدق العبد ربه فيما وعده به ، كذلك يصدق الرب عبده ، فيما أتاه به ، مما أمن أن يأتيه به .

وقال : المؤمن وجه بلا قفا ، فمن أي وجه شاء أبصر[٢]، فله فى كل جهة عين يبصر بها .

وقال : المؤمن منور الباطن وإن عصى ، والكافر مظلم الباطن وأتى بكريم الخلق .

وقال : من تحكم فى الإيمان وتصرف ، فذلك الذى استحق اسم المؤمن ، وليس إلا الله تعالى لم يستطع النبى صلى الله عليه وسلم وهو أكرم الخلق على الله أن يجعل عمه أبا طالب مؤمنا « إنك لاتهدى من أحببت » .

وقال : من تحكم عليه فيه ، كانت له الغلبة ، وما فى الوجود إلا من يحكم فيه عليه « لولا كتاب من الله سبق » . هذا تحجير إن فهمته [٣] .

---

(١) فى هذا المعنى رأى فى تفسير الحديث « المؤمن مرآة المؤمن » فالمؤمن الأول للعبد المتصف بالإيمان والثانية اسم من أسماء الله الحسنى . وقد جاء فى القرآن الكريم إطلاق الأسماء الإلهية على البشر ، فأطلق اسم الرءوف الرحيم على النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) المراد عين البصيرة ، التى تدرك مالا تدركه الباصرة ، وهى من مواريث النبوة ، جاء أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول وهو يؤم المسلمين « إنى أراكم من وراء ظهرى » .

(٣) وجه التحجير أن يفهم القاصر من هذه الآية أن سبق الكتاب أغلق الطريق على غير المستقيم ، المقيم فى الزيغ فعلا . وكذلك المؤمن يرى أن إيمانه سبق به الكتاب فلا يمكن أن يتحول عنه . وهو خطأ فى بداءة الشريعة . والعلم هو العاصم من هذا الزلل .

وقال : من قال : أنا مؤمن إن شاء الله فما عرف الله .

وقال : لاتغتروا بالإيمان ، فإن الذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون » . فبالمجموع وقع الخسران (١) .

وقال : المؤمن من كان مرآة يرى كل راء فيه صورته ، ولا أحاشى ، رأينا من رأوا (٢) .

وقال : من أسماء الحق ما إذا برأها الحق فيك أشقاك كالمضل .

وقال : المؤمن أخو المؤمن ، فهو على صورته ، وهو من الأسماء الإلهية .

ومنهم رضى الله عنهم :

• • •

عبد الله بن عبد جابر بن عبد المتكبر

قال : التكبر من العبد خروج عن الأصل ، « بئس مثوى المتكبرين » .
وقال . من تعمل فى تحصيل الكبرياء من غير تخلق فهو مذموم (٣) .

---

(١) أى بالمجموع المكون من الإيمان والباطل . ولا يقتصر الإيمان بالباطل على الإيمان بغير الله . فقد يكون الرجل ناطقا بالشهادتين وهو مؤمن بالباطل ، وذلك إذا كان بما فى يده أوثق بما فى يد الله مثلا . والمخرج من ذلك هو الإيمان الغيبى والتسليم المطلق لله . والبراءة من الحول والقوة فلا خوف على صاحب هذا الإيمان .

(٢) فى الأصل : ولا أحاشى رائيا من رآى راء . وهو غامض ، ويريد الشيخ الأكبر بقوله رأينا من رأوا . أنه رآى من رأوا صورهم فى مرايا المؤمنين .

(٣) والتكبر الممدوح هو التكبر على المتكبرين ، هذا هو التخلق بالكبرياء الممدوح ، فليس المراد به هوى النفس ، وإنما المراد إذلال الباغين فى الأرض الفساد .

وقال : من تحقق بالتكبر فقد عرف نفسه ، ومن لم يتحقق به فقد جهلها .

وقال : نسبة التكبر إلى الله من قوله : « مرضت فلم تعدنى ، جعت فلم تطعمنى (١) ظمئت فلم تسقنى » .

وقال : كما جعل الله عبده نائبا عنه سبحانه وخليفته ، كذلك جعل نفسه نائبا عن عبده ، فمن عرف هذه النيابة كان عالما بالله ، ومن كان عالما بالله (٢) كان عالما بالأمور على ما هى عليه .

وقال : التكبر فى الباطن جهل وشقاوة ، وفى موطنه سعادة .

وقال : خلقت عبداً لتكون سيدا « خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة » .

وقال : لولا الدعاوى ماخلقت المهاوى ، فمن ادعى دعوى هوى فيها وإن كان صادقا . ألا تراه يطالب بالبرهان ؟ فلو لم يدّع ماطولب بدليل .

وقال : الإنسان عبد بالأصالة بلا شك ، ومع هذا فإن ادعى العبودية طولب بشروطها ، لأنه ادعاها فى حال اتصافه بالقوة .

وقال : سعد من تجلى له الحق من مقامه ، وشقى من تجلى له الحق أيضا من مقامه (٣) .

---

(١) كلام الله تعالى هنا على لسان عبيده . أى جاع عبيدى ومرضوا وعطشوا فلم تعدهم كبرا وبغيا . وتلك حقيقة التكبر الإلهى متمثلة فى الإنسان متجلية فيه .

(٢) فى الأصل : عارفا بالله فى الفقرة كلها . وقد آثرنا ما فى : ه سيرا على مذهب الشيخ الأكبر الذى يرفع العلم فوق المعرفة [أنظر أوائل مواقع النجوم له] .

(٣) هذا يفسره ما بعده من الأقوال .

وقال : نزول الحق إلى صفات الخلق ابتلاء منه ليبلو أيشكر أم يكفر ، ويعرف أم يجهل .

وقال : إقامة الحق عبده فى صفات سيده شقاوة به إن لم يكن الميزان بيده ، فإن الميزان يعرفه بماله وماله عليه(١) .

وقال : ذلة العبد رجوع إلى أصله ، وتكبره خروج عن أصله . ومن خرج عن أصله تعب .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن معتوق بن عبد البارى

قال : « وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله » فالبارى فى الأرض خصوص خلق فى نافع .

وقال : خلق الحشرات لإزالة الآفات ، فإنها من العفونات (٢) .

---

(١) إذا أقامك الله فى صفة الكبر لتقمع المتكبرين ملكت بدون ميزان . والميزان الذى تعرف به سلامة موقفك هو : هل تغضب ويتغير قلبك وإذا ندب إليك نقص ؟ إن كان فأنت شقى ، وإلا فأنت سعيد .

(٢) وهكذا صدق العلم الحديث كشف الشيخ الأكبر . قال العلامة « كريس موريسون » رئيس أكاديمية العلوم فى نيويورك فى كتابه « العالم لايقف وحده » .

إنه زرع فى استراليا نوع من نبات الصبار كسياج واق ، وبدأ الصبار ينمو فى ضخامة مذهلة وبسرعة لعدم وجود حشرة عدوة له فى استراليا ، وغطى النبات مساحة تبلغ مساحة انجلترا ، ودمر المزارع ، وهجر الناس قراهم وطاف العلماء بأنحاء العالم حتى اكتشفوا حشرة لا تعيش إلا على الصبار وحده ، وتتكاثر بسرعة ولا أعداء لها فى استراليا وقهرت الحشرة النبات بسرعة ، وأصبح الصبار فى عزلة .

وقال : إذا اتصف الهواء بالصفاء قل البلاء .

وقال : الله فى السماء « رفيع الدرجات » ولذلك قال : « ذو العرش » . وفى الأرض « بارىء » والبارىء خالق عمار الأرض .

وقال : برأ الله خلق الأرض ، وخلق عالم الأفلاك من الأملاك .

وقال : البارى غير مهموز : المعارض . يقال : يبارى الريح جوداً فى سوقها الأمطار. بريت القلم أبريه بريا . إذ أصلحته لتكتب به .

وقال : العيسوى يبرىء الأكمه ، أى يجعله ذا بصر . والأبرص . والبرص : مايشين .

وقال : البارىء من لايكون علة لشىء ، فبطل قوى القائل : ياعلة العلل ، لأن العلة تساوى معلولها فى الوجود ، وليس الأمر كذلك (١) .

وقال : العلل لو استندت إلى علة لكانت معلولة ، ومن كان معلولا قام به المرض ، والمرض ميل عن الاعتدال إلى الانحراف .

وقال : من نظر إلى الأرض فقد نظر إلى نفسه ، ومن نظر إلى نفسه فقد ذاق طعمها ومن ذاق طعمها لم يفلح .

ومنهم رضى الله عنهم :

* * *

عبد الله بن آدم بن عبد الصمد

قال : التصوير فرع ، فمن وقف مع الصورة جهل الأصل .

وقال : من كنت على صورة رتبته ظهرت بصورته ، ومن كنت على صورته لم يلزم أن تقوم بصورته خلقا لاحقا .

---

(١) وهذا دليل آخر على معارضة الشيخ الأكبر للفلاسفة .

وقال التصوير دليل على عدم المصور بالمراتب .

وقال : كل من صور صورة فقد قامت به تلك الصورة ، وحينئذ ظهرت .

وقال : من وقف على جمعيته الكونية والإلهية فقد علم الصورة .

وقال : لاينبغى أن يصور صورة إلا من فى قوته أن ينفخ فيها روحا(١)، كعيسى عليه السلام ، ومن هذه الأمة يزيد البسطامى رضى الله عنه .

وقال : الروح باطن مصور الصور ، لأنه نفس ، والصورة جزء لمن صورها إذا نفخ فيها روحا ، فإن فيها منه ماعدا الحق ومن نفخ بحق فليس بنافخ . وقيل : إن أبا يزيد قتل نملة من غير علم فأحياها بنفخة خوفا من المطالبة ، وذلك لعدم كشفه فلو كشف ما ثم ما رآى إلا حيا بربه أو بطبيعته .

وقال : « ياأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك » . فهذه صورة قائمة ظاهرة . « فى أى صورة ما شاء ركبك » عدلك وسواك . فإن الصورة المعدلة لا تقتبل روحا إلا مشاكل مزاجها .

وقال : « خلق الإنسان » روحه فافهم (٢) .

ومنهم رضى الله عنهم :

---

(١) أى بإذن الله كما ورد به القرآن الكريم . والمعروف فى مراجع التصوف أن من سلب إرادته وحوله وقوته بإرادة ربه وحوله وقوته أذن له الله فى أعمال تعتبر خرقاً لنواميس الكون المعروفة ولم نجرب هذا المقام ، فلنسلم .

(٢) أى إن الخلق واقع على الروح ، أما الجسم فتقع عليه صفة التصوير من الحق . والتدبير بالروح المنفوخ والروح المنفوخ يغاير البدن المصور . فالروح المنفوخ من الله تعالى ، والبدن المصور من التراب .

عبد الله بن إلياس بن عبد الغفار

قال : من سترك من العقوبة فقد حماك ، ومن الوقوع فى المخالفة فقد اعتنى بك .

وقال : الستر صيانة بكل وجه وإن كان أمر إضافيا .

وقال : لايصح الحجاب عليه ، وما ثم إلا حجاب منه .

وقال : إسبال الستور يعطى الشعور (١) .

وقال : هو الستار لا المستور .

وقال : ستره أنت فزل ، وإذا زلت فلن ينكشف .

وقال : « وهو الظاهر » له ولك ، « وهو الباطن » عنك لا عنه . « وهو الأول » بك « وهو الآخر » إذا كان عينك ، ومازال عينك ، فازال آخراً ، فأنت الآخر ، والآخر تبع ، وهو الأول وأنت تبع .

وقال : ما ظهر إلا بك وأنت أخفيته ، وإن زلت فلن يظهر ؟ فلا بد منك ، ولا بد من فنائك عنك ، لافناء عينك .

وقال : ستور أسماء تسدل ، وأيمان خلفاء تقبل .

وقال : ما ثم إلا نواب وخلفاء ، وما ثم نواب وخلفاء . على من ؟

وقال : الحقائق عبادة وسيادة ، فلا بد من عبد وسيد . لاتكون عبدا حتى يكون قواك وأعضاءك ، ولا تكون سيدا حتى يكون الفعل منك . وذلك محال فافهم (٢) .

ومنهم رضى الله عنهم :

---

(١) أى يعطى الشعور بالطلب ، وكل مستور مطلوب ، وكل مطلوب مستور محبوب .

(٢) هذا القول يوضح الأقوال السابقة . وهو من دقائق المعرفة . فالعبد أوله ونهايته عبودية ، فإذا ظهرت السيادة عليه فليست السيادة من ذاته ، وإنما =

عبد الله بن ناصر بن عبد القهار

وقال : من قهرك فقد أثبتك مثلا . والمنصب لايحتمل الشريك .

وقال : لاتنازع فلست بجامع ، ولا تدافع فلست بمانع .

وقال : من قال : أنا ، قهر ، ولو قالها بحق .

وقال : لاتتعد طورك ففيه عزك .

وقال : ما يقهر القهار إلا من ظهر بصفته ، فنفسه قهر « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

وقال : من نازعك فى صفاتك فنازعه فى صفاته .

وقال : أنت الفقير وهو الغنى ، وقد طلب منك . وأنت أولى بالطلب منه .

وقال : لم تزل طالبا والمطلوب لم يزل . وما طلب منه إلا ما هو عنده . فمن عزله عن ملكه فقد جهل .

وقال : القاهر فوق المقهور ، ولكن فى ذلك إثبات الدعوى ، والدعوى قد تكون حقا ، وقد تكون باطلا ، فلابد من دليل ، فلابد من مستدل (١) .

= هى سيادة ربه أسبغها عليه ، إذ لا تعقل السيادة فى حق العبد إلا إذا كان الفعل الذى يوجهها من العبد نفسه وهو محال .

(١) قلنا إن الشيخ الأكبر يستقى معارفه من ذاته ، ويهيب بالإنسان أن ينهج نفس النهج وهنا يقول : إذا كان لابد من مستدل لإقامة دعوى وجودك حيث أثبت الاسم لك محلا تحت القاهر من حيث إنك مقهور . فمن يكون المستدل إذن ؟ إنه أنت بالطبع ، لأن الله شهد لك بالقوة كما فى القول التالى بعده .

وإذا كان القهر يقتضى أن يكون الكل فى قبضته تعالى ، وألا يظاهر الإنسان قاهره ، لأن الإنسان هو الظاهر باسم القهر فى الكون . فمن ظاهر على هذا فإنما ظاهر نفسه ، وإذا كان ذلك كذلك فكيف يستدل =

وقال : من رسم عليك فقد شهد لك بالقوة ، «ويرسل عليكم حفظة، يحفظونكم من أمر الله .

وقال : من كان محيطا بكل شيء لم يترك مركب ولا مفردا .

وقال : الكل فى قبضته القاهر ، فلا تظاهر ، فإنك الظاهر .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن موهوب بن عبد الواهب

قال : من وهبك الوجود فلنفسه وهب ، ومن وهبك الإيجاد ـ أى أعطاك التكوين ـ فقد وهبك منعما .

وقال : الهبة موقوفة على قبولك ، فإن كان من وهبك عالما فلابد من القبول . وإن كان غير عالم وأنت محل فلابد من القبول .

وقال : الهبة معلنة بحاجة من وهب ، فالواهب يهجوك (١) ، وفى هجوه شرفك ، إذا كان الحق هو الواهب .

= المستدل؟ الله هو المحيط بكل شيء، ولم يترك مفردا ولا مركبا ، فالدليل منه عليه ، أى من باطنه على ظاهره ، ومن ظاهره على باطنه ، أى من وجوده على حقيقته ، ومن وجودك على وجوده وقد ضرب الله تعالى لذلك مثلا من مجموع الإنسان . ففيه قاهر من باطن الروح ، ومقهور هو النفس ونوازعها . فإذا قهرت الروح النفس فإنما قهر المجموع نفسه ، ولم يقهر شيئا بعيدا عن المجموع ولكن ـ فى الوقت نفسه ـ ليس القاهر هو المقهور .

فإذا أرادت النفس أن تستدل على وجودها أمام الروح فى هذه الحالة فلا يكون ذلك إلا بالتحقق بالذلة والضعف أمام سلطان الروح وحينئذ تظهر قوة المجموع كله بما فى ذلك النفس . أما النفس الامارة فإنها تظاهر الروح كما يظاهر المشرك ربه .

(١) أى ينسب إليك الفقر والحاجة .

وقال : لا تصح الهبة إلا من غنى مطلق ، وليس إلا الله .

وقال : الواهب لا يطلب العوض .

وقال : من أعطاك عن سؤال فما وهب لك . ومن أعطاك لتشكره فما وهب لك ، ومن أعطاك ما تستحقه فما وهب ، فأين الواهب ؟ اسم على غير مسمى ، ففك المعمى (١) .

وقال : حاجة الموهوب له تطلب الهبة ، لا واهبا بعينه ، إنما يعين الواهب العلم لا الحاجة (٢) .

وقال : الواهب سيد محسان ، فمن رد عليه هبتـه فقد أساء فى حقه ، وجهل قدر الواهب .

وقال : ما أتاك من غير مسألة فخذه وحوله ، فإن رددته فقد جهلت الواهب ونسبته إلى عدم العلم بك ، فاحذر كائنا من كان .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن خالد بن عبد الكريم

قال : من الكرم تفقد أحوال الإخوان قبل بذل الوجوه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الكرم قلب المؤمن » وذلك أنه يقال فى

---

(١) لا ينطبق اسم الواهب على أحد من الخلق إذن إلا على من أعطى دون مسألة من أحد ، ودون انتظار شكر على ما أعطى ، ودون تعلق حق بالعطاء لمن أعطاه ، ولندرة هذا النوع من الناس قال الشيخ الأكبر عنه اسم بغير مسمى . أما الله تعالى فهو الواهب مطلقا .

(٢) لأن الواهب لما تحتاجه قد يكون إنسانا مثلك . فالعلم بالواهب هو الذى يعين الواهب الحقيقى لا الحاجة فالحاجة قد توهب من طريق ظاهر .

العنبة : الكرمة ، فنهى صلى الله عليه وسلم وقال : «عبد الكرم عبد النعمة ، وعبد الكريم عبد المنعم» .

وقال : وسع الحق قلب العبد المؤمن ، ولذلك كان كرما .

وقال : الكرم من الأخلاق المحمودة ، بمنزلة الرأس من الجسد ، والعلم الإلهى من الإنسان بمنزلة الحياة منه .

وقال : البخل ضد الكرم . فلا تكن كريما فيكون لك ضد (١) .

وقال : نزهك الحق فى «ليس كمثله شىء» . بخلقك على صورته (٢) ، فلا تجعل لك أمثالا وكن أحدياً فى ذاتك ، وحدانيا لربك ، والوحدانية أتم فى حقك من الأحدية .

وقال : كن لله كما هو لك ، ليس منه فيك شىء ، فلا يكن منك فيه شىء .

وقال : ليس الحق بظرف لشىء ، وليس بمظروف .

وقال : للتخلق بالأسماء الإلهية مواطن فلا تتعداها ، وللتحقق بها مقامات رجال الله . والأخلاق الجليلة الإلهية فطرة الحكيم .

ومنهم رضى الله عنهم :

---

(١) لا يريد الشيخ الأكبر نهى الإنسان عن الكرم . ولكن يريد حفز المريدين على نسيان عطائهم وعدم اعتقاد الكرم منهم ، واعتقاد التقصير والبخل مهما أعطوا .

(٢) فى منهاج العوارف . المنسوب للقاضى عياض . زاد على ما ذكره ابن فورك فى تأويل هذا الحديث المشكل . قال : إذا كان الضمير يعود إلى الحق سبحانه وتعالى فيكون فهمه على وجهين :

أحدهما : أن تكون الصورة معنوية لا حسية ، كقولهم : صورة المسألة . وعين اليقين . وما أشبه ذلك من وجوه المجاز ، وحقيقته أن الله تعالى ميزه بالعلم والخلافة ، وأسجد له الملائكة ، وأمرهم بتعظيمه ، وبين لهم شرفه ، وأنه مظهر أمره سبحانه فى هذه الصورة . . . ـــ

عبد الله بن سليمان بن عبد الجواد

قال : الجواد : للعطش (١) . والجوْدُ : المطر . والجود : الكرم .

وقال : العطاء قبل السؤال إبقاء ماء وجه المحتاج عليه ، ومن طلب الشكر على ما أعطى فقد طلب الجزاء .

وقال : من جاد بالعطية ولم يخص أحدا من أحد فذلك الجواد ، وذلك الجود .

وقال : الحق موصوف بالجود فى الدار الدنيا ، لأنه أعطى الوجود للموجودات . وهو الواهب ، لأنه أعطى لمجرد الإنعام ، لا يريد منكم جزاء ولا شكورا .

وقال : الجواد حاز نصف الفلك الظاهر ، لأنه أربعة عشر الجيم ثلاثة ، والواو ستة ، والألف واحد ، والدال أربعة . فهذا نصف الفلك ، ولا يعطى الفلك أبدا إلا بنصفه لا بكله .

وقال : السعادة نصف الوجود ، والشقاء النصف الآخر . فلا يحكم فضله فى عدله ، ولا عدله فى فضله . وهى قبضتان ويدان وكتابان ، وداران وحالتان (٢) ، جعلنا الله من أهل اليمين .

= الثانى : أنه أضاف الصورة إلى الله عز وجل إضافة الملك للمملوك ، بمعنى أنه هو الذى خلقها واخترعها ، وهو فى الحقيقة مالكها ، لا إضافة الهيئة إلى ذى الهيئة . جل الله عن ذلك وتعالى علوا كبيرا .

(١) فى هـ : العطاء .

(٢) القبضتان حيث قبض الله من صلب آدم من صفحة ظهره اليمنى قبضة ثم فرقها فى الجنة ، وقال : هؤلاء فى الجنة ولا أبالى ، ثم قبض من صفحة ظهره اليسرى قبضة وقال : هؤلاء فى النار ولا أبالى . واليدان اليمين والشمال [أنظر ص ٩٤ من علم القلوب لأبى طالب المكى] نشر مكتبة =

وقال : من أعطاك فقد أوجب عليك بالحال شكره وإن لم ينطق ، والشكر جزاء وإن لم يطلبه المعطى . ومن علم ذلك فقد كلف المعطى بالحال والعلم ما لو لم يعطه لم يجب عليه ذاك . ومن كلفك فقد أتعبك .

وقال : شكر المنعم واجب عرفا وشرعا .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن محمد بن عبد السخى

قال : السخاء : العطاء بقدر الحاجة ، من غير زيادة ولا نقصان .

وقال : من سد خلتك فقد وفى لك بما يجب عليه ، فلم يبق لك عليه حق معين .

وقال : ليس السخى من تسخى بماله ، إنما السخى من تسخى بنفسه على العلم .

وقال : لا يصح اسم السخى إلا لمن بيده ملكوت كل شىء .

وقال : السخاء هو الميزان الموضوع فى الأرض لأداء الحقوق .

وقال : إن عامل الحق عبادة بالسخاء فقد نجوا ، وحصلت لهم السعادة وإن عاملهم بالكرم فقد حصلوا على خير عظيم ، اشتروه بنفوسهم ، وإن عاملهم بالجود ضاعف السعيد ، وأسعد الشق ، وصارت جهنم دار نعيم على أهلها . وإن عاملهم بالوهب فبخ على بخ ، فهو العليم الحكيم .

وقال : إن الله عند حسن عبده به ، فإن ظن به خيرا فقد أطاع أمره ، وإن ظن به غير ذلك فلجهله بما هو الحق عليه .

وقال : لا تعاملوا الحق بالميزان ، فإنه إن سامت القبة كان من أهل

= القاهرة بالأزهر . حيث ذكر كلمتين وقبضتين وخطتين ودعوتين ووقفتين ونظرتين وبشارتين .

الأعراف ، وإن مال إلى أحد الجانبين كان لما مال إليه . فإنه تعالى يعاملكم بما عاملتموه . فاعبدوه شكرا ، واتخذوه ذخرا .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن عبد الله بن عبد الفتاح

قال : الفتوح الإلهى مثلث قائم الزوايا . فتح عذاب ، وفتح بركة ، وفتح ابتلاء ، ولا رابع . ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون » ، هذا فتح الابتلاء .

وقال : إذا فتح عليك فى العبارة فقد خيرك ، وإذا فتح عليك فى الإشارة فقد حيرك ، وإذا فتح عليك فى المعرفة فقد أكرمك . وإذا فتح عليك فى العبادة فقد أسلمك ، وإذا فتح عليك فى العلم فقد ألهمك . وإذا فتح عليك فيه فقد وحدك ، وإذا فتح عليك فيك فقد أوجدك ، وإذا فتح عليك فى الفكر فقد وكلك إلى نفسك . وإذا فتح عليك فى الذكر فقد اصطنعك لنفسه . وإذا فتح عليك فى الفتح فقد اصطفاك . وإذا فتح عليك فى الكون فقد جفاك . وليس برب جاف . وليس برب جاف وليس برب جاف .

بذا ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن الله ، أنه ذكر الحديث وفيه : «إذا توضأ عبدى ولم يصل فقد جفانى ، وإذا صلى ولم يدعنى فقد جفانى ، وإذا دعانى ولم أجبه فقد جفوته ، ولست برب جاف ، ولست برب جاف ، ولست برب جاف» حدثنى بهذا الحديث الشيخ عبد الوهاب ابن على بن على بن سكينه برباطه ببغداد سنة إحدى وستمائة ثم نرجع ونقول : وإذا فتح عليك فى التكوين فقد عافاك ، وإذا فتح عليك فى الكل فقد ولاك . وإذا فتح عليك فى الجزء فقد والاك . وإذا فتح عليك فى الأعواض فذلك عين الإعراض . وإذا فتح عليك فى العرض فذلك عين المرض . وإذا فتح

عليك فى الذوات أقامك فى الشبهات ، وإذا فتح عليك فى الأين فأنت فى العين . وإذا فتح عليك فى الزمان أقامك فى الآن ، فإنه حد الزمانين . وإذا فتح عليك فى الكل أقامك فى الحيرة والهم . وإذا فتح عليك فى الكيف فقد عرفك . وإذا فتح عليك فى الإضافات والنسب كنت ذا نسب ، وعصمك من الآفات . وإذا فتح عليك فى الفعل فأنت الفعل ، أو فى الانفعال فأنت الأهل . أو فى الشرع كنت فى الوضع . أو فى الحال فقد كيفك . وبالوجود فقد اكتنفك .

ومنهم رضى الله عنهم :

* * *

عبد الله بن إسماعيل بن القابض

قال : كل إنسان إنما يعبر عن حاله ، سواء شعر بذلك أو لم يشعر .

وقال : التعبير عن الحال الذوقى محال ، لأنه خارج عن حصر الألفاظ

وقال : الحضرة حضرتان ليس لهما ثالثة ، حضرة إلهية ، وحضرة كيانية (١) . فالحضرة الإلهية تنقسم بثلاثة أقسام : ذات ، وفعل ، وتنزيه . وكذلك الحضرة الكيانية ، فما زال حكم التشبيه حيث كنت من تنزيه وغيره .

وقال الرجال أبطال . وإنما سمى البطل بطلا لبطلان شجاعة غيره عنده

---

(١) يعنى ظاهرة فى الكيان الإنسانى ، تتجلى فيها الحضرة الذاتية إن عدمت كل الأحاسيس وفنى الجسد ، ولم يبق إلا الروح الخالص ، وهنا يظهر التنزيه كذلك . وأما الفعل فهو بناء الكيان الإنسانى وما يعتريه من أحوال .

وما من مقام فى الطريق إلا ورجاله بهذه المثابة (١) .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن إلياس بن عبد الباسط

قال : لا يصح البسط فى المشاهدة أصلا ، فقول القائل : « أقعد على البساط ، وإياك والإنبساط » . إنما يدعى بساط المعاملات الحجابيات ، لأن الهيبة ذاتية للشاهدة (٢) .

وقال : إذا بسطك الحق أوباسطك فقد استدرجك (٣) ، فلا تأمن مكر الله فى موطن التكليف ، وليس إلا الحياة الدنيا .

---

(١) تنبع شجاعة السالكين من داخل نفوسهم ، وتبدأ من مراحل السلوك . فنازلة المقامات تحتاج إلى شجاعة خارقة ، فحينما يستشرف السالك على المقام فى حال « الاستجماع » يشعر برهبة شديدة ، ويتراجع . فإذا ما حاول أن يهاجم المقام وطرح المخاوف اكتنفه رعب هائل من جميع جهاته يشبه الرعب الحاصل من الإقامة فى غار سحيق فى جبل موحش فى المناطق الاستوائية حيث الرعود والسيول والصمت . فإذا تم للسالك الدخول فى المقام أشرق النور فى كيانه ، وتمكن فيه .

(٢) مقام المشاهدة مقام بهت وصمت وهيبة ، وخشعت الأصوات للرحمن ، فإذا كان هذا فى حضرة الرحمة ففى حضرة القيومية « وعنت الوجوه للحى القيوم » . أما حضرة التجلى الكلى فإنها تدقل الكيان كله « لمن الملك اليوم » . لا مجيب يستطيع النطق . فيجيب الحق نفسه « لله الواحد القهار » .

(٣) البسط استدراج لأنه يجر إلى الإدلال ، أو إلى الرضى عن العمل ، وهو مدخل واسع للشيطان يدفع إلى العلو والعلو مشرب شيطانى بلا شك . ولذلك أرشد المتأخرون إلى وجوب الانقباض عند تجلى البسط وبالعكس .

وقال : من الأدب الإلهى الذى أنعم به على الأدباء من أهل الله ألا يطلب من الحق إلا على قدر الطالب ، لا على قدر المطلوب منه .

وقال : إذا علمت أنه لابد من نفوذ حكمه فيك لعلمه بك ، فاجهد فى الطلب ، لجواز أن يكون حصول ذلك مشروطاً به . إذا لم تكن على بينة وبصيرة من ربك .

وقال المحجوب : « فرع الحق من المقادير » . وهذا قول صحيح عند الأنبياء عليهم السلام وأهل الطوالع بلا شك . وهو قول البطال أيضا ، وقول غير البطال من المجتهدين فى العبادات . لجاءت الحيرة بما فيها .

وقال : الاستدارج فى المعراج الروحانى المعنوى . إلا إن أطلعك الحق على التحول فى الصور فى كل روح مما تأمن به ، فتعلم عند ذلك أنك ما أحطت « ولا يحيطون به علما » . « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا » .

ومنهم رضى الله عنهم :

* * *

عبد الله بن عيسى بن عبد الرافع

قال : الدرجات مقامات عباده عنده ، فعباد الله أهل الرفعة ، لأنهم عباده ، وقدر العبد قدر سيده ، وهو عز وجل « رفيع الدرجات » .

وقال : « وما قدروا الله حق قدره » . فمن كان عبده وعنده لايقدر قدره .

وقال : الدرجات الإحاطة ، لأنها لذى العرش ، والعرش له الإحاطة ، والمستوى عليه الاسم « الرحمن » فرحمته وسعت كل شىء ، يقول الملائكة : « ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما » . وهى — أعنى الرحمة — بين وجوب وامتنان .

وقال : العرش : الملك والمنازل . والدرجات : مناصب فى الملك . أعلاها منصب النيابة العامة إلى ما دون ذلك ، وأدناها نيابة الإنسان على جوارحه وما بين ذلك .

وقال ثالثاً : « ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات ليتخذ بعضكم بعضا سخريا » . فتسخير بالأمر وهو تسخير الأعلى من هو دونه ، وتسخير بالحال وهو تسخير الرعايا مليكها فى الذب عنهم ، وتسخير بالدعاء والسؤال والتضرع ، وهو تسخير العبد سيده ، وصفة الأمر واحدة .

السيد يأمر عبده « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » . والعبد يأمر سيده « أعف عنا » « إغفر لنا » « إرحمنا » « أنصرنا » « لاتؤاخذنا » « لا تحملنا مالاطاقة لنا به » . وتسخيرات الوجود كثيرة مفردة ومشتركة اتى بها القرآن العزيز .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن يحيى بن عبد الخافض

قال : الخافض قد يخفضك ليرفعك ، وما كل خفض يتضمن رفعه إلا الخفض المشروع .

وقال : إخفض لأبويك جناح الذل من الرحمة ، والدليل مازال مخفوضا ، ولذلك قال : « من الرحمة » ليعلمك أى خفض ذلك عليه .

وقال : « ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها » . والأخذ بالنواصى إذلال بالمأخوذ ، والأخذ بالأقدام مثله ، ومن أخذ الحق بناصيته فهو بحيث يد ربه ، ويد ربه لها العلو ، فالأذلاء هم الأعلون ، إذا شاهدوا الآخذ ، فما من دابة إلا ولها حظ وافر فى الرفعة الإلهية .

وقال : من تواضع لله من أهل الله فقد شهد لنفسه أنه شاهد لله ، والله يرفعه من أجلهم .

وقال : الميزان الإلهى بيد الحق ، يخفض به قوما ويرفع به آخرين . ولاتزنهم إلا أعمالهم . فمن رجحت وثقلت كفة عمله ارتفع إلى عليين ، ومن خفت كفة عمله ارتفعت [هى] ونزل هو أسفل سافلين .

وقال : الميزان العقلى إذا كان بيد الحق أصاب ، وما أخطأ من يزن به. وإذا كان بيد العقل قد يصيب وقد يخطىء . وإذا كان بيد الطبيعة عند المؤمن فيصيب وما يخطىء ، وإذا كان بيد غير المؤمن كان خطؤه أكثر من إصابته .

وقال : لسان الميزان أنت . فى وقت ترجح بالتافه ، وتخف بزواله ، فمن خف ميزانه به ربح إذا كان هو يزن أعماله فى الكفة الأخرى .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن شيث بن عبد المعز

قال المعز من أعزك بذاته إذا كان عزيزا ، فإن لم يكن [فى] مقام العزة أورثك الذل استنادك إليه .

وقال : المكر السيىء لايحيق إلا بأهله ، فإن الماكر من أهله حاق به .

وقال : للمكر خزائن فى السموات ، ولابد لمن خرج عن أصله أن يرجع إليه ، فلا بد لمن حاق به المكر أن يرجع إلى السماء ، ومن فتحت له أبواب السماء دخل الجنة .

وقال الله قد أبان : أن من عز هان ، ولو كان فى العيان .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن عبد الحكم

قال : الرضا بالقضاء واجب على كل مؤمن ، والرضا بالقضاء واجب عقلا على كل عاقل إذا كان صاحب كشف .

وقال : من علم ما لا بد من وقوعه فلا يتلقاه إن كان صاحب مقام وعلم إلا بنفسه ، وإن كان صاحب حال فيتلقاه بربه ، فيكون ناقص العلم ، ومن نقص علمه نقص أدبه .

وقال : الإنصاف صفة أهل العدل فى حقهم وحق غيرهم .

وقال : من نظر إلى الأسماء بنفسه كان عالما ومن نظر إلى الأسماء بربه كان حاكما ، ومقت بعضها .

وقال : معرفة الأوقات دليل على الكمال .

وقال : الشهود حجاب ، والحجاب عين الكشف فى حق المحجوب ، لأنك لا تعرفه حجابا إلا أن تعرف أن ثم محجوبا .

وقال : الأسماء حجاب المسمى ، لأنها تؤثر فى الأحدية ، لاختلاف حقائق الأسماء .

وقال : الأسماء إن كانت من عالم تركيب الكلمات تكثرت ، واستعيذ بها منها ، وإذا لم تكن مركبة من عالم [الكلمات] كانت العين واحدة .

وقال : الأسماء المترادفة واحدة وإن اختلفت المعانى . والمتباينة أعيان كثيرة ، والمتواطئة قريبة من المتباينة ، ولها نسبة فى كل واحد بغيرها ، والأسماء المشتركة أعيان كثيرة فى عين واحدة ، والأسماء المشتبهة تطلب الصفة .

إنى رأيت أمورا فى المنام وما ... فيها تنازعنا إلا تفكرنا
فإن كفرت فإن الكفر ليس لنا ... وإن شكرت فإن الشكر يشكرنا
فما ذكرتكم إلا نسيتكم ... وإن تذكرت فالمعنى يذكرنا
النوم موت ولكن لست أعرفه ... فإن شعرت به فالحق يشعرنا
فإن جهلت الذى أبدى فإن لنا ... ربا كريما بما فى الحال يخبرنا
تالله ما ملكت نفسى ولا بدنى ... ولو ملكت سواه كان يملكنا

بما لنا فيه من فكر وتبصرة ولو تأخرت عنه كان يهلكنا
الله أكبر لا أبغى به بدلا وكيف أبغى وعين الشأن أنفسنا
حبست نفسى عليه إنه سندى وإنه بوجودى عنه يحبسنا
لو لم يكن لم أكن لو لم أكن مابدا
كون بما عندنا منه يعرفنا
فنحن نعرفه وقتا ونجهله فى كل حال لنا والحق يعرفنا
هو الرداء لنا إن كان يسترنا عن المكاره فالرحمن يلحقنا
به كما بوجود الحق يلحقه ومن عنايته بالكون يتحفنا
إذا نظرت بعين الحق فيه ترى به يجمعنا فيه ويفرقنا
فإن تبدت إلينا صورة فبنا نرى الذى قد بدامنا ويلحقنا
أقول قولى وإن القول أصدقه ما كان عنه فإن الخلق يكذبنا
إن الهوى هو عينى وهو معتقدى وليس غيرى سواه إذ يقوم بنا

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن خليل بن عبد الخبير

قال : الخبرة علم فاضل عن ذوق وهو الحق « ولنبلونكم حتى نعلم » . فمن هذا الاسم الخبير اختلفت الأحوال ، فاختلفت التعلقات .

وقال : الإدراك عن التجلى الأول ذوق ، و[كذا] عن التجلى الثانى . فما زاد فهو شرب . وعند المحقق الكل ذوق . . لأنه ما ثم تجل يتكرر . . بل الأولية تصحب كل تجل .

وقال : أهل البلاء يتوجه عليهم الاسم الخبير لا غيره .

وقال : ما تجلى الله لشىء فاحتجب عنه بعد ذلك (١)

---

(١) وإنما يحجب الإنسان عن شهود تجليات ربه من كدر المخالفات الذى سماه القرآن الكريم « الران » .

وقال : لله من اسمه الخبير أسرار بعدد أعداد الحروف عند العموم ، وذلك أحد وثلاثون سرا من أسرار الإلهية والمعارف .

وقال : الابتلاء يوزن بجهل . . ولا جهل . . فيكون إذن لقيام الحجة على المدعي . . فما هو ابتلاء . . وإنما هو في الحقيقة بروز سر القدر سموه ابتلاء .

وقال : « يسألونك كأنك حفي عنها » . . أي : خبير . . وذلك لما كان سؤال ابتلاء منهم . . ليروا مكانتهم من العلم .

ومنهم رضي الله عنهم :

عبد الله بن شالح بن عبد الحفيظ

قال : الحفيظ من حفظ نفسه وغيره . . كالخمسة من الأعداد ، تحفظ نفسها ، وتحفظ العشرين .

وقال : الحفيظ من حفظ الله به خلقه . . فالأسباب حفظة . . وما ثم إلا حافظ . . فما ثم إلا سبب (١) .

وقال : إذا غضب الحق لغضب خلقه المتحقق به فما يغضبه إلا اسمه الحفيظ .

وقال : الحفيظة : الغضب . . فمن أحفظك فقد أغضبك .

---

(١) ما ثم إلا سبب في عالم الفرق وما ثم إلا حافظ في عالم الغيب والجمع . . فالأسباب قائمة .. والحافظ قائم . . والحفيظ - كما مر - يحفظ نفسه وغيره فهو القائم على الأسباب . . والأسباب به لا بنفسها . . لأنه تعالى يبطل فعل السبب أحيانا . . كما أبطل فعل النار في الخليل . . وأبطل فعل السبب عند المصابين بالعقم . وهكذا .

وقال : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . . من الزيادة والنقص . فلا تبديل ولا تغيير . . قرآن مجيد محمدى (١) .

وقال : فى أهل الكتاب : « بما استحفظوا عليه » . . فوكلوا لحفظه .. فبدلوا وغيروا . . فإن كنت قرآنا كنت محفوظا بحفظ الله . . وإن كنت توراة أو إنجيلا ، أو غير قرآن من الكتب المنزلة ، وكلت إلى حفظ المخلوق . . وضعت وتلفت .

وقال : من حفظ قلبه من أن يكون بيتا لغير الله . . تولى الله حفظه من كل ما يشغله عن الله . . عناية به من الله . . وجزاء لعمله .

وقال : من حافظ على أداء العبادات ذاق طعم العبودية . . ومن لم يحافظ عليها لحق بالأخسرين أعمالا .

وقال : لايشغلنك عن حفظ ما كلفت بحفظه شاغل . . فإن أنت فعلت حفظك الله بما حفظ به الذكر .

وقال : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » .

وقال : « والذين هم لفروجهم حافظون » . فالحفظ : العلم . من حفظ الله به على علم منه . . .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن زيد بن عبد المقيت

قال : الله يقدر الليل والنهار . . فمن قدر الأوقات قدر الأقوات .

---

(١) هذه النسبة حقيقة من جهة الحفظ لا من جهة التنزيل . . لأن حفظ القرآن من التبديل امتد من الحافظ جل جلاله إلى سبب الحفظ ، وهو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال : من نظر فى المقادير علم المقادر .

وقال : من ضيق ضيق عليه . . ومن وسع وسع عليه .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لاتوكى فيوكى عليك » .

وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنفق بلال ولا تخف من ذى العرش إقلالا » .

وقال : من تدبر الفاتحة علم أنها الفاضحة . . فإنها ناصحة . . تجمع بين الثناء والتفويض . . والتشريف والتحميد . . والدعاء المستجاب .

وقال : اسأل العون من الله . . مادام الكون ينظر إليك .

وقال : عليك بالعبادة والشكر . . فإن الشكر يمنحك الله به الزيادة من النعم . . . « لئن شكرتم لأزيدنكم » .

وقال : العبادة تورثك العز الذى لا يرام .

وقال : الهداية إلهية . . والمعرفة ربانية . . والطريق إلى الله فى غاية الاستقامة . . والتحريف استقامة .

وقال : إستقامة القوس تعويجه .

وقال : الاقتداء بمن أنعم الله عليه هو المطلوب .

وقال : كل من ضل ذل . . وإذا حار اهتدى . . فإن الحيرة توجب له السؤال . . ومن سأل أرشد . . ومن سلك ما أرشد إليه فقد اهتدى . . وهو صاحب الصراط السوى إلى المقام العالى . . وهو الولى الحميد .

وقال : حروف المعجم مبهمة . . والقصد الإفصاح والإفهام . . فمن أعجم فقدأفهم . . . « لتبين للناس ما نزل إليهم » . قال صلى الله عليه وسلم . . « إنما أنزل القرآن بلسانى . « لسان عربى مبين » . . . « إن الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا » . . ومن ألحد فقد أخلد . .

[أى] : لصق بالأرض . . . « فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » .

وقال : الإشارة أفصح من العبارة، فإن العبارة تفتقر إلى علم الإصطلاح.. وليست الإشارة كذلك .

وقال : « إنى » ضمير المتكلم . . و « أنت » ضمير المخاطب . . وإنه لمن غاب . . فلفظة « إنى » للإتحاد . . و « إنك » للحضور والمشاهدة . . فافرد ، فإنه الفرد . . وإنه عنيت محق ، ولا يلحظ .

وقال : كل من أراد أن يكون [الله] له فله سعيه . . وإنما أنت لمن يريدك . . فإذا هديت إليه أرادك عن كشف .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن إسحاق بن عبد الحسيب

قال : المعطى يكافأ ، وإن كان مكتفيا ، وأعطى الفضل مما عنده . . والمبتلى يعانى ، لننظر هل يشكر أم يكفر . . فإن شكر زيد فيما شكر بسببه . . « ولئن شكرتم لأزيدنكم » .

وإن كفر زاده الله مرضا إلى مرضه . . « فإذا أنزلت سورة » . ونزولها اليوم تصورها فى القلب . . وتلاوتها باللسان . . فأما المؤمن فإذا سمع التالى يتلوها تزيده إيمانا بما نزلت فيه إلى إيمانه . . وتكون له تجديدا بشريا .

وأما المريض القلب ، وهو الذى يشك فيها ، هل هى من عند الله ، أو ليست من عند الله ، فإذا سمع التالى يتلوها تزيده مرضا إلى مرضه . . ورجسا إلى رجسه إلى أن يموت أو يتوب ، فيتوب الله عليه .

وقال : « كفى بالله حسيبا » . . وكفى الحسيب رقيبا . . وكفى الرقيب حفيظا .. وكفى الحفيظ شهيدا .. وكفى الشهيد خبيرا .. وكفى بالخبير عليما .

وقال : لايتكرر الحساب من التكريم . . فمن حاسب نفسه فى الدنيا لم يحاسب فى الآخرة .

وقال : من كرمه عز وجل أن جعلك تحاسب نفسك فى الدنيا . . ما كلف أحداً بحسابك . . فعجل لك ماأخره فى حق غيرك . . من قوله « كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً » . . .

وقال : السعيد من إذا صلى العشاء الآخرة جعل صحيفة أعماله فى ذلك اليوم بين يديه ، ونظر فيها . . فإذا رآى ما يطلب الشكر شكر . . وما يطلب الاستغفار استغفر . . وما يطلب التوبة تاب . . إلى أن يفرغ .

ثم يطوى صحيفته وينام على شكر واستغفار وتوبة . . يفعل هذا كل ليلة . . فإنه لايدرى متى يفجؤه الموت .

هكذا كان فعل شيخنا أبى عبد الله بن المجاهد بإشبيلية .

وجلس مجلس تدريسه ، شيخنا أيضا « أبو عبد الله بن قسوم » ونعم ابن قسوم . زاد على شيخه فى الاجتهاد وأربى ، والتزم هذه الطريقة ، أعنى محاسبة نفسه فى كل ليلة ، وكنت كثيراً ما أغشاه ، ويوصينى فى دينى رحمه الله .

وعلى هذه الطريقة أيضاً رأيت « أبا عمران موسى بن عمران الميارتلى[1] » من أكابر أصحاب الشيخ « أبى عبد الله بن المجاهد » المذكور وكان لديه أدب كثير وطلب . ومما أنشدنى لنفسه من أبيات له خرجت من خاطرى . فى هذا الوقت ، وهى لزومية كتبها لى بخط يده ، رضى الله عنه .

---

(١) توفى عام ٦٠٤ هـ . وكان ملازما لمسجده فى إشبيلية منقطعا عن الناس ، لا يلتفت إلى الملوك حين يزورونه ، وعنه تلقى ابن عربى طريقة تلقى الإلهامات ، وسماه سيد وقته .

فأنت ابن عمران موسى المسى ... ولست ابن عمران موسى الكليما

وكنت يوما بمسجد الرضى باشبيلية . ويعرف ذلك المسجد أهل البلد بالكنيسة المرجومة . فالتزمت هذه الطريقة ، ورأيت لها بركة ، أعنى محاسبة النفس .

وقال : الحساب عذاب حاضر ، فإن حاسبت أحد فى الدنيا على شىء فلا تناقشه ، وتجاوز . فبذلك يجازيك الحق ، فإن عملك يرد عليك . فإن الله لا يجمع له أمنين . فن خافه فى الدنيا ، آمنه فى الآخرة ، ومن آمنه فى الدنيا خافه فى الآخرة ، بذا ورد الخبر النبوى . فما تريد أن يفعل معك من أمرك ونهاك ، فافعله مع خدمك وإلزامك ممن لك حكم عليهم ، « وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » .

وإن حاسبت - ولا بد - فلا تناقش وتحاقق . لأن حضرة جود الله لا تحتمل المناقشة ، فلا تناقش ولا تحاقق ، وافعل كما يفعل الكريم .

للخير يقظان ذو انتباه ... عن شره غافل نؤوم

وقال : من مقت ، عباد الله ، مقته الله .

وقال : يقول الله يوم القيامة للمشركين : « هذا خلق الله ، فأرونى ماذا خلق الذين من دونه » . وفى هذا رائحة دلالة على أن خلق أعمال العباد لله تعالى ، وهو صحيح .

وقال : إن الله يوم القيامة يتجلى فى اسم الحكم العدل ، فيتولى الأمور بنفسه ، فلا تخف إلا من جورك أن يعود عليك ، فإنه عز وجل سريع الحساب .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن كامل بن عبد الجليل

قال : لا يعرف قدر الجليل إلا الجليل . ولا يحجب بكونه من الأضداد .

وقال : شرف الإنسان فى عبوديته لله تعالى ، فإنه لما قام عبد الله ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم . فلا تحقر (١)

وقال : «الله خالق كل شيء» فكل شيء عظم . فإنه ما احتقره إذ خلقه .

وقال : الأديب يأكل مما يليه ، إذا كان الطعام لونا واحدا ، وإذا اختلفت الأطعمة جالت يده فى المائدة ، حيث شاء . فإذا وقع بما يشتهيه من الأطعمة ، فهو أنفس طعام عنده ، واعتكافه عليه ، وأحبه إليه . أحسن الأطعمة ما يوافق كل مزاج ، فأكمل الشرائع شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، لعمومها .

وقال : كل الصيد فى جوف الفرا .

وقال : من عظمت أفعاله عند الله وجلت ، غمضت (٢) أسراره ، وعمت أنواره وكلمته ودعوته ، ذلك الجليل الذى لا يقدر قدره .

وقال : وما قدروا الله حق قدره ، بجلالته فى نفسه . وإنما كان الجليل من الأضداد حتى يعم الصغير والكبير ، والعظيم والحقير . فتعم رحمته ، فإنه الرحيم الغفور ، ذو الفضل العظيم .

ومنهم رضى الله عنهم :

---

(١) كل عمل عظيم فى القرآن مسند إلى عبودية الرسول صلى الله عليه وسلم . «سبحان الذى أسرى بعبده» .

(٢) فى الأصل : وغمضت .

عبد الله بن شاكر بن عبد الرحيم

قال : المراقبة تفيد العلم بالمراقب بدقائق الأمور ، وما يخطر فى النفوس والهواجس . وإذا شكر الله عليها ، وقعت الزيادة من الحق ، فيما فيه سعادته ، وأنه ما شكر إلا من كونه علم ما جهله غيره ، ويفتح الله عين بصيرته ، ويزيده علما بنفسه فيزداد علما بربه .

وقال : الرقيب من راقب أنفاسه ، فإذا خرج النفس من القلب إنما يخرج بصورة ما فى القلب من الحديث والخاطر ، فاحفظ قلبك من كل خاطر [لا] يرضاه الله منك ، فإن الخواطر عند أهل المراقبة كالأفعال التى تجرى على أيدى العباد فى الظاهر ، وهم عنها يسألون ، ومن دقق دقق عليه ، مع أن الحق تعالى هو الذى يخطره لك ، فإنه الخالق له فى قلبك ، ولكن يسألك عنه ، ولا يحاسبك على الخاطر الأول أبدا ، وإنما الخاطر الثانى ، فما زاد الآتى [وهو] من صورته عنه يقع السؤال .

وقال : الدنيا أم رقوب .

وقال : الرقيب ملازم باب القلب ، بل هو بوابه (١) ، واللسان ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد .

وقال : على القلب ملك رقيب ، وشيطان رقيب . والله على كل شىء رقيب . . فالرقيب الشيطانى ، ينظر أوقات الغفلة من العبد ، والرقيب الملكى يلتمس الحضور من العبد مع الله .. فإن نسى ذكره ، وإن عمل أعانه . وإن جهل علمه ، وإن غفل ألهمه ، وإن اتقاه فى كل ذلك أكرمه ، والله تعالى عليهما رقيب ، ينظر ما يصنعان مع عبده . والعبد متردد بين اللمتين ، لمة الملك ، ولمة الشيطان ، يفعل الخير ما يفعله ، ويفعل الشر ما يفعله . فالشيطان يطلب بلمته أن يحول بين العبد وسعادته ، والملك يطلب بلمته أن يحول بين العبد

---

(١) فى الأصل : توابه

وشقاوته . وهو لما قبل ، والفعل يصدق ذلك أو يكذبه . والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن اليسع بن عبد المجيب

قال : « أمن يجيب المضطر إذا دعاه » . وما خص دنيا من دين . وإنما كانت الإجابة لحال اضطراره . . ولا تغتر بعد هذا الذى نبهتك عليه .

وقال : نظر الحق إلى الأحوال ، ماهو نظر إلى الأقوال والأفعال .

وقال : العبد الحقيقى الواقف مع عبوديته لايتصور منه إباية فيما يدعوه إليه سيده . وعبوديتنا لله حقيقة لايصح فيها حرية ، ولا يزيلها عتق ، فإنه لاعتق فيها بوجه من الوجوه .

وقال : العبد المشترك ، ينعتق منه ماملكه الكون ، ولا ينعتق منه ماملكه الحق ، بل يرجع منه ماملكه الكون إليه بحكم الميراث إذا مات سيده « إنا نحن نرث الأرض ومن عليها » لجاء بمن ، ومن تقع على من يعقل ، « وإلينا يرجعون » ، فالعبد وما يملكه لسيده ، وولاؤه له ، فإن العبودية صحيحة .

وقال : من أجاب دعوة الحق إذا دعاه بلسان الشرع ـ ولا يدعوه إلا به ـ أجابه الحق فيما دعاه فيه . . فقال لعباده « استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم » فإنه سبحانه مايدعوكم هو ورسوله إلا لما يحييكم .

وقال : قد علمتم ، وتقرر فى عقدكم . . أن بيده عز وجل ملكوت كل شىء ، وأن له الحكم فى كل شىء .

وقال : إليه يرجع الأمر كله فاعبده ياهذا السامع ، وتوكل على الله فيما دعاك إليه ، فإنه ليس بغافل عن أعمال عباده .

وقال : من أجاب إذا دعى بحجاب إذا دعا ، يجيبه ربه إذا دعاه ، فإنه أجابه حين دعاه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

ومنهم رضى الله عنهم :

• • •

عبد الله بن أيوب بن عبد الباعث

من كان فى المجلى لما ينجلى   يكون فى الفعل لمن ينفعل
وأنه الفاعل سبحانه   والكون عن قدرته منفعل
ويستقل الحق فى فعله   والعبد بالفعل فما يستقل
من يكن النقصان من ذاته   كماله فى ذاته مستحيل

قال : الراحة كل الراحة إذا بعثت أحدا فى حاجة . فلا تنتظر وصوله إليك بها ولو غاب سنة ، وإذا جاءك فلا تقل له ما الذى أبطأ بك ؟ فإن جاء إليك بحاجتك , فما أبطأ بها إلا وقتها ، لا من بعثته ، وإن لم يجىء إليك بها فاعلم أن وقتها ما حان ، تكن مستريحا من تعب الانتظار .

وقال : الأشياء مرهونة بأوقاتها ، فلا تلم من سألته ، ولا تلم الوقت ، فإن الأوقات تتشابه ، فإنك إن لمته لمت عين الوقت المعلوم لقضاء الحاجة وحصولها ، واتصفت فى ذلك بعدم الإنصاف . فاحذر من اللوم، فانه ليس من مذهب أهل الله . وإن غلب عليك الضجر ، فاعلم أنك بشر ، فإن هذا العلم هو الدواء النافع ، وعليه دل الله ورسوله ، صلى الله عليه وسلم فقال له « إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى » فما زاد على أمثاله إلا بالوحى الذى فيه أنه نبى فاعلم ذلك .

وقال : إياك والحنث ، فإنه مهلكة ، فإن الله نهى عنه نبيه لما أقسم أن يضرب أهله فقال له « وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث » ومعلوم أنه ما أراد الضرب المؤلم ، ولكن وقع ابرار القسم بما ذكر .

ومنهم رضى الله عنهم :

* * *

عبد الله بن عيسى بن عبد الوارث

قال : أقرب الناس إليك من ورثك (١) ، فأقرب الناس إليك أهل دينك وملتك وكذا من ترثه .

وقال : قال الله « إنا نحن نرث الأرض ومن عليها » وهو قوله فى القرب « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » .

وقال : « إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة » وهى الآخرة « للمتقين » .

وقال : التقوى بنسب الله .

وقال : « عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » فاعلم .

وقال : العالم وارث النبى ، أى نبى شاء الله ، ولا ميراث هنا إلا بالعلم ، فهو محصل عله بالله ، إلا بما شرعه ذلك النبى لعباد الله من أمته .

وقال : عيسى بن مريم ، لا ابن فلان ، إلا أن جبريل ، وهو الروح الأمين تمثل لها بشرا سويا ، فوهبه لها بنفخة غلاما زكيا ، فزكاه الله ، وصحت المناسبة بالتمثل .

وقال : لكل إنسان من اسمه نصيب ، فتسموا بأسماء الأنبياء ، عليهم السلام فالتسمية بأسمائهم أعظم بعد العبودية ، فى التمام والكمال .

وقال : أحب الأسماء إلى الله . عبد الله وعبد الرحمن . وأصدقها . الحارث ، (٢) والهمام ، وأبغضها « شاهنشاه .

---

(١) فى الأصل : من يرثك .

(٢) فى الأصل : الحرث . والعرف يقتضى ما أثبتناه .

وقال : « سفيان بن عيينة » : يريد ملك الملوك ، وما ملك الملوك إلا الله ، فلا يحتمل المزاحمة اللفظية ، فإن المزاحمة المعنوية لا تصح .

ومنهم رضي الله عنهم :

عبد الله بن إلياس بن عبد الشهيد

قال : إن ركبت شهوتك فقد ملكتها بركوبك إياها ، فإنك قادر على كبحها(١) بلجام التقوى .

وقال : لا تكن حركتك إلا عن إرادة ، لا عن شهوة . فإن الشهوة حظ الأنفس ، فكن فى الدنيا (٢) صاحب إرادة (٣) ،وفى الآخرة صاحب شهوة . تكن سعيدا فى الدارين .

وقال : الشهوات شبهات ، فاجتنبها فى دار التكليف .

وقال : ركوب النار هناك . هناك .

وقال : من ركبته حكمته ، ومن ركبك حكمك .

وقال : كن حاكما ولا تكن محكوما عليك إذا كان الحاكم النفس ، فإن كان الحاكم الشرع ، فكن له محكوما هنا ، تكن فى الآخرة حاكما .

وقال : لا تذر أحدا يدعوك. انظر إلى ما يصلح بالحضرة ، وما تعطيه الحال ، فأته .

---

(١) فى الأصل : ركجها . وهو تحريف ظاهر .

(٢) فى الأصل : فكر فى الدنيا . وهو تحريف ظاهر .

(٣) المقصود بالإرادة توجيه الحركة نحو الله تعالى ، ورجاء الثواب منه لا من غيره ، وتشمل الحركة جميع الحركات العبادية المفروضة والمسنونة ، والحركات العادية كالمشي والأكل واللباس .

وقال : لا تحوج الداعى أن يدعوك إليه مطلقا ، فإن دعاك مقيدا ، فهو الدعاء الذى يسمعك عند الله ، فأجبه .

وقال : الحق ما يدعوك إلا بلسان شرع نبيك فى هذا الزمان ، وهو شرع محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن دعاك بلسان غيره من الأنبياء عليهم السلام ، فانظر فيما دعاك به إليه ، فإن كان فى الشرع المحمدى فهو دعاء امتثال وعناية ، وإن لم يكن فى الشرع المحمدى فهو دعاء ابتلاء . فاحفظ وميز .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن أحمد بن عبد الحق

قال :

لله قوم لهم فى كونهم قدم ... وما له فى صفات الخلق من قدم
الاشتراك بألفاظ أتاك بها ... وعند تعيينه جوامع الكلم
سبحانه وتعالى أن يحاط به ... علما فتضبطه الألباب بالهمم
إنى أمرمن عباد الله مصطنع ... له وإنى أهل الجود والكرم
وليس يعرفنى جن ولا بشر ... ولا ملائكة الرحمن فى القدم
وكيف يعرف من بالعلم غيبنى ... وهو الحكيم الذى يأتيك بالحكم
وكيف تجهله والعين تشهدنى ... هيهات هيهات . إن الأمر فى بهم
فالجهل عند ذوى الأفهام معرفة ... والعلم عند أولى الألباب فى علم
. . . . يكون عبدا تراه غير محتكم
إن قام قام به إن قال قال به ... تلقاه إذ يتلقى غير محتشم
لله فى كل عبد سر معرفة ... به منزهه لله محترم
. . . . ما نال عبد له تحلة القسم
حتما عليه قضاه الله سيدنا ... على عبيد بحبل الله معتصم
فكيف حال عبيد ماله سند ... فى ذلك اليوم غير الشرك والصنم

. . . . جاءت على الرأس تمشى لا على القدم
لكنها جهلت أمرا راد بها فالحمد لله ذى الآلاء والنعم
إنى قد اصبحت فى بيضاء واضحة صباح عبد يمين الله مستلم
. . . . يمضى الأمور بعزم غير مهتضم

قال : من كان مؤمنا فهو منصور من الله بلا شك على عدو الله وعدوه ، وهو إبليس ، فإنه العدو المحقق بإخبار الله ، وكان حقا علينا نصر المؤمنين فأوجبه على نفسه .

وقال : من التزم الحق فى جميع حركاته وسكناته فقد عرض نفسه للبلاء فى الدنيا ، والعافية فى الآخرة .

وقال : الزم الحق ، فإنه يدفع الباطل [و] لو بعد حين .

وقال : أعط الحق نفسك ، وسامح غيرك فى حق نفسك ، لا فى حق الله ، ولكن لابد لك من فارق بين الحقين ، واستفت قلبك ، وإن أفتاك المفتون .

وقال : احذر من حذاذات القلوب ، وما تحرك فى الصدور .

وقال : قل الحق . ولو كان عليك . فبما أمرت أن تقول ، وإن أمرت بستر الحق عندنا ، إلا لتبلغ ما شرع الله لنا أن نبلغه .

وقال : اتبع الأحمد والأولى من الأفعال ، تأمن عواقب الأمور المهلكة .

وقال : حمد الحمد ، أتم المحامد ، وهو سر الله (١) . وذلك أن تكون

---

(١) قال أمير المؤمنين سيدنا على كرم الله وجهه فى افتتاح إحدى خطبه : « الحمد لله الذى جعل الحمد من غير حاجة منه إلى حامدية ، طريقا من طرق الاعتراف بربوبيته ، وسببا إلى المزيد من رحمته ، ومحجة للطالب من فضله » (مستدرك نهج البلاغة ص ٧٩ . طبع بيروت) .

الصفة المحمودة ، صفته من جملة صفاته .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن محمد بن عبد الوكيل

قال : المقام المحمود ، الحاصل بالورث لمن حمدت أفعاله وأقواله وأحواله . فدخل مدخل صدق ، وخرج مخرج صدق وجعل الله له حجة على من ناظره ، ونصره على من عاداه ، وذلك الرسول ، صلى الله عليه وسلم بالقطع ، ومن كان من أمته بغلبة الظن .

وقال : إن أردت أن تسلك إلى الله سبيلا ، فلا تتخذ غيره وكيلا وإن اتخذته ابتداء كنت سعيداً . وإن اتخذته تعالى عن أمره ، أديت واجبا . فجازاك جزاء من أدى الواجب ، وهو أعظم الجزاء .

وقال : أداء الواجبات ، عبودية محضة . ونوافل الخيرات ، فيها روائح المنن .

وقال : إن كنت كفيلا ، كنت رئيسا . وإن كنت وكيلا - اسم مفعول - كنت مرءوسا تحت أمرين ، وإن كنت وكيلا - اسم فاعل - كان الحق نائبك ، فأصبت خيرا عظيما ، فإن الله له الحجة البالغة . واجعل توكيلك إياه تعالى أمره ، فإنه أعلم بمصالحك منك بها .

وقال : إن الله جعلك مستخلفا عنه فيما هو لك ، وأمرك بالإنفاق منه ، مع كونه تعالى غير محتاج إليه ، فاصرفه فى الأمثال من جنسك .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن المتوكل بن عبد المتين

قال : اذا لم يكن فى الوجود إلا الله ، فمن يتوكل ؟ فالمتانة القوة فى الاعتماد على الله ، ولهذا قال « ذو القوة المتين » .

وقال : ما جاءت المتانة إلا فى الرزق ، لتصح (١) الثقة من العبد بالرزاق .

وقال : لا تحجب بالسعى والكد على العائلة ، وتجعلهم حجة ضعف يقينك . إن كنت تقول الحق فأطعم ممن تخدم من أجله ، أولا تطعم ، فإن طعمت فضحت نفسك ولم تصح (٢) دعواك إن أنصفت (٣) .

وقال : الحرفة حجاب على أعين الناظرين ، وعلى عين المحترف ، ولا يرفع ذلك الحجاب حتى يتناول من كدك شيئاً (٤)

وقال : لا تأكل ممن يعرف أنك معتمد على الله ، فإن معرفته بذلك من جملة الأسباب التى تجلب الرزق ، بقول بعضهم : لا أطعمه لله ، أى من أجله . فنفى الحق هذا فقال : « ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق » ، فجاء ببنية المبالغة ، ذو القوة المتين ، فلا تنفذ فيه سهام الدعاوى ، لمتانته وقوته .

وقال : الاعتماد على التوكل على الله تعالى سبب ، وترك الاعتماد على الله كفر ، ولابد أن يقام العبد فى أحدهما ، فانظر كيف تخلص (٥) ! ! ومنهم رضى الله عنهم .

---

(١) فى الأصل : ليصح .
(٢) فى الأصل : ولم يصح .
(٣) « نحن نرزقهم وإياكم » ، فإن طعمت من رزق العائلة ، لم تصح دعواك بأنك تجاهد فى سبيل رزقهم ، بل هم سبب رزقك ، لا مجاهدتك فى التحقيق .
(٤) أى من كدك فى سبيل المعرفة شيئا منها يوقفك على الحقيقة ، ويزيل الحجاب
(٥) التخلص من ذلك أن تقوم فيما أقامك الله فيه ، ولا تحاول أن تحول نفسك من سبب إلى سبب بنفسك ، وأن تلاحظ أن السبب قائم بالله ، وليس فاعلا بذاته ، فتجمع بذلك بين السبب والتوكل .

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الولى

قال : « إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده » .

وقال : هذه بعدية الأحوال ، لا بعدية المسافات .

وقال : من نصره الناصر ، فهو منصور « تلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه » .

وقال : « فلله الحجة البالغة » ولكن قل من يعرف من عباد الله أنها بالغة إلا من عرف أن العلم تابع للمعلوم . وأن العلم لا أثر له فى المعلوم ، بل يعرف أن لا أثر للمعلوم فى العلم بقوله : « ولنبلونكم حتى نعلم » .

أولا : إن ذلك الجناب ، ما تتحرك ذرة إلا بإذنه ، « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم » .

وقال : لا يعلم ما قلناه ، إلا من فرق بين العلم وبين تعلقه ، فالتعلق يحدث فى العلم بحدوث المتعلق . فإن من علم زيداً قاعداً فى حال قيامه ، فما هو عالم . فإن علم أنه يقصد مستقبل حاله ، فذلك عالم . فافهم . ما حدث هنا إلا التعلق ، والماضى والمستقبل فى حق من يجرى عليه الأزمنة .

وقال : علم الاستدلال للأنبياء قبل أن تأتيهم النبوة من عند الله . . إبراهيم رأى كوكبا قال « هذا ربى ، فلما أفل » بذاته عن عينه « قال لا أحب الآفلين » ثم ارتقى فى النظر إلى القمر والشمس ، ورجع فقال « إنى برىء مما تشركون » فدقق النظر فى ذلك تعثر على العلم .

ومنهم رضى الله عنهم :

* * *

عبد الله بن إسماعيل بن عبد المحصى

قال : صدق الوعد ، حال الأنبياء والأكابر من عباد الله « واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا » .

وقال : الإحصاء تناه ، والأمر يتناهى منه إلا مادخل في الوجود ، وهو الوجود أبدا إلى غير نهاية .

وقال : الشيء قد يعبر به [عن] المعدوم الذي يمكن وجوده ، وعن الوجود الذي قد اتصف بالوجود ، وما خرج عن هذا الوصف فليس بشيء وقد ينتفي الشبيه عن المعدوم الذي يمكن وجوده ، « قد خلقك من قبل ولم تك شيئا » ، « إنما أمرنا لشيء إذا أردناه » ، « الله خالق كل شيء وهو بكل شيء عليم » ، وهو يعلم نفسه ، ويعلم العدم ، فالله يرزقنا وإياك الفهم عن الله

وقال : لايحصى عليه من ينفعه « أحصى كل شيء عددا » فما ثم إلا خيره « فأين تذهبون » .

وقال : الأمر مكافأة . أخرج بما عندك لمن عندك يخرج إليك بما عنده لك . وما عنده لك لا يتناهى (١) ، فخرج لك بما عنده على الدوام ، من إحدى الصفتين في الآخرة ، ومن الصفتين في الدنيا ، فإنه المبلي المعافي .

وقال : أنفاس العبد يحصيها الحق لك لا له ، مادام في عالم الأنفاس ، وينتهي الإحصاء فيها بانتهائها إن كانت متناهية .

وقال في الكتاب : « لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » وقال « وكل شيء أحصيناه في إمام مبين » والإحصاء حصر ، وكل محصور محدود ، مارأيت في القرآن آية نبهتني على ماهو الأمر عليه ، مثل قوله

---

(١) في الأصل : لا تباهي وهو تحريف .

« ولنبلونكم حتى نعلم » . فقوله تعالى « نعلم (١) » فيه الفائدة لمن تنبه ، وعلم بالأشياء ، أعنى المعلومات متعلق بما هو عليه المعلومات من وجود عدم .

وقال : « لا أحصى ثناء عليك » .

وقال : إن تناهت الأمهات وهى الأجناس ، فإن الأولاد غير متناهية وهى الأشخاص ، فإن الولادة دائمة .

وقال : أحوال الخلق فى الدنيا هم أولاد الليل والنهار ، فلابد من إحصائهم لتناهيهم . وأحوالهم فى الآخرة ، أولاد الزمان خاصة ، وما عندهم تناه .

ومنهم رضى الله عنهم :

* * *

عبدالله بن إبراهيم بن عبد المبدى

قال : بدأ الخلق باسمه الأول ، فكل مخلوق ينظر إليه ، فما لبقاء العالم انتهاء .

وقال : بدأنا منه ، فإليه نعود ، فإنه لابد من الرجوع إلى الأصل .

بدأ الخلق باسمه الأول　　فأنا فيه قلب حول

فانظروا فى الذى أتيت به　　فعليه مدارنا الأول

وعليه أهل النهى اعتمدوا　　وعليه عول من عولوا

وقال : إذا كانت الأصول لا تؤثر فى الأخلاق ، فما ظنك بالفروع ، وما أحسن ما قيل :

وماينفع الأصل من هاشم　　إذا كانت النفس من باهله

---

(١) فى الأصل : يعلم .

والأصل المزاج فطوبى لأهل المزاج المعتدل . فإن انحرف ولا بد ، فإلى عليين ، فإنه قال : « وإليه يرجع الأمر كله » . صفته العلو ، فإنه رفيع الدرجات .

قال : « وهو معكم أينما كنتم » . وما نحن إلا عنده وبعينه « تجرى بأعيننا » .

وقال : النفس منفوخة فهى نفس روح طاهر . مضاف إليه عز وجل فمن أين طرأت عليه العلة ؟ ماذاك الأمر إلا من المزاج ، وهو المعبر عنه بالاستعداد ، والقبول بحسب الاستعداد .

وقال : نور الشمس على صفة واحدة ، فيضرب الزجاج المتلون فينعكس ، فيظهر فيه من الألوان ما عليه الزجاج فى رأى العين . والنور فى عينه ماتغير . فافهم المثل ، فإنه قد جل ، وكذلك التحول فى الغمامة (١) يوم القيامة . والزجاج القلوب ، والألوان الاعتقادات ، والحق لايتغير ، ولكن هكذا (٢) تراه .

الأمر بدء وإليه نعود	وعلم ماجئنا به فى السجود
ثم إذا قمنا إلى حالة	أخرى فلابد لنا من قعود
يأيهاالناس انظروا فى الذى	أنبأتكم عنه فذاك الوجود
لو أنه يفضل عن خلقه	لم يكن الحق ونحن العبيد
لكنه الله الذى حكمه	ماض ويقضى عليه مايريد
وهو الذى دل دليل الحجا	عليه فى حال الفنا والشهود

ومنهم رضى الله عنهم :

---

(١) فى الأصل : فى العلامة . والسياق يقتضى ما أثبتناه .

(٢) فى الأصل : هذا تراه .

عبد الله بن سليم بن عبد المعيد

قال : «كما بدأكم تعودون» . يريد والله أعلم : على غير مثال .

وقال : «وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده» . فيما بدأه منه ، وقد علمنا أن نشأة الآخرة على غير نشأة الدنيا ، أعنى فى المزاج . فقد تكون الإعادة إعادة إلى خلقه «كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين» تنبيه إلهى «لقوم يعقلون» .

وقال : تعود الأرواح إلى تدبير أجسادها .

وقال : «إذا بعثر ما فى القبور» دليل على إعادة جواهر الأجسام على مزاج يريده الله :

وقال : ينزل الله مطرا من السماء مثل منى الرجال ، عند ما يريد الحق بروز الناس من قبورهم ، فينشئهم الله من ذلك الماء ، فتنبت من الأرض نباتا . فإذا ظهرت الأجساد من القبور ، تولتها الأرواح بالتدبير ، على قدر ما يعطيه مزاج تلك النشأة بعد أن كانت عزلت عنها ، وما عزلت بل الدار تهدمت ، والملك باق ببيعة صاحبه ، فإذا بنيت له رجع إليها يسكنها كما كان أول أمره ، فقوى أساسها وأحسن بناءها ، وحفظها من الخراب ، فهى دار باقية غير فانية .

وقال : الإعادة لما كانت بالتكرار قال من قال ما شاء ، ولا تكرار أصلا للاتساع الإلهى ، وقد وصف المخبر عن الله أن نشأة الآخرة لا تشبه نشأة الدنيا إلا فى الإسم ، وهكذا جميع أحوال الدار الآخرة .

وقال : ما هى عين ما مضى ، ويريد المزاج . وهى عين ما مضى ، وهى الجواهر . فإنها ما انعدمت ، ولكن انتقلت عن تلك الصفات ، وتقلبت

فى صفات غيرها ، والإضافات حجبت أهل النظر « إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » فيعقلون ما هو الأمر عليه .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن يوسف بن عبد المحيي

قال « من أحيا أرضا ميتة فهى له » . وما ثم إلا حى ، فا الأمر وجود بعد عدم ، ولكن الأمر انتقال من حال إلى حال ، واجتماع خاص ، عن خاص ، عن افتراق . فهو المحيي بلا خلاف بالاتصال ، كما كان المميت بالانفصال .

وقال : من عرف أن الأمر نسب وإضافات ، هان عليه ما يسمع من تناقض الحكم ، وعلم أنه ما ثم تناقض ، لكن الغافل « فى لبس من خلق جديد » .

وقال : ليس إلا من أحيا ثم أمات ، ثم أحيا بالإرادة ، حتى يقول المعترض : إن الأمر وقع بالإتفاق (١) ، وما ثم أمر إلا وهو مقصود

---

(١) يقول العلامة « كريس موريسون » رئيس أكاديمية العلوم فى نيويورك فى كتابه : « الإنسان لا يقف وحده » (نستطيع أن نبرهن بقانون الرياضيات الثابت ، على أن عالمنا قدتم تصميمه وتنفيذه ، بوساطة ذكاء هندسى عظيم ، ولنفرض أنك وضعت فى جيبك عشرة قروش تحمل أرقاما من ١ : ١٠ وخلطتها تماما . والآن ، حاول أن تخرجها حسب ترتيب الأرقام ، مع إعادة القطعة ، ثم هزها جميعا مرة أخرى . إن فرصتك فى سحب رقم « ١ » هى بنسبة ١ : ١٠ وفى سحب ١ و ٢ على الترتيب ، تعادل ١ : ١٠٠ أما فرصتك فى سحبها جميعا من ١ : ١٠ ، على الترتيب فستصل إلى ١ : عشرة آلاف مليون .

وبنفس الطريقة والتعليل ، توجد حالات عديدة بنفس الأحكام ، =

لله تعالى . وبقاؤه وفناؤه ، فإنه من رد إليك ملكك ، فقد جدد لك الولاية عليه ، ومن رد عليك حياتك ، فقد أحياك ، ومن أحياك أنعم عليك ، فوجب عليك الشكر ، فمن شكر دل شكره على كرم أصله . ومن لم يشكر دل عدم شكره على جهله ، ودناءة أصله فوجبت العقوبة واستحقت ، فمن الناس من أحياه الله ليزيده نعمة إلى نعمته ، ومن الناس من أحياه ، ليعذبه ، تصديقا لقوله في وعيده :

فسبحان من أحيا النفوس بعودها ... لتدبيرها قصدا على القسر والرغم
لينعم من والاه بالحسن والرضا ... فزاد الذى عاداه غما إلى غم
ولم يحيها فى نفسها غير أنه ... أقام لها بيتا من الكيف والكم

= الحياة على الأرض ، لدرجة لا يمكن معها أن يكون وجودها بمجرد الصدفة ، فالأرض تدور حول محورها عند خط الاستواء ، بسرعة ١٦٠٠ كيلو متر فى الساعة ، فإذا دارت بسرعة ١٦٠ كيلو متر فقط فى الساعة صار كل من ليلنا ونهارنا عشرة أمثاله الآن . ويحتمل مع ذلك احتراق النبات نهاراً . وتجمد الأسماك ليلا . وكذلك حرارة سطح الشمس وهى مصدر حياتنا تبلغ ٥٥٠٠ درجة مئوية ، وأرضنا بعيدة عن هذه النار لحد يكفل تدفئتنا بقدر كاف . فإذا هبطت الحرارة إلى النصف فقد نتجمد ، وإذا زادت بقدر النصف فقد تشوى أجسامنا . أما ميل الأرض الذى يبلغ ٢٣ درجة مئوية ، فإنه يكفل لنا الفصول الأربعة ، فإذا لم تكن الأرض على هذا الميل ، فقد ينطلق البخار من المحيط شمالا وجنوبا ويكون فوقنا قارات من الثلوج . وإذا بعد القمر عنا ٨٠٠٠٠ كيلو مترا بدلا من بعده الحقيقى ، فإن المد سيكون هائلا إلى حد يكفى لإغراق القارات مرتين فى اليوم . وإذا كان سمك القشرة الأرضية أكثر مما هو عليه بثلاثة أمتار لأنعدم الأكسوجين الذى لا حياة بدونه . وإذا زاد عمق المحيطات مترا واحد أوما يقرب من المتر . فإنها تمتص ثانى أكسيد الكربون والأكسوجين ، وتنعدم الحياة للنبات .

إذن ، لا توجد فرصة فى كل ألف مليون، القول بأن الكون صدفة .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن يعقوب بن عبد المميت

قال : خلق الله الموت والحياة إبتلاء لعبادة .

وقال : أهل المؤاخذة إذا أدخلهم الله النار وما هم من أهلها المقيمين فيها أماتهم الله فى النار إماته الحديث ، فهو ميت فى الدنيا والآخرة وفى البرزخ .

وقال : « وأنه أمات وأحيى » .

وقال : الموت انتقال من دار إلى دار . ومن حال إلى حال ، فأما الانتقال فلا يزال أبداً فى الآخرة (١) ، تتقلب على الناس أحوالهم ، فهم ينتقلون من حال إلى حال ، ومن دار خزي وهوان إلى دار نعيم وأمان .

وقال : « قالوا ربنا أمتنا اثنتين ، وأحييتنا اثنتين » . هذا حكاية قولهم عرفنا الله بها ، فتفكروا فى القرآن . فإنه منه ما هو من الله بطريق الحكاية على المعنى ، ومنه ما هو عن نفسه سبحانه من غير حكاية . وهذا موضع أغفل الناس الكلام عليه ، لوضوحه .

وقال :

الروح واحدة والنشء مختلف ... فى صورة الجسم كان الأمر فاعتبروا
فى الجسم كان اختلاف النشء فاعتمدوا ... على الذى قلته فى ذاك وادكروا
فإنه العلم لا ريب يداخله ... والشمس تعرف ما قلناه والقمر

---

(١) راجع (العالم غير المنظور . الدكتور على عبد الجليل راضى ، فصل كامل عن الموت) .

وقال : الأرواح ثلاثة : أرواح مهيمة (١) فى جلال الله ، ما عندها علم ولا شهودة إلا جلال الله ، لا تعرف أن الله خلق خلقا سواها . وأرواح مسخرة ، هم عمار السموات « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » . سخرهم الله لنا فى جميع مصالحنا ، دنيا وآخرة . وأرواح مدبرة ، وهى أرواح أجسامنا التى قضى عليها الموت ، وسخر بعضها للبعض فالمهيمة حائرة ، والمسخرة ذاكرة ، والمدبرة ناهية وآمرة .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن إبراهيم بن عبد القيوم

قال : القيام على العالم صفة ربانية « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » .

وقال : العول الميل . عالت الفريضة إذا مالت . والميل مرض ، فاطلب من الله صحة الحال والقصد ، فى التوجه إليه سبحانه .

وقال : كل قيوم حى ، وليس كل حى قيوم إلا بوجه ما . ويصح أن يكون كل حى قائم . والأنفاس كثيرة ، وله قيام فى كل نفس (٢) ، فصح النعت بالقيومية له ، كذلك ، أو كثل النفوس سواء .

وقال : لا تكن عبدا إلا لمن يقوم بمصالحك ، كانت ما كانت ، وما يقوم بأمورك إلا الله ، فلا يستعبدك سواه ، فهو المسخر لك عباده ، فافهم (٣)

---

(١) فى الأصل : فهيمة .

(٢) يقصد قيومية التدبير بالأنفاس فى البدن والحال والعلم .

(٣) يريد الشيخ الأكبر أن أى إنسان قام بمصالحك فاحذر أن تكون عبدا له لأن الله هو المسخر له ليقوم بمصالحك . بنص القرآن الكريم ، وهذا أصل عظيم من أصول الأخلاق الصوفية يعصم من شرور كثيرة ، لأن الفساد الاجتماعى كله ناشىء عن استعباد الإنسان للإنسان واستجابة البعض لذلك

« وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه » ، « ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليتخذ بعضكم بعضا سخريا » . فيسخر الأعلى الأدنى ، فيما يريد بالأمر ، ويسخر الأدنى الأعلى بتسخيره الأدنى بالأمر ، ولا يتفطن الأدنى بتسخيره الأعلى .

وقال : « الله خالق كل شىء » فهذا أمر إلهى ليس للعبد فيه تعمل . أمرنا بالدعاء فدعونا فاجاب . فلا تشك أنه استعملنا فى الدعاء ، واستعمل الدعاء فى الإجابة ، فقال عن نفسه « أجيب دعوة الداع إذا دعان » .

وقال :

دنياك دار بلاء فيه عافية ... فمالها غير سكناها وفى العقبى
لنا التحكم فيها لا إلى أجل ... تجرى إليه ولى العمرى مع الرقبى
واست أسألكم أجرا عليه سوى ... مودة منكمو فى الأهل والقربى

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن داود بن عبد المقسط

قال : إذا أوتى الإنسان الحكمة وفصل الخطاب ، ومكن عند السؤال من الحكم[1] بالإصابة فيما سئل فيه ، فقد أوتى خيرا كثيرا « وما يذكر إلا أولو الألباب » .

وقال : المقسط من عدل فى الحكومة ، وهو ممن تنعم الجنة بدخوله فيها . وأما القاسط فهو من حطب جهنم ؛ ووقودها الناس . وهم القاسطون « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » : والحجارة وهى الآلهة[2] المعبودة التى نحتوها ، « أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون » .

---

(١) فى الأصل : الحولب . تحريف والسياق يقتضى ما أثبتناه .
(٢) فى الأصل : الآلفة وهو تحريف ظاهر .

وقال : « وماتكون فى شأن وماتتلو منه من قرآن ولاتعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه » وهو الذى حدهم ، ثم عينهم «ألاله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » .

وقال : المقسط عادل ، والقاسط جائر ، وكلاهما مائل ، فالعادل المائل إلى الخير ، والجائر المائل إلى الشر ، وهما كفتان(١) .

وقال : كن داوديا ، تكن صاحب صنعة لبوس ، فتحصن كما فعلت مايحصن ، فهى بالقصد الأول محمودة ، وإن استعملها العدو ، وتحصن بها من بأسك ، عند مقاتلته إياك ، فإنه قاتلك بهواه ، وقاتلته أنت عن أمر الله ، والله غالب على أمره .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن سليمان بن عبد المغنى

قال : المقام الصحيح . . . والقول الصريح . . . فيمن سخرت له الريح . . . نصرت بالصبا . . . وهو طلوع النور . . . فالت إلى النصر . . وله جاءت . . فهى عين الدبور . . ماجاءت بالنصر . . . إلا لتهلك عدو المنصور ،

وقال : إذا أراد الله أن يهلك يأجوج ومأجوج ، جعل فيهم داء فأصابهم فى أعناقهم . وهو ريح . والمؤمنون إذا أراد الله قبض أرواحهم إليه ، جاءتهم ريح أطيب من ريح المسك ، تأخذهم من تحت آباطهم ، فتذهب بأرواحهم إلى ربهم ، فيصفيهم بالبقاء والبشرى .

وقال : ماتسمى بالمغنى إلا لكون الغنى به ، فمن اتصف بصفة الغنى فهو سيد ، ومن اتصف بالفقر فهو عبد .

---

(١) فى الأصل : وما كفتان .

وقال : كن عبدا فى غناك . . . وكن سيدا فى فقرك ، تكن كاملا .

وقال : من أغناك فقد ولاك . . . وأعظم الولاية ، ولايتك على نفسك(١) ، فمن ولاه الله على نفسه ، بايعته جوارحه على السمع والطاعة . وتلك [هى] العصمة فى الأنبياء ، والحفظ فى الأتباع [وهم] الأولياء من المؤمنين .

وقال : لايستغنى بالله إلا من افتقر إليه ، ولذلك تسمى بالمغنى .

وقال : من علم الإشارة فى تسخير الريح لسليمان عليه السلام ، علم أن الريح هبوب الهواء . فيقوم به عدم الثبوت .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن هرون بن عبد البديع

قال : أعظم المصائب شماتة الأعداء .

وقال : النار ولا العار .

وقال : لاتبتدع ، فيوجب الله ذلك الابتداع عليك فى شرعنا ، ومن سن سنة حسنة ، وماسماها بدعة . فإنها مشروعة ، فإن شرعك قررها .

وقال : فى غير المحمدى فيما ابتدعه . أن الله ماكتب[ها] عليهم إلا ابتغاء رضوان الله ، ولأجل هذا أيضا ابتدعوها ، لكن « مارعوها حق رعايتها » . فإن ابتدعت ، وهو تعيين سنة لم يعينها الله لك إلا بتعيينك ، فالزمها . وانت بها على وجهها ، واشكر الله على إلحاقك ، حيث ألحقك بأنبيائه ورسله ، فأباح لك أن تسن ماسنوه بما يقرب إلى الله(٢)

---

(١) فى الأصل : ولايتك عن نفسك .

(٢) المراد من البدعة هنا السنة الحسنة الموافقة للشرع وليس دعوة إلى مالم يشرعه الله . فمن ألزم نفسه بذكر الله فى أوقات لم يعينها الشارع . وبعدد أكثر

وقال : كن متبعا ، لامبتدعا . إن كنت محمديا . فإنه صلى الله عليه وسلم كان يحب التخفيف عن أمته ، ويكره المسائلة ، خوفا [من] أن يزيد الله فى تكليف أمته . فاتبع مرضاة محمد نبيك صلى الله عليه وسلم . فإن الله يرضى مايرضى نبيه .

وقال : يقول الله « ماجعل عليكم فى الدين من حرج » ينبه [على] ألا تزيدوا على التكليف فإنه لايأذن به الله . ولكن خير . فاختر الرفق بنفسك ، وبعباد الله ، توفق لمراد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

وقال : عليك بما شرع الله لك .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن زكريا بن عبد الضار

قال : من نادى ربه ، وأخفى نداءه ودعاءه . فيما يذكره ، ويضيفه إلى ربه أنه فعله به احتراما لجنابه(١) ، لارغبة فى الإخلاص ، فإنه مخلص فى دعائه ، فهو مرحوم بالرحمة الربانية ، وهذا من باب الغيرة على الجناب الإلهى .

وقال : كما أن الله هو النافع ، وأنت فقير ضعيف ، فاسأل(٢) . فإن بعض الناس من الأهل ، لما تحققوا بهذا الإسم ، كانوا يطلبون البلاء ، لما

= ما عينه الشارع فتلك بدعة بمعنى سنة حسنة ، لأن لها أصلا فى الشريعة ، ولكن يجب التزامها ورعاية الحق فيها . ومن هذا الوجوب ومن الأقوال التالية يبدو جليا تحذير الشيخ الأكبر عما لم يحدده الشارع رعاية للتخفيف .

(١) أى إن الواجب ألا يجهر العبد بما أصابه من الضر ، الذى دفعه إلى الدعاء . فإذا أخفى دعاءه هكذا كان مرحوما .

(٢) فى الأصل : فسأل كشف الضر عنه .

يجدون فيه من الالتذاذ به ، فما كانوا يطلبونه إلا لذاك الالتذاذ . فلم يكن مطلوبهم إلا اللذة(١) .

وقال : « أولئك الذين ، يعني الأنبياء عليهم السلام « هدى الله ،فبهداهم اقتده (٢) ، فأمر بالاقتداء ، فلاتعدل عن محجتهم الأصلية ، وهي(٣) اتباعك ماشرع لك سبحانه، اتباعه واجتناب(٤)ماشرع لك اجتنابه ، تكن متبعا .

وقال : أطلب من الله من يقوم مقامك بعد موتك ، حتى لاينقطع عملك بموتك . فإن ابن آدم إذا مات ، انقطع عمله إلا من ثلاث. من صدقة جارية ، أو علم يبثه في الناس ، أو ولد صالح يدعو له .

وقال : النكاح سنة نبيك صلى الله عليه وسلم ، فلاترغب عنه .

ومنهم رضي الله عنهم :

عبد الله بن اسماعيل بن عبد النافع

قال : النفوس مجبولة على طلب المنافع ، ودفع المضار ، فاسأل ربك

---

(١) في مثل هذا اللون من السلوك الممنوع . أن تتمنى البلاء لنفسك وأما اللذة بالبلاء فلا مانع منها ، إذا كتمها ذائقها ، وأفادته علما . فإن كتمها ولم يذق منها علما ، فهي لذة نفسية ، وإن ذاق منها علما فهي روحانية ، وإن باح بها وتحدث فهي شيطانية (راجع أيضا . الوصايا للحارث المحاسبي . نشر مكتبة صبيح بالأزهر)

(٢) في الأصل : اقتدهم .

(٣) في الأصل : وهو اتباعك .

(٤) في الأصل : واجتنب .

المنفعة العامة . وليس إلا أن يزول عنك الألم ، وترزق الالتذاذ بكل مايجرى عليك(١) .

إنى لأحذر من نفع تجود به على عبيدك فيما قد يؤمله(٢)
تجيبه حين يدعوكم ويسألكم وما يجيبك يوما حين تسأله
إذا يعن له أمر يؤجله(٣) لله . وهومع الأدنى يعجله(٤)
إنى لأخجل من شخص دعاه بنا ولست(٥) أخجل من شخص نخجله
فما يؤخرنا إلا تكاسلنا وما يقدمنا إلا تفضله
وكل شىء لنا لديه يبذله وكل شىء له لدى أبذله
إنى لأعرف من قد كنت أجهله فما(٦) يبدلنا إلا تبدله

وقال : أكثر الدعاء إلى الله بالقبول . فإن الله لايقبل إلا الطيب . فإنك إذا دعوت بالقبول ، فقد دعوت بما يرضى الله . وأنت تعلم أن الإنسان يفرح بقبول السلطان هديته ، وذلك الفرح على الحقيقة ما هو بقبول الهدية ، وإنما هو بقبول السلطان عليه ، وحظوته منه ، وشغوفه عنده على غيره .

وقال : النفس رغبت في معالى الأمور أن تكون صفة لها .

---

(١) ومن هذا الدعاء قول سيدى أبى الحسن الشاذلى فى حزب البر الكبير « اللهم إنا لا نسألك رفع ما تريد ، ولكن نسألك التأييد بروح من عندك فيما تريد ، كما أيدت أنبياءك ورسلك ، وخاصة الصديقين من خلقك » .
(٢) فى الأصل : تؤمله .
(٣) فى الأصل : تؤجله .
(٤) فى الأصل : تعجله .
(٥) فى الأصل : ولست من أخجل من شخص .
(٦) فى الأصل : فيما يبدلنا .
(٧) فى الأصل : رغب .

وقال : توسم أهل الله . أن يسأل الله فى التوبة ،وهى الرجوع إلى الله فى جميع الأحوال . بطريق من الرحمة . والعناية .

وقال : إذا سخرك الكبير فيما يرضيه ، فقد اصطفاك واختارك لخدمته وأنت مفتقر إليه ، فلابد أن تفرح لذلك وتسر .

وقال : إطلب من الله من كونه سامع الدعاء ، عالما بالأحوال ، أن يتقبل إقبالك عليه ، ودعاءك إياه ، فإنه رحيم .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن إليسع بن عبد الهادى

قال : وسع على أهلك ما استطعت ولو بالخلق ، فإنك لم تسعهم بمالك . والخلق عيال الله . والله واسع عليم تجدها بشرى إلهية . وانظر إلى منته عليك فى أن جعل نفسه خليفة عنك فى الأهل ، وأنت خليفته فى الأرض لأنها أفعال العبادلة .

وقال : إن الله لما خلق الإنسان علمه البيان ، وماعلمه إلا باسمه الرحمن، فعلم القرآن ، على قلب من ينزل [عليه] ، فنزل به الروح الأمين ، على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، بلسان عربى مبين ، ليكون به نذيرا للعالمين فعليك البراءة ، فإن الله عزوجل يقول : « فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، وهو أبوه الذى له عليه ولادة « لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم » فقدم الآباء على الأبناء وذلك قطعة من كبدك ، وأنت قطعة من كبد أبيك . فقدم من قدم الله ، فما قدمهم الله سدى على الأبناء ، لأن الأب سبب فى ظهور عينك ، والأم أب آخر ، وباجتماعهما أظهرك الله ، فاعرف قدرهما .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن داود بن عبد المعطى

قال : منع الله عطاء ، إذا قال أحدكم : لم نعط أعطاه الله . لم نعط (١).

اذا ما قلت لم نعط فقد أعطيت لم نعطه
ولا تنظر إلى خلق تقع من ذاك فى ورطة
فإن جلت فقد جلت تقول إلهنا حطه
ويحكيها عن اقوام شهود مالهم غلطة
فما شبهتهم إلا كدائرة على نقطة
خطوطهم سواسية وهم منها على خطة
وقد أوتو كما أوتى إمام دونهم بسطة
وحاز السيد المعصوم فيهم منهم قسطه

وقال : الإنسان صاحب أنفاس ، والله يعطيه أنفاسه فى كل لحظة ، ومن أعطاه الأنفاس ، فقد أعطاه الحياة .

وقال : لا يزال الحق يجدد الأعراض على أجسام العوالم (٢) كلها وجواهرها لا بقاء لها ، إلا بتجدد الأعراض عليها .

وقال : «كل يوم هو فى شأن» ، وشئون الحق ، ما هو العالم عليه من الأحوال المختلفة والمتقابلة والمتماثلة .

وقال : غذاء جسم الحيوان أنفاسه ، وغذاء الجواهر والأجسام أعراضها ، ولما لم يكن للعرض غذاء فى الزمن الفرد الذى يلى زمان

---

(١) لتقريب ذلك . إذا منع الله عنك الدنيا ، فقد أعطاك التفرغ له بالكلية وأعطاك سلامة الصحة ، والذكاء فى العمل ، وإذا منعك صحة البدن . فقد أعطاك سكون الجوارح عن السعى فى مكارهه ، وصدق الافتقار إليه ، وهكذا .

(٢) فى الأصل : العالم .

وجوده ، فقال أهل الكلام : إن العرض لا يبقى زمانين وهو إلهام عجيب من الله ، وفقهم له حين ألهمهم الذى هو الأمر ، وسبب ذلك الحركات المحسوسة من الأجسام على أى حالة وقعت ، من لسان غير لسان ، فركبوا من ذلك دليلا معلوما ، مع حصر عدم ما شاهدوا من ذلك .

وقال : داود وسليمان عليهما السلام ، لما حكما فى الحرث ، نفشت فيه غنم القوم ، والنفش الرعى بالليل ، فحكم سليمان بشىء فى ذلك ، وحكم داود بأمر آخر .

وقال الله : « ففهمناها سليمان . وكلا آتينا حكما وعلما » ومن هنا وأمثاله ، أخذنا أن كل مجتهد مصيب ، وإن لم يكن نصا فى الباب إلا أنه يستروح منه ما ذكرنا .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن صابر بن عبد المانع

قال : أيوب مدحه الله بالصبر ، وشهد له به وحده ، صابرا . مع قوله لربه : « مسنى الضر » فعلمنا من ذلك ، أن حد الصبر : ألا يشكو المبتلى إلى غير الله ، فيقدح فى صبره ، وعلمنا أن الله لا يريد شرعا من عباده إذا ابتلاهم ، أنهم لا يلجأون فى رفع ما نزل بهم إلا إلى الله عز وجل ، فإن الوقوف مع العبودية والفقر أولى بالعبد من مقاومة القهر الإلهى . جاع بعض رجال الله فبكى ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنما جوعنى لأبكى .

وقال : الصبر للعارف بالله [عن] البلاء سوء أدب مع الله ، وإن قاومته به فهو أتم الصبر ، فاجهد ألا تكون محلا لسوء أدب . إذ الأدباء هم الذين عصمهم الله من جريان ألسنة الذنوب عليهم ، فكيف أن يكونوا محلا لوقوع الذنوب منهم .

وقال : عطاؤه فى منعه ، فما منع سبحانه أحدا من وجه ، إلا أعطاه[1] فى ذلك المنع من وجه آخر . لأنه مجبول على الحاجة « ولذلك خلقهم » .

وقال : الممكن محتاج بالذات . ألا تراه يفتقر إلى المرجح ؟

وقال : الرشد الهدى إلى الصواب فيما تحاوله ، وكل رشيد فهو مهدى يدعو إلى هدى ، وهو الذى يدعو إلى الله على بصيرة ، كما أخبر الله ، وأمر بقول ذلك ، والإخبار عنه .

وقال : قال موسى للخضر عليهما السلام : « هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشداً » .فقال خضر :«إنك لن تستطيع معى صبراً» ، وكذلك وقع . فإن الغيرة تغلب على الرسل فى الله إذا رأوا انتهاك حرمة الحق ، ويغيبون عن كل ما سوى الله ، « وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا » فعلوم الأذواق يقل العثور عليها ، والتصديق بها لعزتها وعلو مكانتها ، وهى علوم الأنبياء عليهم السلام ، ومن اعتنى الله به من الأولياء .

وقال : ثم طائفة إذا رأوا سبيل الرشد اتخذوه سبيلا إلى الله تعالى ، ليعرفهم بمصالحهم ماداموا فى دار التكليف ، فإذا انقلبوا إلى محل لا تكليف فيه زال الطريق ، وكانوا سكان الدار الحيوان . فأفلحوا .

وقال : ليس العجب إلا من قول الله عز وجل : « قد أفلح من زكاها » مع قوله :« فلا تزكوا أنفسكم» وإن كان المراد هنا أمثالكم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« لا أزكى على الله أحدا » فقيل : بقوله على الله . وهو الأدب . فسد باب العلم ، ولم يسد باب الظن . فقال :« بل قل : أحسبه كذا وأظنه كذا . والله حسيبه » ، والتزكية فى قوله « قد أفلح » بالأعمال . والنهى عن التزكية فى الأحكام على الله . مع علمنا أن فى عباد الله من هو زكى عند الله ، من غير تعيين ، [وقد] عينه الله ، مثل الأنبياء عليهم السلام ومن سواهم

(١) فى الأصل : إلا عطاء فى ذلك .

فأمرهم فى المشيئة . ومن هو فى المشيئة فهو فى عمى وأمره إلى الله .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن موسى بن عبد الصبور

قال : لما أخبرنا الله تعالى فى كتابه ، أنه تعالى يؤذى ، فى قوله : « إن الذين يؤذون الله ورسوله » ذكر لنا ، أن من أسمائه الصبور . من كونه لم يعاقبهم مع اقتداره على أخذهم . فهو سبحانه يمهل ويحكم ، ولا يهمل ، ولا يعجل بالعقوبة ، لعلمه أنه لا يفوته .

وقال : الصبر حبس النفس عن الشكوى إلى الناس [1] ، لا إلى الله ، ومن كثر منه ذلك ، فهو صبور وصبار .

وقال : الصبر على النعم أعظم من الصبر على البلاء . فإن فى النعم تكليفا ، فلذلك أضيف الصبر إليه ، وإنما النعم للشكر . هذا عند العاقل [2] « ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور »

وقال :

من عامل الله ما تعنى	وجاءه منه ما تمنى
فإن جنى العبد فى أمور	فإنه عنه ما تجنى
يقول من قوله دليل	من غش ذاك ليس منا
ما قال ذاك الذى ذكرنا	إلا الذى قال ذاك عنا
فإن دعانا إليه حينا	وإن دعوناه وافتقرنا
إليه فالكل فى يديه	وعنه والله ما برحنا
سبحانه جل من مليك	يملكنا بالذى أردنا

(١) فى الأصل : إلى الله والسياق يقتضى ما أثبتناه .
(٢) فى الأصل : ولم صبر وغفر .

فإن قضى ذاك فهو سؤلى　　وإن رآى ذاك ما اعترضنا
بالله يا أخوتى(١) تعالوا　　نطلب منه الذى أمرنا
فى طلبى منه عين ذلى　　وعين فقرى فما انفصلنا
وما اتصلنا به ولكن　　من لم يجب أمره تعنى

وقال : من علم حقيقته لم يصبر ، وسارع بالدعاء إلى الله فى كشف الضر الذى مسه عنه ، فذاك حال العلماء بالله وبأنفسهم ، فمن عامل الله بما تعطيه حقيقة العبودية ، فقد وفى الأدب حقه .

وقال : من تحقق عجزه ، سخر من ليس بعاجز فى حقه ، ليقوم بمصالحه سوى الله فإن الله لا يكون مسخراً لعباده ، بل هو سبحانه المسخر له من شاء من خلقه ، وقد جاء من ذلك فى القرآن آيات كثيرة معلومة عند من يقرأ القرآن . أنشد بعضهم :

قد جيتكم مستسلما آمنا　　لا تقتلونى قد رميت السلاح

وقال : من أسلم وجهه إلى الله فقد سلم من الأخذ والبطش ، فإن أحس مع إسلامه ، فقد استمسك بالعروة الوثقى ، التى لا انفصام لها ، وكان الله سميعا دعاء ، عليما بحاله ، وليس إلا حالة إضطراره ، فمن وفق لم يزل مضطرا ومن اضطر دعا ، ومن دعا اضطرارا أخلص ، ومن أخلص فى دعائه أجيب . فعلق الأمور بعضها ببعض .

والله إنى عالم بالذى　　يطلبه منى بما قد شرع
لكننى أجهل توفيقه　　إياى فالعلم به ما نفع
ما كنت إلا هالكا خاسرا　　وإنما الرحمن عنى دفع
عناية منه بنا إنه　　يلطف وقتا بالذى قد سمع

ومنهم رضى الله عنهم :

---

(١) فى الأصل : يا إخوانى .

عبد الله بن عبد الله بن عبد المصون

قال : الصور من المخلوق متخيلة ، ومن الحق معلومة له غير متخيلة ، وبعد هذا فإن الأمر فى هذا بحسب الصورة التى يقع فيها التجلى لهذا العبد ، فإن كانت الصورة من الصور التى تقتضى التخيل ، نسب إليها التخيل ، ووصفت به ، فيكون محلا لما تجلى . وهذا محال . وإن كانت الصورة لا تقتضى التخيل كما يحسبها ، فالأمر بحسب مايقع فيه التجلى ، ولولا إتساع الخيال فى الحضرة ما أدخل الحق نفسه فيها .

قد أعبد (١) الله كأنى أراه ... وهو الذى أعبده فى الخيال
وهو عليه تنزيهه ثابت ... مقدس معظم ذو جلال
وهو جميل فإذا ما بدا ... أودع ما يشاؤه فى الخيال
فما تجلى لى سوى خالقى ... وما أرى فى العين إلا الكمال
لو أنه يكشف عن عيننا ... غطاءها لم نر إلا الظلال
ساجدا وهو بها قائم ... قام من ليس له زوال
جل فما يدركه خلقه ... إلا كما يدركه فى المثال
ما يدرك المرء سوى نفسه ... لذاك ما نبرح فى الانتقال
من صورة عظمى إلى مثلها ... عن مثل هذا ما لديه انفصال
والله لولا الحق فى كوننا ... لما رأيناه بعين المحال
وإنما يصدق عبد أتى ... بواجب أو جائز أو محال
والأمر والشأن كما قاله ... فلم يزل قائله فى ضلال
العبد من يعرفه ذو الجلال ... ما هو من يعرفه ذو دلال
الشخص لا يعرف إلا إذا ... يشرع من دنياه فى الارتحال

---

(١) فى الأصل : نعبد .

وقال : يتجلى فينكر ، فيذكر العلامة فيتعرف بها ، فيتجلى لهم (١) فيها ، فيدخل تحت قيد الصورة . ليقع الإقرار منهم بربوبيته ، فإنهم ما اعتقدوا فيه إلا ذاك . والحق ليس كمثله شيء . فما ذاك إلا راجع إلى اعتقادهم (٢) خاصة . والأمر باق على أشكاله .

فليت شعرى ما الذى نبصره ... وليت شعرى ما الذى ندركه

إن كان حقا ذاك مطلوبنا ... أو غير حق فأنا أتركه

فالملك لا يثبت إلا لمن ... قام به فهو الذى يملكه

وقال : من صورك فقد حكمك ، ومن حكمك فقد استولى عليك .

وقال : الإنتقام ينفع المنتقم منه ، ولا سيما الحاكم .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن يوشع بن عبد العال المتعالى

قال : لا يكون المتعالى إذا علا ، إلا من اتصف بالنزول ، وأما العالى، فلا يقال فيه متعالى ، فللحق وجوه كثيرة . لكل وجه إسم إلهى . فمنها ما يعلم، ومنها مالا يعلم عندنا ، فإن الله استأثر به فى غيبه .

وقال : ما كل من تعالى تعالى .

وقال : المتعالى يؤذن بكسب العلو ، والحق له العلو ، والرفعة لنفسه . وكان ينبغى ألا يسمى بالمتعالى ، لكنه لما نزل إلى خلقه ، وأنزل نفسه منزلة عبده ، فقال فى الحديث الصحيح : « جعت فلم تطعمنى ، وظمئت فلم تسقنى ، ومرضت فلم تعدنى » .

---

(١) فى الأصل : الهم .

(٢) كرر الناسخ هذه الجملة هكذا « فاذاك إلا راجع لاعتقادهم »

ثم فسر فقال وقد قيل له (١) : كيف تطعم وأنت رب العالمين ؟ . فقال الله له : أما إن فلانا ، وسمى بعض عبيده ، جاع فلم تطعمه أما إنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى، وقال فى المريض : أما إنك لو عدته لوجدتنى عنده .

وقال : لولا ما ذكر الحق [من] هذا وأمثاله عن نفسه ، ما جسر واحد من خلقه أن ينسب إليه شيء من ذلك .

وقال : العبد الذى هو الإنسان ، خلقه الله فى أحسن تقويم ، لكونه مجموع العالم وكونه خلق على صورته ، ولذلك ظهر بجميع الأسماء الإلهية التى بأيدينا تخلقا ، فلولا [ذلك] ما قبلتها نشأته وما صح له ذلك ، ثم رده إلى أسفل سافلين ، يعنى عالم الطبيعة ، فجعل نشأة ملكه التى هى جسم من حمأ مسنون ، ومن صلصال كالفخار ، ومن طين ، ومن تراب . ذكر الله له أصنافا حتى لا يتكبر ، ولا يرفع رأسه ، لأنه معلم الملائكة الأسماء الإلهية التى توجهت على خلق العالم .

ومنهم رضى الله عنهم :

عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الدهر

قال : لا تسبوا الدهر ، فإن الله هو الدهر ، عصم الدهر عن السب بالإشتراك فى التسمية .

وقال : لا يسب الدهر بذاته ، وإنما يسب لكونه ما ساعد العباد فى خلق مالهم فى خلقه غرض . فلو وافق أغراضهم شكروه ، والأفعال الكائنة فى الدهر الزمان ، الله هو الذى كونها فيه . فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا الدهر ، فإن الله هو الدهر » موجد الأفعال .

---

(١) فى الأصل : قال له .

وقال : يأتى الدهر ، ويراد به التأبيد ، يقال : لا أفعل ذلك دهر الداهرين . وأبد الآبدين . وإن كانت إشارة إلى عدم انقطاع المدة . أى لاتنقطع ، فإن حد الزمان وهو الدهر مقارنة حادث لحادث . يسأل عنه حتى يقال : متى جاء زيد ؟ قالوا : عند طلوع الشمس . متى طلعت الشمس ؟ قالوا : عند مجىء زيد ، فكل واحد منهما وقت لصاحبه .

تم الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه . والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

قوبل بقدر الإمكان . . . . هكذا فى الخاتمة .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
إفتتاح	١
تقديم المحقق	٣
الشيخ الأكبر ابن عربي ـ حركات العلماء من حوله ـ قضية الإقتباس ـ مصادر معرفته ـ وحدة الوجود ـ هذا الكتاب ـ سلوك الشيخ الأكبر ـ تاريخ تأليف العبادلة ـ ظاهرة سعيدة ـ	
مقدمة المؤلف	٣٩
القسم الأول	٤١
الجزء الأول	
عبد الله بن عبد الله بن محمد بن عبد الله	٤٢
عبد الله بن عبد الرحمن بن إلياس	٤٣
عبد الله بن عبد ربه بن إبراهيم	٥٠
عبد الله بن عبد البر بن يونس	٥٢
عبد الله بن عبد البارى بن عيسى	٥٣
عبد الله بن عبد الرحيم بن موسى	٥٥
عبد الله بن عبد الحق	٥٦
عبد الله بن عبد المهيمن بن إسماعيل	٦٠
عبد الله بن إبرهيم بن عبد الكافى	٦٢
عبد الله بن إدريس بن عبد الخالق	٦٣
الجزء الثاني	٦٥
عبد الله بن إدريس بن عبد الملك	٦٦
عبد الله بن محمد بن عبد الواحد	٦٧
عبد الله بن يحيى بن عبد الصمد	٧٠
عبد الله بن داود بن عبد السميع	٧٣
عبد الله بن عبد العليم بن سليمان	٧٥
عبد الله بن يوسف بن عبد البصير	٧٧
عبد الله بن إدريس بن عبد النور	٧٩
عبد الله بن محمد بن عبد الطيب	٨١

الموضوع	الصفحة
عبد الله بن يوسف بن عبد الرازق	٨٢
عبد الله بن عبد الشكور بن داود	٨٣
الجزء الثالث	٨٥
عبد الله بن إلياس بن عبد الحي	٨٦
عبد الله بن هارون بن عبد الوالي	٨٧
عبد الله بن يعقوب بن عبد الباقي	٩٠
عبد الله بن عبد المغيث بن ذي النون	٩٢
عبد الله بن محمد بن عبد المحسن	٩٤
عبد الله بن إدريس بن عبد الكبير	٩٧
عبد الله بن إلياس بن عبد العلي	٩٩
عبد الله بن موسى بن عبد القادر	١٠٠
عبد الله بن عبد العزيز بن يوسف	١٠٣
عبد الله بن شمويل بن عبد الجبار	١٠٤
الجزء الرابع	١٠٧
عبد الله بن دانيال بن عبد العال	١٠٨
عبد الله بن إسحاق بن عبد القاهر	١٠٩
عبد الله بن يوحنا بن عبد الرؤف	١١١
عبد الله بن عبد الواسع بن معروف	١١٣
عبد الله بن يحيى بن عبد الناصر	١١٦
عبد الله بن شيث بن عبد العظيم	١١٨
عبد الله بن يوسف بن عبد الغني	١٢١
عبد الله بن آدم بن عبد السلام	١٢٣
عبد الله بن محمد بن عبد الحميد	١٢٥
عبد الله بن خضر بن عبد الوهاب	١٢٨
الجزء الخامس	١٢٩
عبد الله بن صالح بن عبد الحميد	١٣٠
عبد الله بن إليسع بن عبد الغفور	١٣١
عبد الله بن إبراهيم بن عبد الحكيم	١٣٣

الموضوع	الصحيفة
عبد الله بن داود بن عبد الغفار	١٣٦
عبد الله بن لوط بن عبد القائم	١٣٩
عبد الله بن جرجيس بن عبد الشهيد	١٤٢
عبد الله بن زكريا بن عبد اللطيف	١٤٤
عبد الله بن موسى بن عبد القوى	١٤٧
عبد الله بن داود بن عبد الودود	١٥٠
عبد الله بن محمد بن عبد الصادق	١٥٢
القسم الثانى من العبادلة	١٥٥
عبد الله بن أيوب بن عبد القدوس	١٥٦
عبد الله بن إليسع بن عبد السلام	١٥٧
عبد الله بن جابر بن عبد المتكبر	١٦٠
عبد الله بن معتوق بن عبد البارى	١٦٢
عبد الله بن آدم بن عبد الصمد	١٦٣
عبد الله بن ناصر بن عبد القهار	١٦٦
عبد الله بن موهوب بن عبد الواهب	١٦٧
عبد الله بن خالد بن عبد الكريم	١٦٨
عبد الله بن سليمان بن عبد الجواد	١٧٠
عبد الله بن محمد بن عبد السخى	١٧١
عبد الله بن عبد الله بن عبد الفتاح	١٧٢
عبد الله بن إسماعيل بن عبد القابض	١٧٣
عبد الله بن إلياس بن عبد الباسط	١٧٤
عبد الله بن عيسى بن عبد الرافع	١٧٥
عبد الله بن يحيى بن عبد الخافض	١٧٦
عبد الله بن شيث بن عبد المعز	١٧٧
عبد الله بن شاكر بن عبد الخبير	١٧٩
عبد الله بن شالح بن عبد الحفيظ	١٨٠
عبد الله بن إسحاق بن عبد الحسيب	١٨٣

الموضوع	الصفحة
عبد الله بن كامل بن عبد الجليل	١٨٦
عبد الله بن شاكر بن عبد الرحيم	١٨٧
عبد الله بن إليسع بن عبد المجيب	١٨٨
عبد الله بن أيوب بن عبد الباعث	١٨٩
عبد الله بن عيسى بن عبد الوارث	١٩٠
عبد الله بن إلياس بن عبد الشهيد	١٩١
عبد الله بن أحمد بن عبد الحق	١٩٢
عبد الله بن محمد بن عبد الوكيل	١٩٤
عبد الله بن إبراهيم بن عبد الوالى	١٩٦
عبد الله بن إسماعيل بن عبد المحصى	١٩٧
عبد الله بن إبراهيم بن عبد المبدىء	١٩٨
عبد الله بن سليم بن عبد المعيد	٢٠٠
عبد الله بن يوسف بن عبد المحيى	٢٠١
عبد الله بن يعقوب بن عبد المميت	٢٠٣
عبد الله بن إبراهيم بن عبد القيوم	٢٠٤
عبد الله بن داود بن عبد المقسط	٢٠٥
عبد الله بن سليمان بن عبد المغنى	٢٠٦
عبد الله بن هارون بن عبد البديع	٢٠٧
عبد الله بن زكريا بن عبد الغفار	٢٠٨
عبد الله بن إسماعيل بن عبد النافع	٢٠٩
عبد الله بن إليسع بن عبد الهادى	٢١١
عبد الله بن داود بن عبد المعطى	٢١٢
عبد الله بن صابر بن عبد المانع	٢١٣
عبد الله بن موسى بن عبد الصبور	٢١٥
عبد الله بن عبد الله بن عبد المصون	٢١٧
عبد الله بن يوشع بن عبد العالى المتعال	٢١٨
عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الدهر	٢١٩